

ذهب أزرق

ألبير كامو

الجزء الثاني

ترجمة : نجوى بركات

ألبير كامو

ذهب أزرق

(مفكّرة II)

ترجمة: نجوى بركات





ذهب أزرق

(مفكّرة II)

ذهب أزرق (مفكّرة II)
تأليف/ألبير كامو
الطبعة الأولى: 1434 هـ / 2013 م
PQ2605.A3734 Z512 2013
Camus, Albert, 1913 - 1960
[Carnets]
المفكّرة / ألبير كامو؛ ترجمة نجوى بركات
أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2013
ص؛ سم
المحتويات: المفكّرة الأولى. لعبة الأوراق والنور ـ المفكّرة الثانية: ذهب أزرق ـ المفكّرة الثالثة: عشب الأيّام
ترجمة كتاب: Carnets
ـ المذكّرات 1 - Camus, Albert, 1913 - 1960ـ المذكّرات
أ ـ بركات، نجوى

ص.ب. 2380 أبوظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة هاتف: 26215300 971 +
فاكس 6314462 2 971 +
دار الآداب للنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، ساقية الجنزير ـ بناية بيهم ص.ب: 4123 ـ 11
هاتف: 861633 961 + 795135 1 961 + فاكس 861633 1 961 +
e-mail:rana.adab@hotmail.com
ISBN: 978-9953-89-184-2
يتضمّن هذا الكتاب ترجمة الأصل الفرنسي:
Albert Camus
Carnets, tome I: Mai 1935 - février 1942

ملاحظة الناشرين

لقد طرح الجزء الثاني هذا من المفكّرة بعض المشكلاتِ على الناشرين. فقد ترك ألبير كامو مخطوطة مطبوعة على الآلة الكاتبة لم يقم بمراجعتها. ولتقويم النصّ، رجعت السيدّة كامو والسيّد روجيه كيليو إلى مخطوطة مطبوعة سابقة كان كامو قد راجعها جزئيًّا، وإلى المخطوطة اليدويّة، فتمّ إصلاح بعض الأخطاء المطبعيّة وحلّ معظم الصعوبات. وفي الحالات النادرة التي بقي فيها اللبس ممكنًا، أضيفت حواش تعلِم القارئَ بالأمر. النصّ موجود بأكمله فيما عدا ١٨ سطراً [(ص ٢٥٤) من طبعة غاليمار] تتعلّق بصحّة شخص لم يزل على قيد الحياة. هذا وقد اضطرّ الناشرون أيضاً إلى استبدال بعض الأسماء بمفردة «فلان» في صفحات أخرى هي ١٣٣، ١٤٣، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٦٤ و٣١٤. [في الطبعة الفرنسيّة]. كما أُعيد أيضاً إلى النصّ مقطعان كان ألبير كامو قد ضمّهما إلى ملفّات أخرى لاستخدامهما لاحقًا، وقد أُشير إليهما في الحاشية.

فيما خصّ علاقة الفترات التي أقامها ألبير كامو في أميركا الشماليّة (من مارس/آذار إلى مايو/أيّار ١٩٤٦) وفي أميركا الجنوبيّة (من حزيران/يونيو إلى أغسطس/آب ١٩٤٩) والتي تشكّل يوميّات سفر حقيقيّة، فقد بدا أكثر منطقيّة عدم إدراجها في هذه الطبعة ونشرها عمّا قريب على حدة.

الدفتر رقم IV

كانون الثاني/يناير ١٩٤٢

أيلول/سبتمبر ١٩٤٥

كانون الثاني/يناير ـ شباط/فبراير

«كلّ ما لا يميتني، يجعلني أكثر قوّة». أجل، لكن... كم هو صعبٌ الحلم بالسعادة. الوزن الساحق لذلك كلّه. الصمت أبدًا، والالتفات إلى ما تبقّى.

*

يقول [أندريه] جيد إنّ المعضلة هي: «أن تكون أخلاقيًّا، أن تكون صادقًا». وأيضًا: «ليس هناك أشياء جميلة سوى تلك التي يمليها الجنون ويكتبها العقل».

*

الفكاك من كلّ شيء. في حال عدم وجود الصحراء، الطاعون، أو محطّة تولستوي الصغيرة.

*

غوته: «كنت أشعر أنّي إلهٌ بما يكفي لكي أهبط إلى بنات البشر».

*

لا توجد جرائم كبرى لا يشعر إنسانٌ ذكيٌّ بقدرته على ارتكابها. بحسب جيد، العقول الكبرى لا تفعل، *لأنّ ذلك قد يحدّ من ذكائها*.

*

لقد لجم «ريتز» حركة تمرّد أولى في باريس، لأنّها حدثت في موعد العشاء: «إذ لم يُرد الأكثر اندفاعًا «التخلّف عن الميعاد»».

*

مراجع أجنبيّة: تولستوي؛

ملفيل

د. دو فو

سرفانتس؛

*

«ريتز»: «باستثناء الشجاعة، كان السيّد دوق أورليان يملك كلّ ما كان ضروريًّا لرجل نزيه».

*

عند التقائهم بموكبٍ، شهر نبلاءُ من «حركة المقلاع» [حوادث عصيان ضدّ الملكيّة الفرنسيّة جرت ما بين ١٦٤٨ ــ ١٦٥٣، قام بها الشعب والبرلمانات والأمراء، وما لبثت أن تحوّلت إلى حرب

أهليّة. وقد سُمّيت هكذا استهزاءً بها (المقلاع = لعبة أطفال)] سيوفاً رفعوا عليها المصلوب هاتفين: «ها هو العدوّ».

*

توجد أسباب عديدة للعداء الرسمي لإنكلترا (مبرّرة كانت أم لا، سياسيّة أم لا). لكن، لا يُذكر أسوأها: الغيظ والرغبة الدنيئة بالتفرّج على سقوط من يجرؤ على مقاومة القوّة التي سحقتك أنت.

*

لقد احتفظ الفرنسيّ بعادات الثورة[1] وتقاليدها فلا تنقصه إلاّ الجرأة: لقد أصبح موظّفًا، برجوازيًّا صغيرًا، ومن أتباع الموضة. الضربة العبقريّة هي في تحويله إلى ثوريّ شرعيّ. فهو يتآمر بترخيصٍ رسمي ويعيد صنع العالم من دون أن يرفع مؤخّرته عن المقعد.

*

جملة تقديم لوهران أو المينوتوروس[2]:

---

(1) كانت المخطوطة تحمل عبارة *الفكر العظيم*. وأورد نصّ آخر أخضع للمراجعة ــ ليس من قِبَل كامو ــ *الثورة*. وقد افترضنا أنّ التعديل هذا أنجز بإملاء منه.

(2) جملة التقديم التالية التي كانت موجودة في الطبعة الأصليّة لعام ١٩٣٠ (دار شارلو)، اختفت من طبعة غاليمار *(الصيف)*.

أندريه جيد. عقلٌ غير حذر. «أتخيّله في بلاط الملك مينوس، قلقاً لمعرفة أيّ وحش مخزٍ يمكن أن يكونه المينوتوروس؛ إن كان بتلك الفظاعة، وإن لم يكن ربّما ظريفًا».

*

في المأساة القديمة، الذي يدفع هو المحقّ دائمًا: بروميثيوس، أوديب، أورست، إلخ. لكن، لا أهمّيّة للأمر. ففي مطلق الأحوال، إنّهم ينتهون جميعًا في الجحيم، محقّين كانوا أم مخطئين. ليس هناك جزاء. ولا عقاب. من هنا الطابع المجّاني لتلك المآسي ـ وأيضاً طابع تلك الألعاب المثيرة للشجن ـ في أعيننا المعتمة بقرون من الانحراف المسيحي.

مقابلة «الخطر الكبير هو ترك فكرة ثابتة تستأثر بنا» (جيد) مع «الطاعة» النيتشويّة. جيد أيضًا في حديثه عن الفقراء والمحرومين: «اتركوا لهم الحياة الأبديّة، أو أعطوهم الثورة». خاصّ ببحثي حول التمرّد. «لا تنزعوني من مغارتي الصغيرة العزيزة»، تقول «أسيرة بواتييه» [عنوان كتاب لأندريه جيد] حيث كانت تحيا في حالة مزرية.

*

افتتان بعض النفوس بالعدالة وبسيرها العبثيّ. جيد، دوستويفسكي، بلزاك، كافكا، مالرو، ملفيل، إلخ. البحث عن تفسير.

*

ستندال. لنتصوّر تاريخ مالاتيستا أو آل إيستيه يرويها باريس ومن ثم ستندال. ستندال سيعتمد أسلوب الحوليّات، التحقيق في «حدث كبير». يكمن سرّ ستندال في عدم التناسب ما بين الأسلوب والقصّة (للمقاربة مع بعض الأميركيّين). وهو بالضبط عدم التناسب الموجود بين ستندال وبياتريس سانسي. فلو اتّخذ ستندال نبرة الشجن المؤثّرة (تيرتيه مضحك وكريه، بالرّغم من القصص الأدبيّة) لكان فشل. رواية *الأحمر والأسود* تملك عنوانًا فرعيًّا هو *وقائع ١٨٣٠*. الحوليّات الإيطاليّة (إلخ).

*

آذار/مارس

إبليس ميلتون. «حيث الأكثر بُعدًا عنه تعالى، هو الأفضل... الروح بالنسبة إلى الذات هي مسكنها، وهي تستطيع تحويل الجحيم سماءً في دواخلنا، والسماء جحيمًا... من الأفضل أن تسود في الجحيم على أن تكون خادمًا في السماوات».

النفسيّة المختصرة لآدم وحوّاء: لقد صُنع هو من أجل التأمّل والشجاعة ــ وهي من أجل الطراوة والملاحة المُغرية؛ هو من أجل الإله فقط. هي من أجل الإله فيه.

*

مات شيللر بعد أن «أنقذ كلّ ما كان يمكن إنقاذه».

*

النشيد (X) في *الإلياذة*. أولئك القادة الذين يطاردهم الأرق، الهزيمة التي لا تُحتمل، والذين ينقلبون، يهيمون، يتحابّون، يجتمعون، ويحاولون القيام بمغامرة، كشنّ غارة على العدوّ «لفعل شيءٍ ما».

تبكي جياد باتروكل خلال المعركة بعد أن مات سيّدها. و(النشيد ١٨) الصرخات الثلاث لأسخيلوس العائد إلى المعركة، المعسكِر في خندق الدفاع، المشعّ في خوذته وعتاده، وحشيًّا. النشيد ٢٤. شجن أسخيلوس المنتحب ليلاً بعد النصر. بريبام: «لأنّني قدرت على ما لم يستطعه بعدُ أيّ رجلٍ على وجه الأرض، أن أقرّب من فمي يدَيْ مَن قتل أطفالي».

(كان الرحيق أحمر)!

*

أكبر مديح يمكن قوله بحقّ الإلياذة هو أنّنا نشاطر الآخيّين الملاحقَين من قبل الطروادييّن قلقَهم، وذلك بالرّغم من معرفتنا بنتيجة المعركة. (والأمر هو نفسه بالنسبة إلى الأوديسّة؛ فنحن نعرف أنّ أوليس سوف يقتل طالبي يد بينيلوب). كيف تراه كان تأثُّر الذين كانوا يستمعون إلى الملحمة تُتلى أمامهم للمرّة الأولى.

*

من أجل علمِ نفسيّ أكثر عطاءً.

إذا ما أعطينا الشخص عن نفسه صورةً جيّدة، بدلاً من وضعه باستمرار في مواجهة عيوبه، فإنّنا نساعده بشكل أفضل. إذ يجاهد كلّ كائن بشريّ، بشكل طبيعي، كي يشابه أفضل صورة له. يمكن تطبيق ذلك على علم تربية الأطفال، التاريخ، الفلسفة، والسياسة. فنحن مثلاً نتيجة ٢٠ قرنًا من الصور المسيحيّة. لقد شهد الإنسان منذ ٢٠٠٠ سنة عرضَ صورة مذلّة عن نفسه. النتيجة هنا. وفي مطلق الأحوال، من يمكنه القول ما كنا سنكون عليه لو شهدت القرون العشرون تلك استمراريّة النموذج القديم بوجهه الإنسانيّ الجميل؟

*

بالنسبة إلى الطبيب النفسيّ، تقدّم الأنا لذاتها عرضًا دائمًا، غير أنّ بطاقة الهويّة مزوّرة.

(ف). ألكسندر و(هـ). ستوب. «*المجرم*». منذ قرون خلت، كان يُحكم على المصابين بالهستيريا، وسوف يأتي زمنٌ يعالَج فيه المجرمون.

يقول بودلير، «العيش والموت أمام مرآة». نحن لا نلحظ بما فيه الكفاية، «ونموت». العيش، الجميع يفعلون ذلك. لكن، أن تكون سيّد موتك، فتلك هي الصعوبة.

*

هاجس الاعتقال[1]. كان يثابر على ارتياد الأمكنة العامّة المميّزة: قاعات احتفال، مطاعم كبرى. إذ يشكّل خلقُ روابط تضامن مع هؤلاء الناس، حمايةً. ثم إنّ الأجواء فيها دافئة، توفّر التجاور والتواصل. كان يحلم بنشر كتب مشوّقة تصنع لاسمه هالةً وتجعله لا يُمسّ. فقد كان كافيًا في رأيه، جعل رجال الشرطة يقرأون كتبه. فهم سيقولون: «الرجل هذا ذو حساسيّة. إنّه فنّان. لا يمكننا الحكم على روحٍ كهذه». لكن، في أحيان أخرى، كان يشعر أنّ مرضًا أو إعاقة سيحميانه أيضًا بالقدر نفسه. وكما كان المجرمون يهربون فيما مضى إلى الصحارى، كان ينوي هو الفرار إلى عيادة، إلى مصحّ، إلى مأوى.

كان يحتاج إلى التواصل والدفء. فيعيد احتساب علاقاته. «من المستحيل أن نفعل ذلك بصديق فلان، ضيف علتان». وبما أنّه لا يوجد عدد كاف من العلاقات يمنع الذراع الهادئة التي تتهدّده من التقدّم، كان الأمر يصل به إلى الأوبئة. لنفترض انتشار حمّى التفوئيد، الطاعون، فهذا ممّا يحصل وممّا شوهد وهو قابلٌ للتصديق بمعنى ما. هكذا أصاب التحوّل كلّ شيء، وها هي الصحراء تأتي إليك. لا وقت للاهتمام بك. السبب هو هذا: فكرة أن يهتمّ بك أحدهم من دون علمك وألاّ تدري أين صار ــ أتراه اتّخذ قرارًا وما هو قراره ذاك. إذًا، الطاعون ــ ولن آتي على ذكر الهزّات الأرضيّة.

---

(١) راجع شخصيّة كوتّار في *الطاعون*، ص ١٢٦ ــ ٢٦١ (طبعة لا بليياد).

هكذا كان ذلك القلب المتوحّش يدعو أقرباءه ويستجدي دفئهم. وهكذا كانت تلك الروح المشروخة الضامرة تطلب من الصحارى أن تنعشها فتصنع سلامها من مرض، وباء وكوارث. (للتطوير).

*

في سنّ الخمسين، اعتبر جدّ (أ. ب.) أنّه قام بما يكفي. استلقى على سريره في بيته الصغير في تلمسان، ولم ينهض بعد ذاك إلاّ من أجل قضاء حاجاته الأساسيّة، وذلك حتى رحيله عن عمر يناهز ٨٤ عامًا. كان يقدّر الوقت، ومواقيت الأكل تحديدًا، بمعونة قِدرين إحداهما مملوءة بحبوب الحمّص[1]، فكان يملأ الأخرى بالحركة المنتظمة والمواظبة نفسها، واجدًا هكذا معالمه في نهارٍ يُقدَّر بقِدر. وكان قد أظهر إشارات عن دعوته تلك، بمعنى أنّه لم يُبدِ اهتمامًا بشيء، لا بعمله ولا بالصداقة ولا بالموسيقى ولا بالمقهى. لم يكن قد غادر مدينته أبدًا سوى ذات يوم حيث اضطرّ للذهاب إلى وهران، فتوقّف في المحطّة الأقرب، في تلِمسان، مذعورًا من المغامرة، ورجع إلى مدينته في أول قطار. كان يقول لمن يستغربون حياته وقد أمضى ٣٤ سنة في السرير، إنّ الدين ينصّ على أنّ نصف حياة الإنسان صعود ونصفها الآخر هبوط، وإنّ أيّام الإنسان لا تعود ملكه أثناء الهبوط. والحال أنّه كان يناقض نفسه

(١) راجع العجوز المُصاب بالربو في *الطاعون*، ص ١٣١٣ (طبعة لا بلبياد).

حين كان يلاحظ أنّ الله غير موجود، وهو ما يجعل وجود الكهنة غير مجدٍ، إلاّ أنّ هذه الفلسفة كانت تُنسب لمزاجه المتكدّر بسبب جمع رعيّته المتكرّر للتبرّعات.

وكان التمنّي العميق الذي كان يردّده على مسامع من يهمّه الإصغاء، يكمل شخصيّته: فقد كان يأمل الموت، عجوزًا جدًّا.

*

أهناك قلّة احتراف مأساويّة؟

*

بعد أن بلغ العبثيّة، ومحاولاً العيش إثر ذلك، يلحظ رجل أنّ الوعي هو أصعب شيء يحافَظ عليه، إذ تكون الظروفُ تقريبًا معاكسة دومًا. الأمر يتعلّق بعيش وضوح الرؤية في عالمٍ التشتّتُ فيه هو القاعدة.

يتنبّه هكذا إلى أنّ المشكِلة الحقيقيّة، حتى من *دون إله*، هي مشكلة الوَحدة النفسيّة (فعليًّا، لا يطرح العمل على العبثيّة إلاّ مشكلة وحدة العالم والروح الميتافيزيقيّة) والسلام الداخلي. ويتنبّه أيضًا إلى استحالة هذا الأخير دونما نظام يصعب التوفيق بينه وبين العالم. *وهاهنا تكمن المشكلة*. إذ ينبغي بالضبط التوفيق بينه وبين العالم. فما ينبغي إنجازه هو *القاعدة في العصر*.

العائق، هو *الحياة الماضية* (المهنة، الزواج، الآراء السابقة، إلخ)، وما سبق أن جرى. عدم إغفال أيّ من عناصر هذه المشكلة.

*

الكاتب الذي يحكي ويستغلّ ما لم يعشه أبدًا، كريه. لكن حذار، فليس القاتل هو أفضل من يحكي عن الجريمة (لكن، أليس هو أفضل من يحكي عن جريمته؟ هذا حتى ليس مؤكّدًا). ينبغي تصوّر مسافة معيّنة ما بين الخلق والفعل. فالفنّان الحقيقي يتواجد على مسافة وسطى ما بين مخيّلته وأفعاله. وهو «القادر أن». فهو يكون ما يصفه، ويعيش ما يكتبه. الفعل وحده هو ما يحدّه، وقد يصبح مَن فعَل.

*

«لا يسامح الكبار أبدًا مرؤوسيهم على امتلاك ملامح العظمة». (*كاهن القرية*).

المرجع السابق. «لم يعد هناك خبز». فيرونيك ووادي دو مونتينياك ينموان من «*الزمن نفسه*». الرمزيّة هي ذاتها في *الزنبق*. [*الزنبق في الوادي*، رواية لبلزاك ضمن روايات *الكوميديا الإنسانيّة*].

للقائلين إنّ بلزاك يكتب بشكل سيّئ، مراجعة وفاة السيّدة غراسلان: «صفا فيها كلّ شيء، تنقّى وأضاء، وبدا على وجهها ما يشبه انعكاس السيوف المشعّة للملائكة المحيطة بها».

دراسة امرأة: الأسلوب غير شخصيّ، إلاّ أنّ بيانشون هو من يروي.

آلان عن بلزاك: «تكمن عبقريّته في الاستقرار في الأوسطيّ العادي وجعله رائعًا من دون تغييره».

بلزاك والمدافن في *فيرّاغوس*.

الأسلوب الباروكي لدى بلزاك: الصفحات عن الأرغن في *فيرّاغوس* وفي *دوقة لانجيه*.

تتوهّج تلك الشعلة التي ترى الدوقة انعكاسها المتوقّد والغامض عند مونتريفو، في كلّ أعمال بلزاك.

* *

يوجد نوعان من الأساليب، مدام لافاييت وبلزاك. الأول يمتاز في التفاصيل، والآخر يتشكّل ككتلة بحيث تكفي بالكاد أربعة فصول لإعطاء فكرة عنه. يكتب بلزاك جيّدًا، ليس *بالرّغم من* أخطائه الفرنسيّة، وإنّما *معها*.

*

سرُّ عالمي أنا: تخيّل الإله من غير الخلود البشريّ.

*

شارل مورغان ووحدة الفكر: هناء النيّة الواحدة ـ موهبة الامتياز الراسخة ـ «النبوغ هو تلك القدرة على الموت»، التعارض مع المرأة ومع حبّها التراجيدي للحياة ـ العديد من الموضوعات، ومقدارها من الحنين.

*

أبيات من شكسبير:

«لرؤية الحوافّ المظلمة التي تُفتح للعميان»

ـ كلّ مجانين ذلك العمر

الذين، بموتهم من أجل الخير، عاشوا في الجريمة».

*

البلدان التي تؤوي الجمال هي الأكثر صعوبة في الدفاع عنها ـ لشدّة رغبتنا بتحييدها. وبالتالي، فعلى الشعوب الفنّانة أن تكون الضحيّة المفضلّة للشعوب الجاحدة ـ لو لم يكن حبّ الحرّيّة متقدّمًا على حبّ الجمال في قلوب البشر. إنّها حكمة غريزيّة ـ لأنّ الحرّيّة هي مصدر الجمال.

*

تقترح كاليبسو على أوليس أن يختار ما بين الخلود وأرض أجداده. فيرفض الخلود. ربّما كان هذا كلّ معنى الأوديسة. في النشيد (XI)، أوليس والأموات أمام الحفرة الملأى بالدم ــ وأغممنون يقول له: «لا تكن طيّبًا جدًّا مع امرأتك، ولا تسرّ لها بكلّ خواطرك».

*

يلاحظ أيضًا بأنّ الأوديسة تتحدّث عن زوس كأبٍ خالق. تهوي يمامة على الصخرة، «إلاّ أنّ الأب يخلق غيرها لكي يكتمل العدد».

XVII . ــ الكلب آرغوس.

XXII. ــ تُشنق النساء اللواتي سلّمن أنفسهنّ ــ قسوة لا تصدّق.

*

ودائمًا بشأن ستندال كاتب الحوليّات ــ مراجعة اليوميّات، ص ٢٨ ــ ٢٩.

«قد يكون أقصى الوله هو قتل ذبابةٍ من أجل العشيقة».
«وحدهنّ النساء ذوات الشخصيّة القويّة يمكنهنّ إسعادي».

وهذه السمة: «كان ذا مظهر متراخٍ ومهملٍ، كما يحدث دائمًا للرجال الذين ركّزوا طاقتهم على نقطة حيويّة أو اثنتين».

(ت) II: «أحسستُ جدًّا هذا المساء بحيث آلمتني معدتي».

ستندال الذي لم يخطئ بشأن مستقبله الأدبي، أخطأ بشدّة بشأن مستقبل شاتوبريان: «أراهن أنّ النسيان سيكون قد طوى كتاباته في العام ١٩١٣».

*

جملة (تقديم) لـــ (هـــ.) هاين: «كان يحبّ ورود برينتا».

*

فلوبير: «رجل يحاكم آخر، هو عرض يجعلني أفقع ضحكًا لولا أنّه لا يثير شفقتي».

*

ما رآه في جنوى: «مدينةٌ من الرخام، وحدائق ملأى بالورود».

و«تكمن الحماقة في رغبة الاستنتاج».

*

رسائل فلوبير.

الجزء الثاني. «بشكل عام، النجاح مع النساء هو من مواصفات العاديّة الأوسطيّة»(؟)

كما سبق: «العيش كبرجوازي والتفكير كنصف إله»؟ مراجعة قصّة الدودة الوحيدة.

«التحف الفنيَّة حمقاء، إنّها وديعة الملامح كالبهائم الكبيرة».

«لو انّني أحببتُ وأنا في السابعة عشرة من عمري، فأيّ فنّان كنت سأكون اليوم!».

*

«في الفنّ، لا ينبغي الخوف أبدًا من *المبالغة*... إنّما على المبالغة أن تكون مستمرّة ـ متناسقة مع ذاتها»[1].

هدفه: التقبّل الساخر للوجود وإعادة تشكيله كاملاً بواسطة الفنّ. «فالعيش لا يعنينا».

شرْح الإنسان بهذه الكلمة ـ المفتاح البعيدة الأثر: «أنا أصرّ على أنّ السخرية تتاخم العفّة».

كما سبق: «لو لم تقُدنا الأفكار المغلوطة، ما كنّا لننفعل في هذا العالم شيئًا» (فونتونال).

للوهلة الأولى، تبدو حياة الإنسان أكثر أهمّيّة من أعماله الفنّيّة. فهي تشكّل كلاًّ عنيدًا ومتصلّبًا فيما تسود وحدة الفكر. هناك نفَس

---

(1) نقرأ في أعلى المخطوطة: «مراجعة رسائل بيرليوز. بحث لاهوتي ـ سياسي».

وحيد عبر تلك الأعوام كلّها. الرواية، هي ذلك النفَس. للمراجعة طبعًا.

*

دائمًا، هناك فلسفة لتبرير نقص الشجاعة.

*

خوفًا من نعته بالأدبي الإنشائي، يحاول النقد الفنّي أن يحكي لغة الفنّ التشكيلي، وهنا يكون أدبيًّا. تتبغي العودة إلى بودلير. التبدّل البشري، إنّما *الموضوعي*.

*

السيّدة (ف). وسط روائح لحم نتن، ٣ قطط، كلبان، تتحدّث عن النشيد الداخلي. المطبخ مغلق. وفيه حرارة مخيفة.

يتّكئ ثقل السماء والقيظ بأكمله على الخليج. كلّ شيء منير. لكنّ الشمس اختفت.

*

تتبغي معالجة مصاعب الوحدة بشكل كلّيّ.

*

مونتانيو: حياة منزلقة، قاتمة وبكماء.

*

يعاني العقل الحديث من اضطراب تامّ. لقد مُطّت المعرفة إلى درجة فقد معها العالمُ والروح كلّ نقطة ارتكاز. معاناتنا من العدميّة هي أمر واقع. بيد أنّ الأكثر روعة هو العظات عن «العودات»[١]. العودة إلى العصور الوسطى، العودة إلى العقليّة البدائيّة، إلى الأرض، إلى الدين وإلى ترسانة الحلول القديمة. ولإضفاء مسحة فعاليّة على هذه العقاقير، علينا التصرّف كما لو أنّ معارفنا اضمحلّت ـ كما لو أنّنا ما تعلّمنا شيئًا ـ وادّعاء محو ما ليس قابلاً للامّحاء. علينا أن نشطب بضربة قلم كلّ ما منحتنا إيّاه قرون عديدة ومكتسَبات لا تُدحض لفكرٍ (وهنا آخر علامات تقدّمه) يعيد في نهاية المطاف خلقَ الفوضى لحسابه الخاصّ. هذا أمر مستحيل. للشفاء، ينبغي تقبّل صفاء الذهن ذاك ووضوح الرؤية تلك. فالعقل ليس في حالة اضطراب لأنّ المعرفة قلبت العالم. إنّه في حالة اضطراب لأنّه لا يجيد التعاطي مع هذا الانقلاب. فهو «لم يعتد على هذه الفكرة». فليعتد عليها ويختفِ الاضطراب، ولا تبق إلاّ البلبلة والمعرفة الواضحة التي كوّنها الفكرُ عنهما. حضارةٌ ينبغي إعادة صنعها برمّتها.

*

على الإثباتات وحدها أن تكون ملموسة.

*

---

(١) إشارة إلى الخطب والكتابات في حقبة الماريشال بيتان.

يقول مونتيسكيو، «سوف تضيع أوروبا بسبب رجالها صانعي الحروب».

*

من يمكنه القول: لقد حظيتُ بثمانية أيّام ممتازة. ذكراي تقول لي ذلك، وأنا أعرف أنّها لا تكذب. أجل، هذه صورة ممتازة، كما كانت ممتازةً تلك الأيّام الطويلة. لقد كانت كلّ تلك المسرّات جسديّة وحازت كلّها على رضا الروح. هنا يكمن الكمال، التوافق مع شرطنا، والاعتراف بالإنسان واحترامه.

كثبان مديدة، وحشيّة وطاهرة! عيد المياه الصباحيّة السوداء جدًّا، مياه الظهيرة الشفّافة جدًّا، ومياه المساء الدافئة والذهبيّة. صباحات مديدة فوق الكثبان وبين الأجساد العارية، ظهيرة ساحقة، وينبغي تكرار البقيّة، وإعادة ما سبق أن قيل. هنا كان الصِبا. هنا يوجد الصبا، وفي سن الـ ٣٠، لست أرغب إلاّ بذلك الصبا وبمواصلته. لكن...

*

بقيت كتب كوبرنيكوس وغاليليو على الهامش حتى العام ١٨٢٢. ثلاثة قرون من المعاندة، أمرٌ ظريف.

*

عقوبة الإعدام. يُقتل المجرم لأنّ الجريمة تستنفد كل ملكة العيش لدى إنسان. فإذا قَتل، يكون قد عاش كلّ شيء. ويمكنه الموت. جريمة القتل تستنفد.

*

بمَ يتميّز أدب القرن التاسع عشر والقرن العشرين على وجه الخصوص، عن أدب القرون الكلاسيكيّة؟ هو أيضًا أخلاقيّ طالما أنّه فرنسي. إلاّ أنّ الأخلاقيّة الكلاسيكيّة هي أخلاقيّة نقديّة (باستثناء كورناي) ــ سلبيّة. وعلى العكس، أخلاقيّة القرن العشرين إيجابيّة: إذ إنّها تحدّد *أساليب عيش*. انظر البطل الرومنطيقي، ستندال (إنّه من عصره تمامًا، ولكن من هذا المنطلق)، باريس، مونترلان، مالرو، جيد، إلخ.

*

نفهم «العَوْد الأبدي» بشكل أفضل إذا ما تخيّلناه تكرارًا للّحظات الكبرى ــ كما لو كان كلّ شيء يهدف إلى إعادة إنتاج أو إلى ترداد أصداء لحظات الذروة في حياة البشريّة. الرسّامون البدائيّون الإيطاليّون أو إنجيل يوحنّا، يُحيون، يقلّدون، ويعلّقون إلى ما لا نهاية على «انتهى كلّ شيء» فوق الجبل المقدّس. كلّ الهزائم فيها شيء من أثينا المشرّعة الأبواب أمام الرومان البرابرة، وكلّ الانتصارات تذكّر بمعركة سلامين، إلخ، إلخ.

*

برولار: «لطالما أشعرتني مؤلّفاتي بالخفر نفسه الذي توحي لي به غرامياّتي».

كما سبق: «صالة فيها ثمانية رجال أو عشرة، لنسائهم جميعهنّ عشّاق، حيث المحادثات مرحة وممازحة، وحيث يتمّ تناول مشروب خفيف عند الثانية عشرة والنصف ليلاً، هو المكان في العالم حيث أشعر أنّي على أفضل ما يرام».

*

هاجس الاعتقال[1]: لدى إرساله المعاش الشهري إلى ابنه، أضاف مائة فرنك. فهو مدفوع إلى الشفقة والكرم، وقد جعله القلق معطاءً.

هكذا يصبح الرجلان المطارَدان في المدينة طوال النهار، أكثر رحمة وشفقة ما إن يتمكّنان من الكلام. يبكي الأول وهو يحكي عن امرأته التي لم يرها منذ عامين. تصوّروا الأمسيات حيث يهيم المطارَد وحيدًا في المدينة.

*

(أ. ج. ت.) حول *الغريب*.

---

(1) مراجعة *الطاعون* ص ١٢٦١، (طبعة لا بلبياد).

إنّه كتاب مدروس جدًّا والنبرة... مقصودة. صحيح أنّه يسمو أربع أو خمس مرّات، وإنّما ذلك تفاديًا للرتابة وسعيًا إلى التركيب. لا يبرّر «غَريبي» ذاته مع المرشد. إنّه يغضب، والأمر مختلف جدًّا. قد تقولون، عليّ أنا أن أشرح؟ أجل، وقد فكّرت بالأمر طويلاً وقرّرت ذلك لأنّي أردت لشخصيّتي أن تبلغ المشكلة الكبيرة الوحيدة عن طريق اليوميّ والطبيعيّ. وكان يجب التركيز على تلك اللحظة المهمّة. من جهة أخرى، لاحظوا عدم وجود قطيعة في الشخصيّة التي تكتفي *بالردّ على الأسئلة* في ذلك الفصل كما في الفصول الأخرى. في السابق، كان الأمر يتعلّق بتلك الأسئلة التي يطرحها الجميع علينا كلّ يوم – وهي في هذه اللحظة، أسئلة المرشد. هكذا، أحدّد الشخصيّة بشكل سلبيّ.

طبيعيًّا، يتعلّق ذلك كلّه بالوسائل الفنّيّة وليس بالغاية، إذ يكمن معنى الكتاب تحديدًا في التوازي بين الجزئين. الخلاصة: يحتاج المجتمع أناسًا يبكون في جنازة أمّهاتهم؛ أو أنّنا لا نعاقَب أبدًا على الجريمة التي نظنّ. على كلّ حال، ما زلت أرى عشر خلاصات أخرى ممكنة.

*

أقوال نابوليون الكبرى. «السعادة هي أكبر تطوير لمقدراتي».

قبل جزيرة إلب: «نذلٌ حيّ أفضل من أمبراطور ميّت».

«الرجل العظيم فعلاً يضع دومًا نفسه ما فوق الأحداث التي صنعها».

«علينا أن نريد العيش وأن نعرف كيف نموت».

*

انتقادات حول *الغريب*. «العظات الأخلاقيّة» تتفشّى. أغبياء أنتم يا من تعتقدون أنّ الرفض استسلامٌ في حين أنّه خيار. (يُظهر كاتب الطاعون الجانب البطولي للرفض). لا توجد حياة أخرى ممكنة لإنسان محروم من الإله ــ والناس كلّهم هكذا. تصوُّرُ أنّ الفحولة هي في التقلقل التنبّؤي والعظمة في التكلّف الروحي. إلاّ أنّ هذا الكفاح من خلال الشعر وظلماته، وذاك التمرّد الظاهري للفكر هما *الأقلّ كلفة*. إنّهما غير فاعلين، والطغاة يعرفون ذلك جيّدًا.

*

دونما غد[1].

«ما الذي أتأمّله وهو أكبر منّي، وأشعره دون أن أتمكّن من تحديده؟ نوع من المسيرة الشاقّة نحو قداسة الرفض ــ بطولة دونما

---

(1) يبدو أنّ عبارة *دونما* غد قد أُضيفت إلى المخطوطة يدويًّا بعد مراجعتها.

إله ـــ الإنسان الخالص أخيرًا. كلّ الفضائل البشريّة، بما فيها الوحدة حيال الإله.

ما الذي يشكّل تفوّق نموذج (الوحيد) المسيحيّة؟ المسيح وقدّيسوه ـــ البحث عن *أسلوب حياة*. سوف يتضمّن هذا الإنجاز القدر نفسه من الأشكال والمراحل على درب كمالٍ لا يجازى. *الغريب* هو الدرجة صفر. وكذلك *الأسطورة*. *الطاعون* تطوّرٌ لا من الصفر إلى اللانهاية، وإنما نحو تركيب أكثر عمقًا يبقى أن يُصار إلى تحديده. النقطة الأخيرة ستكون القدّيس، إنّما ستكون له قيمته الحسابيّة ـــ القابلة للقياس كما هي حال الإنسان.

*

في *النقد*.

ثلاث سنوات لتأليف كتاب، وخمسة أسطر لتسخيفه ـــ مع إيراد مقاطع مغلوطة.

رسالة إلى (أ.ر.)، الناقد الأدبي (قدرها ألاّ ترسَل).

... لقد استحوذت جملة في مقالتك النقديّة على انتباهي بشكل كبير: «لا آخذ بعين الاعتبار...» كيف يمكن لناقد متنوّر واعٍ لكلّ ما هو مشغول في عملٍ فنّي، ألاّ يأخذ في عين الاعتبار، لدى رسم ملامح شخصيّة ما، *اللحظة الوحيدة* التي تتحدّث فيها تلك عن نفسها فتبوح للقارئ بشيء من سرّها؟ وكيف لم تشعر بأنّ النهاية هي

أيضًا نقطة تجمّع، مكان مميّز حيث يلتمّ أخيرًا على نفسه الكائنُ المبعثر المشتّت جدًّا الذي وصفته.

... أنت تنسب إليّ طموح أن أبدو واقعيًّا. الواقعيّة كلمة فارغة من المعنى (*مدام بوفاري والممسوسون* روايتان واقعيّتان ولا شيء مشتركًا بينهما). وأنا لم أهتمّ بذلك كثيرًا. وإذا كان لا بدّ من إعطاء شكل ما لطموحي، فسوف أحكي بالأحرى عن الرمز. وأنت قد شعرتَ به على كلّ حال. إلاّ أنّك منحته معنًى لا يملكه ونسبت إليّ بشكل مجّاني فلسفة سخيفة. وبالفعل، لا شيء في هذا الكتاب يسمح لك أن تؤكّد أنّي مؤمن بالإنسان الطبيعي، أنّي أماثل بين كائن بشري ومخلوق نباتي، وأنّ الأخلاق غريبة على الطبيعة البشريّة، إلخ، إلخ. فالشخصيّة الرئيسيّة لا تقوم بأيّ مبادرة. ألم تلاحظ أنّها تكتفي دومًا *بالإجابة على الأسئلة*، أسئلة الحياة وأسئلة الناس. وهي بالتالي لا تؤكّد البتّة شيئًا. أنا لم أعط عنها إلاّ صورة سلبيّة. فلم يكن هناك ما يبرّر حكمك المسبق على موقفها العميق، ما عدا الفصل الأخير بالضبط. إلاّ أنّك «لا تأخذه بعين الاعتبار».

إنّ بواعث هذه الرغبة «بقول الأقلّ» طويلة جدًّا لكي أذكرها لك. لكن يمكنني على الأقلّ أن أتأسّف لأنّ تحليلاً سطحيًّا دفعك إلى إعارتي فلسفة سخيفة لست مستعدًّا لقبولها. ستستوعب بشكل أفضل ما أقوله لو أشرتُ بأنّ الجملة الوحيدة المأخوذة من كتابي في مقالتك مغلوطة (إيرادها وتعديلها) وأنّها أيضًا في أساس استنتاجات

غير شرعيّة. فربّما كانت هناك فلسفة أخرى لامستَها من خلال وصف عبارة «لا إنسانيّة». لكن، ما الفائدة من برهنة ذلك؟

سترى ربّما أنّها ضجّة كبيرة تُثار حول كتاب صغير لكاتب مجهول. لكن، أعتقد أنّ الأمر في هذه المسألة قد تجاوزني. فقد وضعت نفسك في موقع من يعطي وجهة نظر أخلاقيّة، وهو ما منعك من الحكم بالتبصّر والموهبة المعروفين عنك. الموقف هذا لا يُحتمل، وأنت أفضل من يعرف ذلك. هناك حدود غائمة جدًّا بين انتقاداتك وتلك التي قد تُصاغ قريبًا بأسلوب أدبيّ موجّه (جرى ذلك منذ زمن غير بعيد)، نحو الطابع الأخلاقيّ أو غير الأخلاقيّ، لهذا العمل أو ذاك. وأقول لك دونما غضب إنّه أمر كريه. فلا أنت ولا سواك مؤهّلون، الآن أو أبدًا، أن تحكموا إذا ما كان العمل الأدبي يخدم الأمّة أو يسيء إليها. وأنا أرفض في مطلق الأحوال الخضوع لأحكام مماثلة، وهذا هو دافع رسالتي. سأكون ممتنًا لك إن صدّقتَ بالفعل أنّي قد تقبّلت بهدوء انتقادات أكثر خطورة، إنّما مصاغة بروحيّة أقلّ تزمّتًا.

وفي مطلق الحال، بودّي ألاّ تفضي هذه الرسالة إلى سوء فهم جديد، لأنّها لا تصدر عن كاتب مستاء. بل إنّي أطالبك بألاّ تنشر شيئًا منها، إذ قلّما رأيتَ اسمي في مجلاّت اليوم بالرّغم من سهولة النشر فيها، فليس لديّ ما أقوله فيها ولا أحبّ التضحية من أجل الدعاية. أنا أقوم حاليًّا بنشر كتبٍ اقتضت سنوات من الجهد، لسبب

بسيط هو أنّها انتهت وأنّي أعدّ ما سوف يليها. أنا لست أتوقّع منها أيّ كسب ماديّ ولا أيّ اعتبار. بل آمل فقط أن تحوز على الانتباه والأناة اللذين يُوليان لأيّ مشروع حسن النيّة. لكن يبدو أنّ المطلب هذا نفسه مبالَغ به. ومع ذلك، تفضّل يا سيّدي بقبول مشاعر الصدق والاحترام.

*

دخلت ثلاث شخصيّات في تركيبة *الغريب*: رجلان (أحدهما أنا) وامرأة.

*

بريس باران. بحثٌ حول العقل الأوّل (لوغوس) عند أفلاطون[1]. يُدرس اللوغوس كلغة. يقوم على إيلاء أفلاطون فلسفة تعبير. ويصوّر جهد أفلاطون في سعيه إلى واقعيّة متعقّلة. ما هو «التراجيدي» في المسألة؟ إن لم يكن للغتنا من معنى، فلا شيء له معنى. وإذا كان السفسطائيّون محقّين، فإنّ العالم يفتقد المعنى. ليس حلّ أفلاطون نفسيًّا، إنّه مرتبط بالكون. ما هو الاستثنائي في موقف باران: إنّه يعتبر مسألة اللغة قضيّة ميتافيزيقيّة، لا اجتماعيّة أو نفسيّة. إلخ، إلخ. انظر الملاحظات.

---

(1) كرّس ألبير كامو لبحث بريس باران مقالة بعنوان: «حول فلسفة التعبير»، في *شعر ٤٤*، الرقم ١٧.

*

عمّال فرنسيّون ـــ هم الوحيدون الذين أشعر معهم بالراحة وأرغب بمعرفتهم و«بعيشهم». إنّهم مثلي أنا.

*

نهاية آب/أغسطس ١٩٤٢

الأدب. المحاذرة من هذه الكلمة. عدم التلفّظ بها بسرعة. إذا ما انتُزِع الأدب من الكتّاب الكبار، فسيكون قد انتُزِع منهم ما هو الأكثر ذاتيّة على الأرجح. الأدب = الحنين. الإنسان المتفوّق لدى نيتشه، الهاوية لدى دوستويفسكي، الفعل المجّاني لدى جيد، إلخ، إلخ.

*

صوت الينابيع ذاك، طوال نهاراتي. إنّها تسيل من حولي عبر المراعي المشمسة، وتصير من ثم أكثر اقترابًا منّي، وعمّا قريب سيكون صوتها فيّ، وسيرافق ذاك الينبوع في القلب وصوت تلك النافورة، كلّ أفكاري. إنّه النسيان.

*

الطاعون. يستحيل الخلاص منه. العديد من «المصادفات» هذه المرّة أثناء الكتابة. ينبغي ملازمة الفكرة عن كثب. *الغريب* يصف

عري الإنسان في مواجهة العبثيّة. *الطاعون*، التعادل العميق بين وجهات النظر الفرديّة في مواجهة العبثيّة نفسها. إنّه تطوّر سوف يتحدّد في أعمال أخرى. ولكن، إلى جانب ذلك، يبرهن *الطاعون* أنّ العبثيّة لا تعلّم شيئًا. هذا هو التطوّر النهائي.

*

بانيوليه[١]. قبل شروق الشمس، على الهضاب المرتفعة، لا تتمايز أشجار التنّوب عن الخطوط المتموّجة التي تساندها. ومن ثم، من الخلف ومن بعيد لبعيد، تذهّب الشمسُ قممَ الأشجار التي تبدو على خلفيّة سماءٍ ملوّنة بالكاد، وكأنّها جيش من المتوحّشين المُرتدين أزياء من الريش ينبثق من وراء الهضبة. وكلّما علت الشمس وأُنيرت السماء، كبرت أشجار التنّوب وبدا جيشُ البرابرة وكأنّه يتقدّم محتشدًا في ضوضاء الريش قبل الهجوم. فيما بعد، حين تكون الشمس قد ارتفعت بشكل كاف، تنير فجأة الأشجارَ المنحدرة فوق جوانب الجبال. إنّه سباق وحشيّ نحو الوادي، وبداية صراع وجيز ومأساويّ يطرد برابرةُ النهار خلاله الجيشَ الهشّ لأفكار الليل.

*

---

(١) لأسباب صحيّة، أمضى كامو شهورًا عدّة بين شتاء ١٩٤٢ وربيع ١٩٤٣، في بانيوليه بالقرب من شامبون ــ سور ــ لينيون.

ليس المؤثّر في جويس هو عمله الأدبي، بل إنّه قد قام به. التمييز هكذا بين ما هو مثير للشجن في العمل ـ وهو ما ليس له علاقة بالفنّ ـ وبين الانفعال الفنّي بالمعنى الخالص للكلمة.

*

إقناع الذات بأنّ العمل الفنّي مسألة بشريّة وبأنّ الخالق لا يتوقّع شيئًا من «إملاء» متسام. لقد كان من الممكن أن تكون «لاشارتروز»، «فيدر» و«أدولف» مختلفة جدًّا ـ من دون أن تقلّ جمالاً. فالأمر يتعلّق بكاتبها، السيّد المطلق.

*

لن يستطيع بحثٌ يُجرى حول فرنسا بعد عدّة أعوام، التغاضي عن إشارة إلى الحقبة الحاليّة. حضرت الفكرة هذه في قطار المقاطعة[١] عند رؤية تعاقب تلك الأوجه والقامات لفرنسيّين مكدّسين في محطّات صغيرة جدًّا، والتي يصعب نسيانها: أزواج من الفلاّحين، هي مجعّدة ممصوصة، وهو أملس الوجه تنيره عينان فاتحتان وشارب أبيض ـ قامات لواها شتاءان من الحرمان ترتدي أطقمًا لامعة مرتوقة. لقد غادرت الأناقة هذا الشعب الذي يسكنه

(١) كان كامو يقصد شامبون–سور–لينيون في سان– إتيان كلّ أسبوع، لتلقّي علاج صحّي.

البؤس. في القطارات، الحقائب تعبة، مغلقة بحبال رفيعة، ومرتوقة بالكرتون. يبدو الفرنسيّون كلّهم وكأنّهم مهاجرون.

كما سبق. في المدن الصناعيّة ـ يضع ذلك العامل العجوز الذي ألمح عبر النافذة، نظّارتين مستديرتين صغيرتين ويفيد من آخر أضواء النهار لكي يقرأ كتابه المفتوح على راحتيه المبسوطتين.

في محطّة القطار، يبتلع شعبٌ متعجّل بأكمله طعامًا مقزّزًا دونما تذمّر، ثم يخرج إلى المدينة المظلمة، يتجاور دون أن يختلط، ويعود إلى فندقه، غرفته، منزله، إلخ. حياة ميئّسة وصامتة، تتحمّلها فرنسا كلّها فيما هي تعيش حالة انتظار.

ونحو ١٠، ١١، ١٢ من الشهر، يدخّن الجميع. وفي ١٨، من المستحيل إيجاد ولاّعة في الشارع. في القطارات، يتحدّثون عن الجفاف. إنّه هنا أقلّ سوءًا ممّا هو في الجزائر، من دون أن يكون أقلّ مأساويّة. يروي أحد العمّال بؤسه: شقّته المؤلّفة من غرفتين على مسافة ساعة من سان ـ إتيان. ساعتان على الطريق، ثماني ساعات في العمل ـ لا شيء للأكل في المنزل ـ إنّه أفقر من أن يشتري من السوق السوداء. امرأة شابّة تعمل كغسّالة لأنّ لديها ولدين، وزوجها عاد من الحرب بقرحة في المعدة. «يحتاج لحمًا أبيض مشويًّا. أين سأجد ذلك. جلبت له شهادة حمية، فصار يحصل

على ٣/٤ لتر حليب، لكنّهم حذفوا حصّته من السمن. هل شاهدتم رجلاً يتغذّى بالحليب فقط؟» أحيانًا، تُسرق منها قطع من ملابس الزبائن، فتضطرّ هي إلى دفع ثمنها.

في تلك الأثناء، يُغرق المطر المنظر اللزج لوادٍ صناعيّ ــ الرائحة الجارحة الحامضة لهذا البؤس، والشدّة الفظيعة لتلك الحيوات.

سان ــ إتيان في الصباح وفي الضباب، مع صفّارات الإنذار المنادية إلى العمل، وسط ركام فوضوي من الأبراج والمباني والمداخن الضخمة التي تقذف إلى فوهاتها، ومن ثم نحو السماء المعتمة، حمولتَها من الأوساخ، كقالب حلوى ذبائحيّ عملاق.

*

بودوجيفتز، الفصل الثالث[١]. تعود الأخت بعد انتحار الأمّ.

مشهد مع المرأة: ــ باسم ماذا تتحدّثين ؟

ــ باسم الحبّ.

ــ وما يكون ؟

---

(١) أفكار لمسرحيّة سوء التفاهم، الفصل الثالث، المشهد ٣، ص ١٧٤، (طبعة لا بليياد).

تخرج الأخت مؤذنة بالنهاية. تصرخ المرأة وتنتحب. تدخل الخادمة الصموتة وقد جذبها صوت النحيب:

ــ آه هذه أنت، ساعديني أنت على الأقلّ!

ــ لا. (ستارة).

*

لكلّ الفضائل الكبرى وجهٌ عبثيّ.

*

الحنين إلى حياة الآخرين. إذ إنّها تشكلّ كلاًّ من الخارج. في حين تبدو حياتنا مبعثرةً، مرئيّةً من الداخل. ما زلنا نلهث وراء وهم الوَحدة.

*

يشرح العلم ما يعمل، وليس ما هو *كائن*. مثال: لماذا توجد أنواع مختلفة من الزهور لا نوع واحد؟

*

رواية. «كان ينتظرها صباحًا في زاوية مرجٍ تحت أشجار الجوز الوارفة، في هواء الخريف البارد. طنين النحلات الفاتر، الريح في الأوراق، ديك مِصرّ على الصياح من خلف الهضاب،

نباح أجوف، ومن بعيدٍ لبعيد نعيق غراب. ما بين سماء أيلول الداكنة والأرض الرطبة، تكوّن لديه انطباع بأنّه ينتظر الشتاء ومارت في آن.

*

يلغي التزاوجُ مع الحيوانات الوعي بالآخر. إنّه «حريّة». لذا فهو قد جذب العديد من العقول، وصولاً إلى بلزاك.

*

بانولييه. مطرة أيلول الأولى مع ريحٍ خفيفة تخلط الأوراق الصفراء بالمطر. تطير لوقتٍ إلى أن يلصقها وزنُ الماء الذي تحمله في الأرض فجأة. عندما تكون الطبيعة تافهة، كما هي هنا، نلمح بشكل أفضل تغيّر الفصول.

*

طفولة فقيرة. المعطف كبير جدًّا ـــ القيلولة. لعبة فينغا ـــ نهار الأحد عند الخالة. الكتب ـــ المكتبة البلديّة. العودة مساء عيد الميلاد والجثّة أمام المطعم. الألعاب في القبو (جانّ، جوزيف وماكس). تجمع جانّ الأزرار كافّة، «هكذا يصبح المرء ثريًّا». قيثارة الأخ وجلسات الغناء ـــ جلوفة.

*

رواية. عدم وضع كلمة «الطاعون» في العنوان. وإنّما شيء من نوع «السجناء».

*

أفاكّوم[1] مع زوجته في ثلوج سيبيريا، سيرًا على الأقدام. زوجة رئيس الكهنة: «يا رئيس الكهنة، أما زال أمامنا عذاب طويل»؟ أفاكّوم: «حتى الموت، يا ابنة مرقس». فتجيبه هي متنهّدةً: «حسنًا يا ابن بطرس، هيّا بنا إذًا نتابع سيرنا».

*

الكورنثيون، VII، ٢٧: «أنت موثق إلى امرأتك، فلا تسعَ أبدًا إلى حلّ وثاقك. وإذا كنت من غير وثاق، فلا تسعَ إلى امرأة أبدًا».

لوقا، VI، ٢٦: «الويل لك حين يقول فيك كلّ الناس خيرًا».

بصفته رسولاً، كان يهوذا يصنع المعجزات (القدّيس يوحنّا كريزوستوم).

*

يملك تشوانغ تسو (الثالث من فلاسفة التاو الكبار ـ النصف الثاني من القرن الرابع ق م.) وجهة نظر لوكراس نفسها: «يرتفع الطير الكبير فوق الريح حتى علوّ ٩٠٠ أستديوم [وحدة طول

(1) مذكّرات أفاكّوم، ترجمها عن الروسيّة بيار باسكال، ١٩٣٩، غاليمار.

إغريقية = ١٧٧،٦ م]. وما يراه من علٍ هو قطعان الجياد البرّيّة المنطلقة عدْوًا».

*

حتى الحقبة المسيحيّة، لم يكن يجري تصوير بوذا لأنّه في حالة نرفانا، أي زائل الذاتيّة.

*

بحسب بروست، ليست المسألة في كون الطبيعة تقلّد الفنّ، بل في أنّ الفنّان الكبير يساعدنا على أن نرى في الطبيعة ما عرف عملُه الفنّي أن يعزله بطريقة استثنائيّة. كلّ النساء يصبحن لوحات لرينوار.

«عند أسفل السرير، وقد اختلجت بكلّ نفحات الاحتضار ذاك، وقد تبلّلت أحيانًا بالدموع دونما بكاء، كانت لوالدتي هيئة أسى لا يفكّر كذاك الذي لورقة تسوطها الأمطار وتقلّبها الريح». (غي)[1].

من النادر أن تخرج من حياتنا فجأة، وبطرقة نهائيّة، الكائناتُ التي لعبت دورًا مهمًّا في حياتنا. (غي).

«*البحث عن الزمن الضائع* عمل بطوليّ ورجوليّ»،

١) بثبات الإرادة المبدعة؛

---

(١) (غي) اختصار غيرمانت.

٢) وبالجهد الذي تتطلّبه من مريض.

«عندما أرغمتني النوبات على البقاء أيّامًا وليالي عديدة متتالية، لا من دون رقاد فحسب، وإنّما من دون الاستلقاء والأكل والشرب، وفي اللحظة التي أصبح فيها الإنهاك والعذاب شديدين إلى درجة ظننت معها أنّي لن أنجو أبدًا، كنت أفكّر في مسافرٍ مرميّ على الحصى، مسموم بأعشاب مضرّة، ومرتجف من الحمّى في ثيابه المبلولة بمياه البحر، تتحسّن حاله مع ذلك بعد يومين، فيستأنف طريقه مصادفةً بحثًا عن سكّان قد يكونون من آكلي لحوم البشر. وكان مثلٌ كهذا ينشّطني ويعيد إليّ الأمل، فأشعر بالخجل من كوني قد شعرت للحظة بالإحباط». (سدوم وعمورة).

*

لا يضاجع مومسًا تتحرّش به ويرغب بها، إلاّ لأنّه لا يحمل سوى ورقة مائة فرنك وهو لا يجرؤ على مطالبتها بالفكّة.

*

شعور معاكس لشعور بروست: أمام كلّ مدينة، كلّ شقّة جديدة، كلّ كائن، كلّ وردة وكلّ شعلة، الافتتان بجدّتها مع التفكير بما ستفعله العادةُ بها ـ البحث في المستقبل عن «الألفة» التي ستشعرنا بها، والبحث عن الزمن الذي لم يأت بعد.

على سبيل المثال:

الوصول ليلاً إلى مدن مجهولة ـ ذلك الإحساس بالاختناق وذلك التجاوز من قبل جسم أكثر تعقيدًا بألف مرّة. إذ يكفي أن نعيّن في اليوم التالي الشارع الرئيسي، لكي ينتظم كلّ شيء نسبةً إليه ولكي نستقرّ. جمعُ لحظات الوصول الليليّة إلى مدن غريبة، والعيش من قوّة الغرف المجهولة تلك في الفنادق.

*

في القطار: «وُلد بشكل طبيعي. ولكن بعد ثمانية أيّام، التصقت أهدابه فاهترأت بالطبع عيناه».

*

كما حين نكون مشدودين إلى مدن معيّنة (غالبًا تلك التي سبق أن عشنا فيها)، إلى بعض الحيوات، أو إلى صور عن الجنس ـ ونكون بالتالي مخدوعين. فبالنسبة إلى الأقلّ روحانيّة من بيننا حتى، نحن لا نعيش أبدًا بحسب الجنس أو على الأقلّ، توجد أشياء عديدة في الحياة اليوميّة لا علاقة لها بالجنس. بحيث إنّنا بعد أن نجسّد بعناء ومن حين إلى حين، إحدى تلك الصور، تكتسي الحياة بمساحات طويلة من الوقت الفارغ شبيهةً بالجلد الميّت. وينبغي حينها أن نرغب بمدن أخرى.

*

انتقادات حول *الغريب*: اللاانفعاليّة، يقولون. العبارة سيّئة. كلمة العطف تكون أفضل.

*

بوديجوفيس (أو الإله لا يجيب)[1]. الخادمة الصموت هي خادم.

المرأة في المشهد الأخير: «يا ربّ، ارحمني والتفت إليّ. اسمعني يا ربّ. مدّ يدًا إليّ. يا ربّ أشفق على المتحابّين الذين تفرّقوا».

يدخل العجوز.

ــ هل ناديتني؟

المرأة: ــ أجل... لا... ما عدت أدري. لكن ساعدني، ساعدني، أحتاج إلى المساعدة. أشفق ووافق على مساعدتي.

العجوز: ــ كلاّ.

(ستارة).

البحث عن تفاصيل لتقوية الرمزيّة.

*

---

(1) ملاحظات خاصّة بسوء *التفاهم*، ص ١٧٩ - ١٨٠، (طبعة لا بلياد).

كيف يبقى وجهُها المتّصل بكلّ تلك العذابات، وجهَ السعادة مع ذلك بالنسبة إليّ ؟

*

رواية. أمام الجسد المحتضر للمرأة التي يحبّ: «لا أستطيع، لا أستطيع أن أدعك تموتين، لأنّي أعرف بأنّني سأنساك فأخسر هكذا كلّ شيء، وأنا أريد أن أبقيك في هذا الجانب من العالم، الوحيد حيث أنا قادرٌ على ضمّك»، إلخ، إلخ.

هي: «ياه! إنّه لأمر رهيب أن نموت ونحن مدركون أنّنا سنُنسى».

رؤية الجانبين والتعبير عنهما دومًا *وفي آن*.

*

إيجاز نواياي في *الطاعون*، بوضوح.

*

أكتوبر/تشرين الأول.

الأوراق التي اصفرّت في العشب الذي ما زال أخضر. كانت ريح قصيرة وحيويّة تطرق على السندان الأخضر للمراعي، بواسطة شمس صوتيّة، لوحًا من النور كانت تصلني أصداؤه وهي تطنّ كالنحل. جمالٌ أحمر.

رائعٌ، سامّ ووحدانيّ، كأحمر برتقاليّ.

*

يمكن أن نجد في سبينوزا تمجيدًا لما هو كائن، وليس لما يريد أو لما يجب أن يكون ـ كراهية القيم بالأسود والأبيض، التراتبيّة الأخلاقيّة ـ تعادلاً معيّنًا ما بين الفضائل والرذائل، تحت النور الإلهيّ. «يفضّل البشر النظام على الفوضى، كما لو كان النظام يطابق شيئًا واقعيًّا في الطبيعة» (ملحق، الكتاب الأوّل).

ما لا يمكن تصوّره بالنسبة إليه، ليس أنّ الإله خلق اللاكمال في الوقت نفسه مع الكمال، بل إنّه لم يخلقه. فإن كان قادرًا على خلق كلّ التشكيلة من الكامل إلى اللاكامل، لا يمكنه ألاّ يفعل. الأمر ليس سيّئًا إلاّ من وجهة نظرنا نحن، وهي ليست صحيحة.

الإله ذاك والكون ثابتان، والأسباب متوائمة. كلّ شيء معطًى لمرّة واحدة وأخيرة. لنا، إن شئنا، أن نتميّز النتائج والأسباب (من هنا الشكل الهندسي). إلاّ أنّ هذا الكون لا ينحو إلى شيء ولا يأتي من شيء، لأنّه في الأصل ناجز وهو لطالما كان هكذا. هو لا يملك مأساةً، إذ لا تاريخ له. وهو لا إنساني إلى ما لا نهاية. إنّه عالم للشجاعة.

(عالم من دون فنّ أيضًا ـ لأنّه من دون مصادفة [ملحق الكتاب الأوّل حيث ينفي أنّ فيه قبحًا وجمالاً]).

يقول نيتشه إنّ الشكل الرياضيّ (من رياضيّات) غير مبرّر لدى سبينوزا، إلاّ كوسيلة تعبير *جماليّة*.

انظر *علم الأخلاق*. يعطي الكتاب الأول، النظريّة XI، أربعة براهين عن وجود الإله. النظريّة XIV والحاشية الكبيرة في النظرية XV التي تبدو وكأنّها تنفي الخلق.

قد يُعطى الحقّ لمن يتحدّثون عن وثنيّة سبينوزا؟ ومع ذلك، فنحن نجد لديه مسلّمة (كلمة يتفاداها سبينوزا في *علم الأخلاق* بأكمله): الفراغ غير موجود (وقد برهن ذلك بالفعل في الأعمال السابقة).

ويمكننا المقابلة ما بين النظريّتين XVII وXXIV: الأولى مبرهنةً الضرورةَ، والثانية التي قد تلزم لإعادة تقديم الفرضيّة. النظريّة XXV تؤسّس علاقة المسافة والأنساق. في النظريّة XXXI، أخيرًا، الإرادة إكراه. الإله أيضًا في طبيعته الخاصّة. وتضيّق النظريّة XXXIII مزيدًا بعدُ على هذا العالم الموثّق جدًّا. بالنسبة إلى سبينوزا، تبدو طبيعة الإله أقوى منه ــ إلاّ أنّه في النظريّة XXXIII يعلن (ضدّ أنصار سيادة الخير) أنّه من العبثي إخضاع الإله للقدر.

إنّه عالم المعطى مرّةً واحدة وأخيرة، عالم «هكذا هو الأمر» ـ الضرورة فيه لامتناهية ـ أمّا نصيب الغرابة والصدفة فمعدوم. كلّ شيء فيه رتيب.

*

أمرٌ مثير للفضول. مؤرّخون أذكياء يروون تاريخ بلادٍ، يضعون كلَّ قواهم في الإشادة بتلك السياسة، الواقعيّة مثلاً، والتي هي برأيهم وراء أكبر الحقب وأهمّها في تلك البلاد. ومع ذلك، فهم يشيرون من تلقاء أنفسهم إلى أنّ تلك الحالة ما كان يمكن لها الاستمرار أبدًا، إذ أتى رجل دولة آخر أو نظام جديد، فأفسدا كلّ شيء. ولا يثنيهم ذلك عن الدفاع عن سياسة لا تصمد في وجه تبدّل الأشخاص، في حين أنّ السياسة بأكملها مصنوعة من تبدّل الأشخاص، لأنّهم لا يفكّرون ولا يكتبون إلاّ لعصرهم. البديل أمام المؤرّخين: التشكيك، أو النظريّة السياسيّة التي لا ترتبط بتبدّل الأشخاص(؟)

*

«في بعض الأحيان، بعد كلّ تلك الأيّام حيث كانت الإرادة وحدها هي الآمرة، وحيث كان ينبني ذاك العمل الذي لم يكن يقبل اللهو ولا الضعف، والذي كان يريد تجاهل المشاعر والعالم، ساعةً فساعة، آه! يا لشعور الاستسلام الذي كان يستولي عليّ، وبأيّ ارتياح كنت أرتمي في قلبِ تلك الشدّة التي كانت قد رافقتني طوال

تلك الأيّام. يا لرغبة ويا لإغراء ألاّ أكون بعد الآن شيئًا ينبغي بناؤه، وأن أتخلّى عن ذلك العمل وذاك الوجه الصعب جدًّا الذي عليّ نحته. كنت أحبّ، كنت آسف، كنت أرغب، كنت أخيرًا إنسانًا...

... سماء الصيف المقفرة، البحر الذي أحببته جدًّا، وهذي الشفاه الممدودة».

*

مُنح الإنسان الحياة الجنسيّة لإبعاده ربّما عن دربه الحقيقيّة. إنّها أفيونه. ففيها ينام كلّ شيء. وخارجها تستعيد الأشياء حياتها. وفي الوقت نفسه، تنهي العفّة الجنسَ البشريّ، وتلك هي الحقيقة ربّما.

*

لا ينبغي للكاتب أن يتحدّث عن شكوكه حيال إبداعه. إذ سيكون سهلاً جدًّا الردُّ عليه: «ومن يرغمك على الإبداع؟ إذا كان قلقًا مستمرًّا بهذا الشكل، فلم تتحمّله»؟ الشكوك هي أكثر ما لدينا من حميميّ. عدم الحديث البتّة عن شكوكنا ـــ *أيًّا كانت*.

*

مرتفعات ويذرينغ هي إحدى أكبر روايات الحبّ لأنّها تنتهي في الفشل والتمرّد ـــ أعني في الموت دونما أمل. الشخصيّة الرئيسيّة هي الشيطان. فمثل هذا الحبّ لا يمكنه أن يصمد إلاّ بالفشل النهائيّ الذي هو الموت. وهو لا يستطيع أن يستمرّ إلاّ في الجحيم.

*

أكتوبر/تشرين الأول

الأحراج الكبيرة الحمراء تحت المطر، المراعي المكسوّة كلّيّة بالوريقات الصفراء، رائحة الفطر الذي يجفّ، نيران الحطب (تتوهّج أكواز الصنوبر المتجمّرة كألماس الجحيم)، والريح التي تئنّ حول المنزل. أين يمكن إيجاد خريف بمثل هذه التقليديّة. يسير الفلاّحون الآن منحنين قليلاً ـــ ضدّ الرياح والأمطار.

في غابة الخريف، يشكّل شجر الزان بقعًا بلونٍ أصفر ذهبيّ، أو إنّه ينسحب متجمّعًا عند أطراف الغابات، كأعشاش عملاقة تفيض بالعسل الأصفر.

*

تملك رواية *الطاعون* معنًى اجتماعيًّا وآخر ميتافيزيقيًّا. إنّه بالضبط هو نفسه. اللَّبس هذا موجود أيضًا في *الغريب*.

*

يُقال: يستخفّ بالأمر كما لو كان ذبابة ـ وهذا ليس بتعبيرٍ بليغ. لكن، لنرَ الذباب يموت ملتصقًا بورقه ـ ذاك المصنوعِ من أجله ـ وسوف نفهم أنّ مبتكر هذا التعبير كان قد تأمّل طويلاً ذلك الاحتضار الفظيع والتافه ـ ذالك الموت البطيء الذي سيُصدر بالكاد رائحة تحلّلٍ صغيرة. (النبوغ هو ما يصنع التعبيرات الشائعة).

*

فكرة: إنّه يرفض كلّ ما يُعرض عليه، كلّ الأفراح التي تحضر بسبب مطلبٍ أعمق. يُفشل زواجَه، ينخرط في علاقات غير مُرضية، ينتظر، يأمل. «لا أعرف كيف أحدّد ذلك، لكنّي أشعر به». هكذا، حتى آخر حياته. «كلاّ، لن أتمكّن أبدًا من تحديده».

*

لا يفضي الجنسُ إلى شيء. هو ليس لاأخلاقيًّا، إلاّ أنّه غير منتج. تمكن ممارسته في الفترة التي لا نرغب خلالها بالإنتاج. لكنّ العفّة وحدها تتّصل بتطوّر ذاتيّ.

هناك زمن يكون الجنس فيه انتصارًا ــ عندما نخلّصه من الموجبات الأخلاقيّة. إلاّ أنّه سرعان ما يصبح من ثم هزيمةً ــ والانتصار الوحيد عليه يتحقّق بدوره: إنّه العفّة.

*

التفكير بالتعليق على *دون جوان* موليير[1].

*

نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٢

في الخريف، تُزهر الأوراقُ هذا المنظر ــ تصير شجيرات الكرز حمراء، أشجار القيقب صفراء، وأشجار الزان برونزيّة. فتكتسي الهضبة بألف شعلة لربيع ثانٍ.

*

التخلّي عن الصبا. لستُ أنا من يتخلّى عن الكائنات وعن الأشياء (لا أستطيع)، بل هي الأشياء والكائنات التي تتخلّى عنّي. صباي يهرب منّي: ذلك هو معنى أن تكون مريضًا.

*

أوّل ما على الكاتب تعلّمه هو فنّ نقل وتحويل ما يشعره، إلى ما يريد الإشعار به. في المرّات الأولى، ينجح في ذلك مصادفةً.

---

(١) لم نجد في أرشيف كامو ما يتّصل بمشروع كتابة التعليق هذا.

ولكن من ثم، ينبغي للموهبة أن تحلّ مكان المصادفة. هنالك هكذا قسطٌ من الحظّ في أصل النبوغ.

*

يقول دائمًا: «هذا ما يسمّونه في بلادي...»[1] ثم يضيف تعبيرًا تافهًا لا ينتمي إلى أيّ بلاد. مثال: هذا ما يسمّونه في بلادي طقسًا أشبه بالحلم (أو مسيرة مهنيّة مدهشة، أو فتاة نموذجيّة، أو إضاءة ساحرة).

*

١١ نوفمبر/تشرين الثاني. كالجرذان[2]!

*

صباحًا، كلّ شيء مكسوّ بالجليد والسماء تشعّ خلف يافطات وزينة احتفالٍ شعبيّ ناصع. عند الساعة العاشرة، حين تبدأ الشمس تسخن، يمتلئ الريفُ بأكمله بالموسيقى البلّوريّة لذوبان الجليد الهوائيّ: فرقعاتٌ صغيرة كما لو كانت تنهّدات شجرة، سقوط الجليد على الأرض كصوت حشرات بيضاء ترتمي الواحدة فوق الأخرى،

---

(١) مراجعة الخصال الكلاميّة لـ غران: *الطاعون*، ص ١٢٥٠، (طبعة لا بليياد).

(٢) إنزال الحلفاء في أفريقيا الشماليّة جعل كامو ينقطع عن بلاده وأهله.

وريقات متلكّئة تتهاوى دونما انقطاع تحت ثقل الثلج فتثب بالكاد عند ارتطامها بالأرض، كعظامٍ لا وزن لها. في الأرجاء، تتلاشى الوديان الصغيرة والهضاب وسط الأبخرة. يتبدّى هذا المنظر عند تأمّله لبرهة طويلة، وكأنّه قد شاخ فجأةً بعد أن فقد كلّ ألوانه. إنّها بلاد قديمة جدًّا ترجع إلينا في صبيحة واحدة، عبر آلاف السنين... وهناك، يدلف ذلك الرأس المكسوّ بالأشجار والسرخسيّات كمقدّمة سفينة عند ملتقى النهرين ويبقى، وسط المنظر الأبيض الشبيه بالأبديّة، الشيءَ الوحيد الحيّ وقد خلّصته من الجليد أشعّةُ الشمس الأولى. فهاهنا على الأقلّ، تتحالف الأصواتُ المضطربة الغامضة للتيّارين ضدّ الصمت الشاسع المحيط بهما. ولكن، شيئًا فشيئًا، يندمج نشيد الماء نفسُه في المنظر فيصبح صمتًا، مع أنّه لا يخفت أبدًا. وفي البعيد البعيد، لا بدّ من مرور ثلاثة غربان دخانيّة اللون، لكي توضع في السماء من جديد إشاراتُ الحياة.

جالسًا عند قمّة الرأس، أواصل ذلك الإبحارَ الساكنَ في بلاد اللامبالاة. لا أقلّ من الطبيعة بأكملها ومن ذلك السلام الأبيض الذي يجلبه الشتاء إلى القلوب الحارّة جدًّا ــ لتهدئة هذا القلب الذي تلتهمه مرارة الحبّ. أتأمّل في السماء، اتّساعَ الضوء الذي ينفي أمارات الموت. أخيرًا، علامةٌ مستقبليّة فوق رأسي، يُحاكيها الآن كلُّ شيء عن الماضي. اخرسي، أيّتها الرئة! وتشبّعي بهذا الهواء الشاحب

والثلجيّ الذي يشكّل غذاءك. الزمي الصمت. ولتكفّي عن إرغامي على سماع اهترائك البطيء ــ ولألتفتْ أخيرًا نحو...

*

سان ــ إتيانّ.

أعرف ما هو يوم الأحد بالنسبة إلى رجل فقير يعمل. وأعرف بالتحديد ما هو الأحد مساءً، ولو قُيّض لي أن أمنح معنًى ووجهًا لما أعرفه، لكنت صنعتُ من يوم أحدٍ فقيرٍ عملاً إنسانيًّا.

*

ما كان ينبغي أن أكتب: لو كان العالم واضحًا، فلن يكون الفنّ ــ ولكن، لو بدا العالم ذا معنًى بالنسبة إليّ، لما كنت أكتب. هنالك حالات علينا أن نكون فيها ذاتيّين، من قبيل التواضع. وإضافة أنّ العبارة كانت سترغمني على التفكير ربّما بشكل أفضل، وأنّني في النهاية ما كنت سأكتبها، هي حقيقة لامعة، لا أساس لها.

يقود الجنس المتحرّر إلى فلسفة لا معنى ــ العالم. وعلى العكس، تعيد العفّة إليه (العالم) معناه.

*

كيركغارد. القيمة الجماليّة للزواج. وجهات نظر نهائيّة، وإنّما الكثير من الثرثرة.

دور الأخلاقيّات والجماليّات في تكوين الشخصيّة: أكثر صلابة وتأثيرًا. تمجيد *العامّ*.

بالنسبة إلى كيركغارد، هدف الأخلاقيّات الجماليّة هو الاستثناء والتمايز ـ وفي الواقع، يتعلّق الأمر بالالتحاق بالعامّ. *ليس كيركغارد متصوّفًا*. إنّه ينتقد التصوّف لأنّه ينفصل عن العالم ـ ولأنّه بالتحديد ليس في العامّ. إذا كان لا بدّ من قفزة لدى كيركغارد، فهي إذًا في نظام الذكاء. إنّها القفزة في صفائها التامّ. وذلك في المرحلة الأخلاقيّة. غير أنّ المرحلة الدينيّة تغيّر كلّ شيء.

*

في أيّ لحظة تتحوّل الحياة إلى قدر؟ عند الممات؟ لكنّه قدرٌ *للآخرين*، للتاريخ، أو للعائلة. من خلال الوعي؟ لكنّ الفكر هو من يتصوّر الحياةَ كقدر فيُدرج ترابطًا منطقيًّا حيث لا يوجد ترابط منطقي. وفي الحالتين، إنّها مسألة وهم. النتيجة؟: لا يوجد قدر؟

*

استخدامٌ مُبالغ ليوريديس[١] في آداب الأربعينيّات. فأبدًا، لم يكن أن افترق هذا العدد من العشّاق.

---

(١) مراجعة *الطاعون*، ص ١٣٧٩ ـ ١٣٨٠، (طبعة لا بلبياد).

*

يكمن فنّ كافكا[1] كلّه في إرغام القارئ على *إعادة القراءة*. إذ توحي الحلول ــ أو غيابها ــ بتفسيرات لا تظهر بوضوح، بحيث تتطلّب إعادة قراءة الرواية، من زاوية جديدة، لكي تبدو مقنعة. وفي بعض المرّات، هناك احتمال تفسير مزدوج أو ثلاثيّ يُبرز ضرورةَ القراءة مرّتين أو ثلاثًا. لكن، من الخطأ السعي إلى تفسير كلّ شيء بالتفصيل لدى كافكا. فالرمز موجودٌ في العامّ دومًا، والفنّان يفسّره بشكل إجماليّ، وليس كلمة بكلمة. الحركة وحدها تُستعاد. أمّا ما تبقّى، فهو نصيب الصدفة الكبير لدى كلّ مبدع.

*

في هذي البلاد حيث قضى الشتاء على كلّ لون مادام كلّ شيء فيها أبيض، وعلى أدنى صوت مادام الثلج يخنقه، وعلى كلّ العطور مادام البرد يغطّيها، يجب على الرائحة الأولى لعشب الربيع أن تكون كالنداء الفرح، مزمار الحسّ المتوهّج.

*

المرض ديرٌ له قوانينه، زهده، صمته وإلهامه.

*

---

(1) مراجعة المقال الذي نُشر في *لارباليت* عام ١٩٤٣ واستُعيد كملحق في *أسطورة سيزيف*، ص ١٧٠.

في ليالي الجزائر، يصطدم نباح الكلاب بفضاءات هي أكبر بعشر مرّات من فضاءات أوروبا، فيزدان هكذا بحنينٍ تجهله تلك البلدان الضيّقة. هو لغةٌ أنا الوحيد الذي يسمعها اليوم في ذاكرتي.

*

تطوير العبثيّة:

١) إذا كان الهاجس الأساسيّ هو الحاجة إلى الوحدة؛

٢) إذا كان العالم (أو الإله) غير قادرين على إرضائها.

على الإنسان أن يخترع لنفسه وَحدةً، إمّا من خلال تخلّيه عن العالم، وإمّا داخل هذا الأخير. هكذا تُستعاد أخلاقٌ وزهدٌ يبقى أن يُصار إلى تحديدهما.

*

إنّ العيش مع شغفنا هو أيضًا معايشة عذاباتنا ــ التي هي المقابل، المصحّح، التوازن والثمن. عندما يتعلّم إنسان ــ ليس على الورق ــ أن يبقى وحيدًا في ألفة عذابه، أن يتغلّب على رغبته بالفرار، وعلى الوهم بأنّ آخرين يمكنهم «المشاركة»، يبقى أمامه القليل لتعلّمه.

*

لنفترض أنّ مفكّرًا يعلن في كتاب جديد، بعد نشره بضعة مؤلّفات: «لقد أخطأت الوجهة حتّى الآن، وسوف أعاود كلّ شيء من جديد. أنا أرى الآن أنّي كنت مخطئًا». أبدًا، لن يأخذه أحدٌ على محمل الجدّ بعد ذلك، مع أنّه يكون قد أثبت أنّه جدير بعالم الفكر.

*

المرأة خارج الحبّ مضجرةٌ. هي لا تدرك ذلك. ينبغي العيش مع واحدة والتزام الصمت. أو مضاجعتهنّ كلّهنّ. والفعل الأكثر أهمِّيَّة قائم في مكان آخر.

*

باسكال: يتأتّى الخطأ عن الإقصاء.

*

التكافؤ عند ماكبث: «الحسن قبيح والقبيح حسن» [بالإنكليزيّة في النصّ]، إلاّ أنّ مصدره شيطانيّ. و«لا شيء هو إلاّ ما ليس هو» [بالإنكليزيّة في النصّ]. وفي مكان آخر، في الفصل الثالث: «منذ هذه اللحظة، لا شيء جدّيًّا في الفناء» [بالإنكليزيّة في النصّ]. يترجم غارنييه: «الليل طويل لدرجة أنّه لن يلقى النهار أبدًا» [بالإنكليزيّة في النصّ]، كما يلي: «لا ليل طويل بحيث لا يبلغ النهار»(؟)

أجل[1] ــ «إنّها حكاية يرويها أبله، ملأى بالصخب والسخط، ولا تعني شيئًا» [بالإنكليزيّة في النص].

*

لقد وضعت الآلهة في الإنسان فضائل كبرى متوهّجة تؤهّله لإخضاع كلّ شيء. بيد أنها في الوقت نفسه، وضعت فيه فضيلة أكثر مرارة تجعله يزدري بعد حين كلّ ما يمكن إخضاعه.

... التمتّع دائمًا أمر مستحيل، والكلل يأتي ليُنهي ــ ممتاز. لكن، لماذا؟ في الواقع، نحن لا يمكننا التمتّع دائمًا لأنّنا لا نستطيع التمتّع بكلّ شيء. فنحن نشعر بالكلل من التفكير في عدد المتع التي لن نحصل عليها أبدًا مهما فعلنا، بقدر ما يتعبنا إحصاء تلك التي حقّقناها. لو كنّا نستطيع بلوغ كلّ شيء، بشكل فعليّ، واقعيّ، فهل كنّا نشعر بالكلل؟

*

سؤال يُطرح: أتحبّون الأفكار ــ بشغف، بالدم؟ هل تتسبّب لكم هذه الفكرة بالأرق؟ هل تشعرون أنّكم تغامرون بحياتكم بالمراهنة عليها؟ كم من المفكّرين كانوا سيتراجعون!

*

---

(1) كلمة تصعب قراءتها في المخطوطة: ونتردّد بين (م) وأجل.

بالنسبة إلى نشر المسرحيّات: كاليغولا: *تراجيديا* ــ المنفيّ (أو بوديجوفيس): *كوميديا*.

*

١٥ ديسمبر/كانون الأوّل

تقبّل المحنة واستخراج الوَحدة منها. وإن كان الآخر لا يستجيب، الموت في التنوّع.

*

يقول نيتشه، بعد ستندال، إنّ الجمال وعدٌ بالسعادة. ولكن، إن لم يكن هو السعادة نفسها، فبمَ يمكنه أن يعِد؟

*

... عندما اكتسى كلّ شيء بالثلج، انتبهتُ أنّ الأبواب والنوافذ كانت زرقاء.

*

إذا ما كان صحيحًا أنّ الجريمة تستنفد كلّ مقدرة العيش عند إنسان[١]... فإنّ جريمة قايين (لا جريمة آدم التي تبدو، مقارنةً، خطيئة عرضيّة) قد استهلكت بهذا المعنى قوانا وحبّنا للحياة. وفي

(١) ص ٢٧.

حال كنّا نساهم في طبيعتها وفي لعنتها، فنحن نعاني من ذلك الخواء الغريب ومن الاختلال الكئيب الذي يلي المكاشفات الكبرى والأفعال المنهكِة. لقد أفرغ قايين من أجلنا، ودفعةً واحدة، كلّ احتمالات الحياة الحقيقيّة. هذا هو الجحيم. إلاّ أنّنا نرى جيّدًا أنّه على الأرض.

*

لابرينسيس دو كليف (أميرة كليف)[١]. هي ليست بتلك السهولة إذ تثب لتتحوّل إلى عدّة روايات. إنّها تبدأ بتركيبة معقّدة لكي تنتهي إلى الوَحدة. وهي تبدو رواية متسلسلة معقّدة بالمقارنة مع «أدولف».

تكمن بساطتها الفعليّة في مفهومها للحبّ: فالحبّ بالنسبة إلى مدام لافاييت، خطرٌ. تلك هي مُسَلَّمتها. وما نحسّه في كلّ كتابها، كما في *لابرينسيس دو مونبانسييه* أو *لاكونتيس دو تاند*، هو الحذر الثابت المتواصل من الحبّ. (إنّه بالطبع، عكس اللامبالاة).

«حُملتْ إليه رسالة العفو بما أنّه لم يكن ينتظر سوى الموت؛ إلاّ أنّ الخوف كان قد تملّكه بحيث إنّه كان فاقد الوعي، فتوفّي بعد بضعة أيّام». (كلّ شخصيّات لافاييت التي تموت، تموت من *المشاعر*. لذا يُفهم أن يوحي لها الحبّ بمثل ذلك الذعر).

---

(١) مراجعة «الذكاء والمقصلة»، في *تماسّ*. ص ١٨٨٧، (طبعة لا بلبياد).

«قلت له طالما أنّ أساه محدود، فقد تقبّلته ودخلت فيه؛ غير أنّي لن أشفق عليه بعد الآن، إذا ما استسلم لليأس وفقد عقله». رائع. إنّها الحشمة الخاصّة بتلك القرون الكبرى التي عرفناها. حشمة رجوليّة. لكنّها ليست جفافًا. ذلك أنّ الرجل نفسه (برينس دوكليف أو أمير كليف) هو الذي يقول ذلك ويموت بالضبط يأسًا.

الفارس «لوشوفالييه دو غيز... اتّخذ قرارًا بعدم التفكير بتاتًا بأن تحبّه مدام دو كليف. إنّما كان يحتاج مشروعًا عظيمًا آخر كفيلاً بشَغله، لكي يتخلّى عن ذاك المشروع الذي بدا له صعبًا وجليلاً جدًّا. فقرّر أن يستولي على رودس».

ما قالته مدام دو كليف عن رسمه، بعث فيه الحياة إذ أعلمه بأنّه هو مَن «*لم تكن تكرهه*». الكلمة تحرق فمه.

*

الفقر حالةٌ، فضيلتها الكرم.

*

طفولة فقيرة. الفارق الأساسيّ، عندما كنت أذهب لزيارة عمّي[1]: لم يكن للأشياء عندنا أسماء. كنّا نقول الأطباق المجوّفة،

---

(1) م. آكو، مراجعة «تكريم جيد» (المجلّة الفرنسيّة الجديدة، نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٥١).

الوعاء فوق المدفأة، إلخ. أمّا عنده: الفخّار المشويّ من فوج، طقم كامبر لغرفة الطعام، إلخ ــ هكذا وعيتُ معنى الاختيار.

*

الرغبة الجسديّة الوحشيّة سهلةٌ. أمّا الرغبة مع الحنان في آن واحد، فهي تتطلّب وقتًا، إذ ينبغي اجتياز كامل بلاد الحبّ قبل العثور على شعلة الرغبة. ألهذا نشتهي دومًا بصعوبة كبيرة في البداية، ما نحبّ؟

*

بحثٌ أدبي حول التمرّد[1]. حنين «البدايات». *كما سبق*، موضوع النسبيّ ــ *لكن النسبيّ* بشغف. مثال: ممزّق بين العالم الذي لا يكفي والإله الذي ليس لديه، يختار العقلُ العبثيُّ العالمَ بشغف. *كما سبق*: ممزّقٌ بين النسبيّ والمطلق، إنّه يرتمي بحماس في النسبيّ.

*

الآن، تخلّص ممّا يتملّكه وقد بات يدرك ما هو الثمن. شرط الامتلاك هو الجهل. حتى بالمفهوم الفيزيقي: نحن لا نمتلك جيّدًا إلاّ المجهول.

---

(1) *الملاحظة حول التمرّد*، في *الوجود* (١٩٤٥) الذي يستبق الفصل الأول من *الرجل المتمرّد*.

بوديجوفيس (أو المنفيّ).

I

الأمّ. ـــ لا، ليس هذا المساء. لنترك له هذا الوقت وهذه الاستراحة. ولنمنح أنفسنا الهامش هذا، فربّما كانت نجاتنا فيه.

الابنة. ـــ وما تعنين بالنجاة؟

الأمّ. ـــ تلقّي السماح الأبدي.

الأخت. ـــ لقد نجوتُ إذًا. إذ إنّي قد سامحت ذاتي مسبقًا، ولكلّ الأزمنة القادمة.

II

كما سبق. انظر أعلاه.

الأخت. ـــ باسم ماذا؟

المرأة. ـــ باسم حبّي.

الأخت. ـــ وما تعني هذه الكلمة؟

(مقطع)

المرأة. ـــ الحبّ هو فرحي الماضي ووجعي اليوم.

الأخت. ــ تحكين حتمًا لغةً لا أفهمها. حبّ، فرح ووجع، أنا لم أسمع بحياتي أبدًا تلك الكلمات.

III

ــ قال قبل أن يموت: آه، ليس هذا العالم مصنوعًا لأجلي إذًا، وهذا البيت ليس لي.

الأخت. ــ العالم مصنوع لكي نموت فيه، والبيوت لننام فيها.

IV

الفصل الثاني. تفكير تأمّلي في غرف الفنادق. يُقرع الجرس. صمت. خطى. يظهر العجوز الأبكم، جامدًا وصامتًا للحظة أمام الباب.

ــ لا شيء، يقول الآخر. كنت أودّ التأكّد من أنّ أحدًا سيردّ، من أنّ الجرس يعمل.

يبقى العجوز جامدًا للحظة، ثم يخرج. خطى.

V

الأخت. ــ تضرّع إلى الإله أن يجعلك كالحجر. تلك هي السعادة الحقيقيّة وهذا ما اختاره الإله لذاته.

إنّه أصمّ، أقول لك، وأبكم كحجر جرانيت. تشبّه به لكي لا تعرف من العالم إلاّ الماء الذي ينساب والشمس التي تدفّئ. انضمّ إلى الحجر قبل فوات الأوان (للتطوير).

*

لا يستقبل العالَمُ العبثيّ إلاّ تفسيرًا جماليًّا.

*

نيتشه. ـــ لا شيء حاسمًا إلاّ ويُبنى على «بالرّغم من كلّ شيء».

*

رواياتُ موريس بلانشو الميتافيزيقيّة

توماس الغامض. ما يَجذب آن لدى توماس هو الموت الذي يحمله في داخله. حبّها ميتافيزيقي. من هنا انفصالها عنه لحظة الوفاة. ذلك أنّها تعرف في تلك اللحظة، ونحن لا نحبّ في العادة أن نعرف. وبالتالي، فالموت وحده هو المعرفة الحقيقيّة. لكنّه في الوقت نفسه ما يجعل المعرفة غير مجدية: تقدُّمه عقيمٌ.

يكتشف توماس في داخله الموت الذي يصوّر مستقبله بشكل مسبق. مفتاح الكتاب معطًى في الفصل الخامس عشر. ينبغي إذًا إعادة قراءته فيتّضح كلّ شيء ـــ تحت النور غير الساطع الذي

يغمر زنابق الإقامة المميتة. (بالقرب من المزرعة، شجرة فريدة مؤلّفة من جذعين متعانقين، أحدهما ميّت منذ زمن طويل مع قاعدة تالفة ما عادت حتى متّصلة بالأرض، وقد بقي ملتصقًا بالأول بحيث يمثّل الاثنان توماس جيّدًا. غير أنّ الجذع الحيّ لم يترك نفسه يختنق، فقد ضاعف من سماكة القشور التي أحاط بها الجذع الميّت ـ ورمى أغصانه من حوله ومن فوقه، آبيًا الانجراف).

بالرّغم من المظاهر، أميناداب أكثر غموضًا. فهو شكل جديد من أسطورة أورفيوس ويوريدس (في الكتابين، تجدر الملاحظة بأنّ انطباع التعب الذي يبدو أنّ الشخصيّة تحسّه ويحسّه القارئ في آنٍ، هو *انطباع الفنّ*).

*

الطاعون. الصيغة الثانية.

التوراة. سفر تثنية الاشتراع XXVIII،٢١؛ XXXII،٢٤. سفر اللاويّين، XXVI،٢٥. عاموس، VI،١٠. سفر الخروج، IX،٤؛ IX،١٥؛ XII،٢٩. أرميا، XXIV،١٠؛ XIV،١٢؛ VI،١٩؛ XXI ٧و٩. حزقيال، V،١٢؛ VI،١٢؛ VII،١٥.

«يبحث كلّ امرئ عن صحرائه، وما إن يعثر عليها، حتى يجدها قاسيةً جدًّا. لن يقال إنّي لن أعرف كيف أتحمّل صحرائي».

*

بدائيًا[1]، على الأقسام الثلاثة الأولى المؤلّفة من صحف ـ دفاتر ـ ملاحظات ـ عظات ـ دراسات ـ ومن علاقات موضوعيّة، أن تُلهم وتحيِّر وتشرّع أعماق الكتاب. وعلى القسم الأخير المؤلّف حصرًا من أحداث أن يترجم المعنى العامّ عبر هذه الأخيرة، وعبرها فقط.

أيضًا، ينبغي لكلّ قسم أن يزيد قليلاً من شدّ أواصر الصلة ما بين الشخصيّات، وعليه أن يزيد المشاعر من خلال دمج الصحف تدريجيًّا في صحيفة واحدة، واستكمال ذلك في مشاهد القسم الرابع.

*

الصيغة الثانية.

الطاعون تصويريّ وتوصيفيّ ـ أجزاء وثائقيّة صغيرة، ومقالة عن النكبات.

ستيفان[2]ـ الفصل الثاني: إنّه يلعن ذلك الحبّ الذي حرمه كلّ ما تبقّى.

---

(١) بعد *بدائيًا*، تحمل المخطوطة «انظر المفكّرة» ـ تمّ العثور على المقطع التالي في دفتر ملاحظات *الطاعون*.

(١) ستيفان، شخصيّة موجودة في الصيغة الأولى من الطاعون، (مراجعة لا بليياد، ص ١٩٣٦ و١٩٤٢).

وضعُ كلّ شيء بأسلوب غير مباشر (عظات، صحف، إلخ) وتفريجٌ رتيب من خلال لوحات عن الطاعون؟

طبعًا، يجب أن يكون الأمر على شاكلة علاقة، وقائع. لكن، كم يطرح الأمر من مشكلات.

ربّما: إعادة كتابة ستيفان بشكل كامل من خلال حذف موضوعة الحبّ. يفتقد ستيفان إلى التطوير. كأن يبدو أنّ البقيّة ستكون أعمق وأهمّ.

مواصلة موضوعة الفراق حتى النهاية.

جعل (و) يكتب تقريرًا عامًّا عن الطاعون؟

أولئك الذين يكتشفون أنّهم يحملون برغوثًا.

فصل عن البؤس.

بالنسبة إلى العظة: هل لاحظتم يا إخوتي، كم أنّ إرميا رتيب؟

شخصيّة إضافيّة: شخص مقصيّ، منفيّ، يفعل ما بوسعه للخروج من المدينة، لكنّه لا يستطيع.

ما يتابعه من إجراءات: يريد الحصول على جواز مرور بحجّة «أنّه ليس من هنا». إذا ما توفّي، إظهار أنّه تعذّب أوّلاً لأنّه لم يتمكّن من موافاة الآخر، ومن أشياء كثيرة معلّقة. فهذا ما يعنيه بلوغ عمق الطاعون.

انتباه: الربو لا يبرّر هذا العدد من الزيارات.

تقديم أجواء وهران.

لا شيء «مكشّر»، الطبيعي.

بطولةٌ مدنيّة.

تطوير النقد الاجتماعي والنقمة. الخيال هو ما ينقصهم. يستقرّون في الملحمة كما لو كانت نزهة. لا ترتقي أفكارهم إلى مستوى النكبات. والعلاجات التي يتخيّلونها هي بالكاد بمستوى زكام بسيط. سوف يهلكون (للتطوير).

فصل عن المرض. «مرّة أخرى، كانوا يلحظون أنّهم لم يكونوا يُوهبون الألمَ الجسديّ وحده، إذ كان يُرفق دومًا بعذابٍ معنويّ (العائلة ــ حبّ يعاني من الحرمان) يمنحه عمقه. هكذا كانوا، وبعكس الرأي الشائع، ينتبهون إلى أنّ الاستحالة الفعليّة للموت وحيدين ــ إذا ما كان الموت وحيدين هو أحد امتيازات الشرط الإنسانيّ ــ ليست صورة أقلّ قسوة وحقيقة».

عبرة الطاعون: غير نافع لأحد أو لشيء. وحدهم الذين مسّهم الموتُ في ذواتهم أو في أقربائهم، يتعلّمون. غير أنّ الحقيقة التي يكتسبونها هكذا لا تعني سواهم. إنّها من غير مستقبل.

ينبغي أن تمنح الأحداثُ والوقائع المعنى الاجتماعيّ للطاعون. الشخصيّات تحدّد المعنى الأعمق. كلّ ذلك بشكل عامّ.

نقد اجتماعي. اللقاء بالإدارة التي هي كيان مجرّد، وبالطاعون الذي هو القوّة الأكثر واقعيّة من بين كلّ القوى، لا يمكنه أن يعطي إلاّ نتائج هزليّة وفضائحيّة.

يفرّ المقصيّ *إذ لا* يمكنه *انتظار أن تهرم.*

فصل عن الأهل المعزولين *في معسكرات.*

انتهاء القسم الأوّل. يجب أن يكون تقدّم حالات الإصابة بالطاعون ملازمًا لتقدّم الجرذان. والتوسيع. التوسيع.

الطاعون الطريف؟

القسم الأوّل قسمٌ للعرض وينبغي أن يكون بأكمله سريعًا جدًّا – حتى في الصحف.

أحد المواضيع الممكنة: صراع الطبّ والدين: قوى النسبيّ (وأيّ نسبيّ) ضدّ قوى المطلق. النسبيّ هو من سيفوز أو إنّه، بتعبير أدقّ، من لم ينهزم.

«نحن بالطبع نعرف أنّ للطاعون حسناته، أنّه يفتح العينين ويرغم على التفكير. وهو، بهذا المعنى، ككلّ مساوئ هذا العالم وكالعالم نفسه. ولكن، ما يصحّ في مساوئ هذا العالم، وفي العالم

نفسه، يصحّ أيضًا في الطاعون. فبعض الأفراد يستمدّون منه عظَمةً ما، إذا ما نظروا إلى شقاء بعض إخوتنا. إنّما ينبغي أن يكون الواحد مجنونًا، مجرمًا أو جبانًا، لكي يتقبّل الطاعون. ففي مواجهته، الردّ الوحيد الممكن لإنسان هو التمرّد».

يبحث الجميع عن السلام. تسطير ذلك.

تناول كوتار *بالمقلوب*: وصف سلوكه *وفي النهاية*، كشف خوفه من الاعتقال.

لم يعد لدى الصحف ما ترويه إلاّ قصص عن الطاعون. يقول الناس: لا شيء في الصحف.

يتمّ جلب أطبّاء من الخارج.

حسبما يبدو لي، *الإبعاد* هو أفضل ما يميّز هذا العصر. كلّهم أُبعِدوا عن بقيّة العالم، عمّن يحبّون، أو عن عاداتهم. وفي هذه العزلة، أُرغموا ـ مَن كان قادرًا من بينهم ـ على التأمّل، والآخرون على عيش حياة حيوان مطارد. باختصار، لم يكن هناك حلّ وسط.

في آخر الرواية، يعدو المنفيّ المصاب بالطاعون على مكان مرتفع مناديًا امرأته بصرخات عالية من فوق جدران المدينة، الريف، ثلاث قرىً ونهر.

مقدّمة بيد الراوي مع اعتبارات حول الموضوعيّة والشهادة.

في نهاية الطاعون، لكلّ السكّان هيئة مهاجرين.

إضافة تفاصيل عن «الوباء».

تارّو هو الرجل الذي يستطيع فهم كلّ شيء ـ والذي يتعذّب من جرّاء ذلك. فهو لا يستطيع أبدًا إصدار أيّ حكم.

ما هو مثال الإنسان الواقع فريسةً للطاعون؟ ـ سوف أضحككم: مثاله النزاهة.

حذف: «في البداية ـ في الحقيقة ـ في الواقع ـ الأيّام الأولى ـ تقريبًا في الحقبة ذاتها، إلخ».

طوال الرواية برمّتها، إظهار أنّ ريّو هو الراوي عبر وسائل التحرّي. في البداية: رائحة سجائر.

التوحّش واحتياج الدفء في آن. للمصالحة: صالة السينما ـ حيث يتلاصق الناس دون سابق معرفة.

جزرٌ ضوئيّة في المدينة المظلمة يدلف باتّجاهها شعبٌ من الأطياف، شبيه بتجمّع حشرات ذات خليّة وحيدة، هي فريسة انجذابها نحو نور الشمس.

بالنسبة إلى المنفيّ: المساء في المقاهي حيث يتمّ تأخير ساعة إشعال الضوء ما أمكن لتوفير مصروف الكهرباء، وحيث يجتاح

الغروب الصالةَ كمياهٍ رماديّة، فتنعكس أنوار المغيب بخفّة في الزجاج، رخام الطاولات وظهر الكراسي البرّاقة قليلاً: الساعة هذه هي ساعة التخلّي.

المُبعَدون، القسم الثاني: «كانوا مندهشين بكمّ الأشياء الصغيرة التي كانت تعني لهم الكثير ولم يكن لها أيّ وجود بالنسبة إلى الآخرين. فكانوا يكتشفون هكذا الحياة الشخصيّة». «كانوا مدركين جيّدًا وجوب الانتهاء من الأمر ـ أو على الأقلّ تمنّي النهاية ـ وقد كانوا يتمنّونها، إنّما من غير حماسة البداية ـ وفقط، مع ما كان لديهم من أسباب واضحة جدًّا لتمنّيها. فمن اندفاعة البداية الكبيرة، لم يتبقّ لهم إلاّ إحباط رتيب جعلهم ينسون السببَ نفسه لقنوطهم ذاك. كانوا في حالة حزنٍ وشقاء، إلاّ أنّهم ما عادوا يشعرون بوخزهما. وفي العمق، هنا بالضبط يكمن الشقاء. فقد كانوا في البدء فريسة اليأس فقط. لذا لم يُخلِص العديد منهم، إذ لم يحتفظوا من عذاب الحبّ إلاّ بمذاق الحبّ وبالحاجة إليه. ومع انفصالهم التدريجي عن الكائن الذي ولدهم، كانوا يحسّون أنّهم أكثر ضعفًا، فينتهون بالاستسلام لأول وعدٍ بالحنان. هكذا كانوا يخونون، حبًّا». «الآن، ومن خلال تأمّلهم حياتهم عن بُعد، كان يبدو لهم أنّها تشكّل كلاًّ، فينتسبون إليها حينئذ بقوّة جديدة، بحيث يعيد الطاعون هكذا الوَحدة إليهم. ينبغي الاستنتاج إذًا بأنّ أولئك الناس لم يكونوا يعرفون العيش مع وَحدتهم، أو الأحرى أنّهم لم يكونوا قادرين على

عيشها، إلاّ بعد أن حُرموا منها». ـ «وكانوا في بعض الأحيان، يلحظون أنّهم قد بقوا في المرحلة الأولى، عندما كانوا ينوون أن يُرُوا، ذات يوم أو آخر، ذاك الشيء إلى ذلك الصديق الذي لم يعد هنا. كان ما يزال لديهم أمل. لقد ابتدأت المرحلة الثانية فعليًّا عندما استحال عليهم التفكير إلاّ بعبارات طاعونيّة». ـ «لكن، في بعض الأوقات، كان جرحهم ينفتح من جديد في وسط الليل. فيستيقظون فجأة، يتلمّسون الشفاه المتقرّحة، ويجدون عذابهم طازجًا ومعه، الوجه المضطرب لحبّهم».

عبر الطاعون، أودّ التعبير عن الاختناق الذي عانينا منه جميعًا، وعن جوّ الخطر والمنفى الذي عشنا فيه. وفي الوقت نفسه، أودّ توسيع هذا التفسير ليطاول مفهوم الوجود بشكل عامّ. سوف يعطي الطاعون صورة أولئك الذين كانت حصّتهم في هذه الحرب هي التفكير والصمت ـ وحصّة العذاب المعنويّ.

*

لا نعرف هنا العطش وشعور الجفاف ذاك الذي يستولي على الكيان بأكمله بعد سباق في الشمس وفي الغبار. الليمونادة التي نبتلعها: لا نشعر البتّة بمرور السائل، وإنّما فقط بآلاف إبر الغاز، الصغيرة المحرقة.

*

غير مصنوع للتشتّت.

*

١٥ يناير/كانون الثاني

المرض صليبٌ يُحمل، لكنّه ربّما أيضًا حاجزٌ وقائي. قد يكون الحلّ المثاليّ مع ذلك، في حيازة قوّته ورفض ضعفه. فليكن العزلة التي تجعلنا أقوى، في *اللحظة المطلوبة*. وإذا كان لا بدّ من دفع الثمن بعملة العذابات والتخلّي، فلندفع إذًا.

*

لأنّ السماء زرقاء، تبدو الأشجار المكسوّة بالثلج وهي تبسط أغصانها البيضاء على ضفّة البحيرة خفيضةً فوق المياه المثلّجة، كأشجار لوز مزهرة. يوجد في هذي البلاد لغطٌ دائم تشعره العيون، ما بين الربيع والشتاء.

لقد عقدتُ علاقة محيّرة مع هذي البلاد، يعني ذلك أنّ لديّ أسبابًا لحبّها وأسبابًا لكرهها. على العكس، بالنسبة إلى الجزائر، هو الولع من دون عائق والاستسلام للذّة الحبّ. سؤال: أيمكننا أن نحبّ بلادًا كامرأة؟

*

الطاعون. الصيغة الثانية. المُبعَدون.

ينتبه المُبعَدون إلى كونهم لم يكفّوا في الواقع عن الأمل بشيء ما، في المرحلة الأولى: أن تصل الرسائل، أن يتوقّف الطاعون، أن يتسلّل الغائب إلى المدينة. في المرحلة الثانية فقط، هم لا يعودون يأملون. لكن، في تلك اللحظة، يكونون واهنين لحسن الحظّ (أو أنّ الحياة تمنحهم دوافع اهتمام جديدة). عليهم أن يموتوا أو يخونوا.

كما سبق: تلك اللحظات حيث يتركون أنفسهم ينزلقون نحو الطاعون، فلا يأملون إلاّ خلال إغفاءته. يقول كوتّار: لا بدّ أنّ السجن أمر جيّد. والسكّان: ربّما كان الطاعون يحرّر من كلّ شيء.

*

طهارة قلب كيركغارد ـــ يا للحشو الكلاميّ. أيكون النابغة إذًا على هذا القدر من البطء!

«اليأس هو الحدود حيث تلتقي، بعجز متساوٍ، فورةُ أنانيّةٍ خوّافةٍ بجبن، وتهوّرُ نفسٍ عنيدةٍ بتكبّر».

«عندما تخرج الروح الملوّثة من الإنسان، تطوف في الأماكن القاحلة بحثًا عن الراحة، ولا تجدها أبدًا». (متّى، XXII، ٤٣).

تمييزه ما بين أهل الفعل وأهل العذاب.

كما سبق. بالنسبة إلى كافكا: «ينبغي ضرب الرجاء الأرضيّ حتى الموت، حينئذ فقط ننقذ أنفسنا بالرجاء الحقيقي».

طهارة القلب بالنسبة إلى (ك) هي الوَحدة. لكنّها الوَحدة والخير. لا طهارة خارج الإله. النتيجة: الاقتناع باللاطهر؟ أنا بعيدٌ عن الخير ومتعطّشٌ إلى الوَحدة. وهو أمر لا يمكن إصلاحه.

*

بحثٌ أدبيّ حول التمرّد. بعد أن كانت انطلاقة الفلسفة من القلق: إخراجُها من السعادة.

كما سبق. إنّ تجديد الحبّ في عالم عبثيّ هو، في الواقع، تجديد الأكثر إحراقًا وزوالاً من بين المشاعر الإنسانيّة (أفلاطون: «لو كنّا آلهة، لما عرفنا الحبّ»). ليس الأمر إصدار حكم أخلاقي على الحبّ المستديم (على هذه الأرض)، أو على عكسه. فالحبّ المخلص ــ *إن لم يتناقص* ــ هو طريقة يستخدمها الإنسان للمحافظة على أفضل ما فيه. هكذا، يستعيد الإخلاصُ قيمته. لكنّ الحبّ هذا قائمٌ خارج الأزليّ. فهو الأكثر إنسانيّة من بين المشاعر، مع ما تحويه الكلمة من تقييدٍ وحماسةٍ في آن. لذا لا يحقّق الإنسان ذاته إلاّ في الحبّ لأنّه يجد فيه، وبشكل صارخ، صورة لشرطه الذي لا مستقبل له (وليس لأنه يقارب شكلاً معيّنًا من الأزليّ، كما يقول المثاليّون). النموذج: هيثكليف. كلّ ذلك تصويرٌ لمسألة أنّ للعبثيّة صيغتها في التعارض بين *ما يدوم وما لا يدوم*، بما أنّ المتعارف عليه هو وجود طريقة واحدة في الاستدامة، ألا وهي

الاستدامة الأزليّة، وليس من حلّ وسط. نحن من العالم الذي لا يدوم. وكلّ ما لا يدوم ــ ولا شيء إلاّ ما لا يدوم ــ هو لنا. وهذا معناه استرجاع الحبّ من الأزليّة أو من أولئك الذين يموّهونه في صورة أزليّة. أرى من هنا الاعتراض: هذا لأنّك لم تحبّ أبدًا. فلندع الأمر جانبًا.

*

الطاعون. الصيغة الثانية.

يفقد المُبعَدون الحسّ النقديّ. يمكننا رؤية الأكثر ذكاء من بينهم يبحثون في الجرائد أو في البرامج الإذاعيّة، عن أسباب للتصديق بنهايةٍ سريعة للطاعون، لتصوّر آمالٍ لا أساس لها، وللإحساس بمخاوف مجّانيّة عند قراءة اعتبارات كتبها صحافي كيفما اتّفق، وهو يتثاءب ضجرًا.

*

ما يُنير العالم ويجعله يُطاق هو الشعور الاعتياديّ بأنّنا نملك ما يربطنا به ــ وما يجمعنا بالكائنات بشكل خاصّ. فالعلاقات مع الكائنات تساعدنا دائمًا على الاستمرار لأنّها تفترض دومًا تطوّراتٍ، مستقبلاً ــ ولأنّنا أيضًا نحيا كما لو أنّ مهمّتنا الوحيدة هي إقامة علاقاتٍ مع الكائنات. لكن، يوم نعي أنّها ليست مهمّتنا الوحيدة، وحين نفهم على وجه الخصوص أنّ إرادتنا هي وحدها ما

يُبقي تلك الكائنات معلّقة بنا ـ توقّفوا عن الكتابة أو عن الكلام، اعزلوا أنفسكم، وسوف ترونها تذوب من حولكم ـ، إنّ الأغلبيّة تدير ظهورها في الواقع (لا عن مكر، وإنّما عن لامبالاة)، وأنّ البقيّة تحتفظ *دومًا* بإمكانيّة الاهتمام بشيء آخر، عندما نتخيّل هكذا كلّ ما يندرج من عرضيّ ومن لعبة الظروف فيما ندعوه حبًّا أو صداقة، فإنّ العالم يعود ساعتئذ إلى ليله، ونحن إلى ذلك البرد الهائل الذي انتزعَنا الحنانُ الإنسانيُّ منه للحظات.

*

١٠ فبراير/شباط

أربعة أشهر من حياة الزهد والوحدة. الإرادة والذهن يفيدان منها. وإنّما القلب؟

*

على قضيّة العبثيّة بأكملها أن يمكنها التركيز على نقد أحكام القيم وأحكام الوقائع.

غريبٌ هو نصّ سفر التكوين (III، ٢٢) «وقال الربّ الإله: هوذا آدم قد صار *كواحد منّا* (بعد الخطيئة)، يعرف الخير والشرّ والآن لعلّه يمدّ يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل *فيحيا إلى الدهر*».

وسيف النار الذي طرد الإنسان من جنّة عدن «كان يتقلّب هنا وهناك لحراسة طريق شجرة الحياة». إنّها قصّة زوس وبرميثيوس تعاد من جديد. امتلك الإنسان قوّة أن يصبح ندًّا للإله، فخشيه الإلهُ وأبقاه في الخضوع. *كما سبق*. في المسؤوليّة الإلهيّة.

*

إنّ المخيّلة هي ما يزعجني في ممارسة الفكر، أو في النظام الضروريّ لكتابة عمل. فمخيّلتي غير منتظمة، غير معتدلة، فظيعة بعض الشيء، ومن الصعب معرفة الدور الهائل الذي لعبته في حياتي. ومع ذلك، أنا لم أفطن إلى هذه الخصوصيّة الشخصيّة إلاّ في الثلاثين من عمري.

في بعض الأحيان، الساعات التي تمرّ ببطء في القطار أو في الباص، وأنا أمنع نفسي من الضياع في ألعاب صوريّة وفي تخيّلات تبدو لي عقيمة. وبعد أن يصيبني التعب من ضرورة تقويم أفكاري باستمرار وإعادتها نحو ما أحتاجها أن تتغذّى منه، تأتي لحظةٌ أفلت فيها نفسي، أو بتعبير أصحّ أجعلها تسري: الساعات تفرّ كالبرق، وها إنّي قد وصلت قبل أن أنتبه إلى الأمر.

*

حبّ الحجارةِ هو ما يجذبني ربّما بشدّة إلى النحت. فهو يعيد منح الشكل البشري الثقلَ واللامبالاة اللذين من دونهما، لا أجد فيه أيّ عظمة.

*

بحثٌ أدبي: فصلٌ عن «خصوبة الزيادات النافلة والحشو الكلاميّ».

*

يعلّم الفكر المتقن قليلاً رياضةَ الذكاء، كحال باسكال، أنّ كلّ خطأ يتأتّى عن إقصاء. فعند حدود الذكاء وحدود علمٍ مؤكّد، نحن ندرك أنّ هناك ما هو حقيقيّ في كلّ نظريّة، وأنّ أيًّا من التجارب الكبيرة للبشريّة حتى وإن كانت متعارضة جدًّا ظاهريًّا وحتى لو كانت تدعى سقراط وأمبيدوكل، باسكال وساد، ليست تافهة مبدئيًّا. هكذا بدت ضروريّةً لنيتشه مهاجمةُ سقراط والمسيحيّة بحجج قويّة. وهكذا على العكس، يبدو ضروريًّا اليوم الدفاعُ عن سقراط أو على الأقلّ عمّا يمثّله، إذ يهدّد العصرُ باستبداله بقيمٍ تنافي كلَّ ثقافة، بحيث قد يحقّق نيتشه هنا انتصارًا لا يبتغيه.

والحال أنّ ذلك يبدو وكأنّه يُدرج في حياة الأفكار انتهازيّةً معيّنة. نقول يبدو فقط، إذ لا نيتشه ولا نحن نغفل *الجانب الآخر* من المسألة بحيث لا يعدو الأمر أن يكون أكثر من ردّ فعل دفاعيّ.

وفي نهاية المطاف، فإنّ تجربة نيتشه، مضافةً إلى تجربتنا، كما تجربة باسكال مضافةً إلى تجربة داروين، وكالّليكلاس إلى أفلاطون، تستردّ السجلّ البشريّ بأكمله وترجعنا إلى وطننا. (ألاَ يمكن لذلك كلّه أن يكون صحيحًا، إلاّ بمعيّة دزّينة من التفاصيل الإضافية).

مراجعة نيتشه في مطلق الأحوال (أصول الفلسفة، بيانكيس، ص ٢٠٨): «ينبغي أن أعترف بأنّ سقراط قريب جدًّا منّي، لدرجة أنّي أتصارع وإيّاه تقريبًا، من دون توقّف».

*

الطاعون، الصيغة الثانية. يعاني المُبعَدون مصاعبَ مع أيّام الأسبوع. يوم الأحد بالطبع. بعد ظهر السبت. وبعض الأيّام التي كانت تُخصَّص فيما مضى لطقوس معيّنة.

كما سبق. فصل عن الإرهاب: «الأشخاص الذين كانوا يُعتقلون مساءً »...

في الفصل الخاصّ بمعسكرات العزل: أُبعد الأهل عن الميت ـ ومن ثم الأطفال عن الأهل والرجال عن النساء، لأسباب صحيّة. إلى درجة أنّ عمليّة الإبعاد تصبح عامّةً. كلّهم يُرجَعون إلى وِحدتهم.

جعلُ موضوع الإبعاد موضوع الرواية الرئيسيّ. «ما كانوا قد سألوا الطاعونَ شيئًا. وبأناةٍ، كانوا قد صنعوا لأنفسهم، في قلب عالمٍ عصيّ على الفهم، عالمًا خاصًّا بهم، إنسانيًّا، حيث يتقاسم الحنانُ والعادةُ الأيّامَ. وها إنّ الإبعاد عن العالم نفسه لم يعد من دون شكّ كافياً، إذ كان ينبغي أن يُبعدهم الطاعونُ أيضًا عن ابتكاراتهم اليوميّة المتواضعة. وها إنّه ينتزع قلوبهم بعد أن أصاب نفوسهم بالعمى». في التطبيق: *لا يوجد في الرواية إلّا أناس وحيدون*.

*

الطاعون، الصيغة الثانية.

نسعى إلى السلام ونذهب نحو الآخرين لكي يمنحونا إيّاه. لكنّهم بدايةً، لا يستطيعون إلاّ منح المسّ والتشويش. ينبغي إيجاده في مكان آخر، إلاّ أنّ السماء بكماء. عندئذ، وعندئذ فقط، يمكننا العودة نحو الكائنات بما أنّها، في غياب قدرتها على منح السلام، تهبنا النعاسَ.

*

الطاعون، الصيغة الثانية.

من الجيّد أن تكون هناك شرفات فوق الطاعون.

كلّهم محقّون، يقول ريّو.

تارّو (أو ريّو) يسامح الطاعون.

*

بحثٌ أدبي حول التمرّد. قبل كلّ شيء، لا يحلّل العالمُ العبثيّ بطريقة صارمة. وإنّما يتمّ استحضاره وتخيّله. هكذا يكون هذا العالم نتاج المخيّلة بشكل عام، أيّ المخيّلة الدقيقة. إنّه التطبيق على سير الحياة وعلى جماليّة مبدإٍ حديثٍ معيّن. هو ليس تحليلاً.

ولكن، بعد رسم ذلك العالم بخطوط عريضة، وبعد وضع الحجر الأوّل (لا يوجد سوى حجر واحد)، تصبح الفلسفة ممكنةً ــ أو بشكل أدقّ إذا ما فهمنا جيّدًا ــ تصبح ضروريّة. التحليل والصرامة مطلوبان ومُدرَجان من جديد. والتفصيل والوصف هما السائدان. من «لا شيء مهمّ إلاّ...»، نستمدّ: «كلّ شيء مهمّ، ما عدا...» ــ من هنا الدراسة الدقيقة والصارمة ــ دونما استنتاجات ــ حول التمرّد.

١/ حركة التمرّد والتمرّد الخارجي؛

٢/ حالة التمرّد؛

٣/ التمرّد الميتافيزيقي.

حركة التمرّد: الحقّ العادل ــ الانطباع بأنّ الأمر طال أكثر ممّا يجب ــ بأنّ الآخر يتجاوز حقّه (الوالد مثلاً)، «حتى هنا لا بأس، وإنّما أكثر لا» ــ مواصلة التحليل.

مراجعة ملاحظات «أصول الفلسفة» و«الرجل المستاء»[1] في «بحث».

*

بحثٌ أدبي حول التمرّد: أحد اتّجاهات الفكر العبثيّ هو الفقر والفاقة.

الطريقة الوحيدة للنفاذ من «تملّك» العبثيّة لنا، هي عدم التنعّم بأيٍّ من حسناتها. لا تشتّت جنسيًّا من دون عفّة، إلخ.

كما سبق. إدراج موضوعة التذبذب.

كما سبق. التأمّل كأحد الأهداف العبثيّة، من حيث إنّه ينتشي من دون مشاركة.

*

لنتصوّر مفكّرًا يقول: «حسنًا، أعرف أنّ ذلك حقيقيّ، إنّما في النهاية، النتائج تجعلني أشمئزّ منه فأتراجع. الحقيقة غير مقبولة حتى من قبل مَن يجدها». لدينا هنا المفكّر العبثيّ وتململه المستمرّ.

---

(١) كتاب لماكس شيلر (مراجعة الرجل المتمرّد، ص ٣٠ و ٣١).

*

تلك الريح الفريدة التي تجري دومًا عند حدود الغابات. المثال العجيب للإنسان: جعل سكناه في قلب الطبيعة نفسها.

*

في شؤون الفكر، ينبغي أخذ القرار بإدراج التمييز الضروريّ ما بين فلسفة البداهة وفلسفة التفضيل. بمعنى آخر، من الممكن الوصول إلى فلسفة يزدريها العقل والقلب، إنّما تفرض ذاتها. وبالتالي، فإنّ فلسفة البداهة الخاصّة بي هي العبثيّة من غير أن يمنعني ذلك من امتلاك (أو بتعبير أدقّ من معرفة) فلسفة تفضيل: مثال: توازن مضبوط ما بين الفكر والعالم، تناغم، امتلاء، إلخ... المفكّر السعيد هو ذاك الذي يتبع طريقه ــ المفكّر المنفيّ هو من يمتنع عن ذلك ــ لتمسّكه بالحقيقة ــ بأسفٍ وإنّما بحزم...

أيمكننا أن ندفع هذا الانفصال بين المفكّر ونظام تفكيره إلى أبعد ما يمكن؟ ألا يعني ذلك العودة إلى واقعيّة مموّهة: الحقيقة الخارجة عن الإنسان ــ الإلزاميّة. ربّما، بيد أنّها ستكون ساعتئذٍ واقعيّةً غير مُرضية، وليست مبدئيًّا حلاً.

*

إنّ المشكلة الكبرى التي ينبغي حلّها «عمليًّا» هي: أيمكن أن نكون سعداء ووحيدين؟

*

أنطولوجيا اللامعنى[1]. قبل كلّ شيء، ما هو اللامعنى؟ علم الاشتقاق مضلِّل هنا. فهو ليس ما هو من دون معنى، وإلاّ وجب القول إنّ العالم من دون معنى. الهراء واللامعنى ليسا مرادفين. فقد يكون إنسانٌ لا معنى له عاقلاً تمامًا. واللامعنى ليس ما هو عديم الجدوى. هناك أفعالٌ مهمّة، مشاريع جدّيّة وعظيمة لا معنى لها تضعنا مع ذلك على درب التقدّم، إذ هي لا تبدو لا معنى لها، لمن يقوم بها بجدّيّة رسميّة. ينبغي إذًا إضافة ألاّ معنى لها بالنسبة إلى... وأنّ الشخصيّة هي كذلك أيضًا حيال... والفكرة في إطار... بتعبير آخر، وكما هي الحال بالنسبة إلى كلّ شيء، توجد نسبيّة اللامعنى من دون أن يعني ذلك أنّ اللامعنى نسبيّ. إنّه مرتبط بشيء ليس هو اللامعنى ـ وله معنًى ـ أهمّيّة معيّنة، «مُعتبَر»، يستحقّ الاهتمام، يستأهل التوقّف عنده، الاعتناء به، التركيز عليه، يشغل حيّزًا مهمًّا وعن جدارة، يفاجئ، يشدّ الانتباه قسرًا، يلفت النظر... إلخ. لم يحدَّد هذا الشيء بعدُ بشكل أفضل. لن يكون

(١) مراجعة: *في اللامعنى، دفتر الفصول* (١٩٥٩)، الذي يستعيد هذا النصّ بأسلوب ساخر، (طبعة لا بلياد، ص ١٨٩٤).

اللامعنى نسبيًا إلاّ إذا أمكننا إعطاء عدّة تعريفات عن قياسيّة المعنى ذاك. بتعبير آخر، إنّه ككلّ شيء قابل للمقارنة بشيءٍ أكبر منه، يستمدّ المعنى الضئيل الذي يمتلكه من معنًى أكثر عموميّة. لنتوقّف عند هذه الكلمات. إلى حدّ ما، وبكثير من الحيطة ومع اعتماد تفاصيل عديدة، قد يمكننا القول إنّ لا معنى شيءٍ ما، لا يعني بالضرورة أنّ الشيء لا يملك معنًى، وإنّما أنّه لا يملك بذاته معنًى عامًّا. بعبارة أخرى واستنادًا إلى سلّم القيم الطبيعي، إن أنا تزوّجت، أكون قد قمت بفعل يكتسي معنًى عامًّا في نظام النوع البشري، ومعنى آخر في نظام المجتمع، وآخر في نظام الدين أيضًا، وربّما أخيرًا في النظام الميتافيزيقي. النتيجة: ليس الزواج عملاً لا معنى له، أقلّه ضمن منظومة القيم المتّفق عليها. فلو سُحبت منه المعاني البشريّة والاجتماعيّة أو الدينيّة، وتلك هي حال الأفراد غير المبالين بهذه الاعتبارات، يكون فعلاً عملاً لا معنى له. في مطلق الأحوال، نرى في هذا المثال أنّ اللامعنى يرتبط بالمعنى الذي لا يملكه.

لنتناول مثالاً عكسيًّا: إذا كان يجب أن أدير القفل نحو اليمين بدلاً من اليسار لفتح باب، فأنا لا أستطيع ربط هذه الحركة بأيّ معنى عامّ متّفقٍ عليه. إنّ المجتمع، الدين، الجنس البشري والإله نفسه، لا يبالون البتّة بأن أدير القفل يمنة أو يسرة. النتيجة: فعلي لا معنى له، إلاّ إذا كانت هذه العادة متّصلة بالنسبة إليّ مثلاً، بهاجس

تقنين قواي، وبميل إلى الفعاليّة قد يعكس إرادة معيّنة، سلوكًا حياتيًّا، إلخ. في هذه الحال، يكون أن أدير القفل بطريقة معيّنة، أكثر أهميّة بكثير بالنسبة إليّ من أن أتزوّج. وبالتالي فإنّ اللامعنى يمتلك دومًا علاقته التي تقرّر ما هو. والاستنتاج العامّ هو أنّ هناك ريبة في حالة اللامعنى.

لكن، طالما أنّي أقترح إنجاز أنطولوجيا الأفعال التي لا معنى لها، فهذا معناه أنّي أدرك ما هو فعل لا معنى له. على الأرجح. لكنّ معرفة الأفعال التي لا معنى لها، لا تعني معرفة اللامعنى. وفي النهاية، يمكنني إنجاز هذه الأنطولوجيا لوضع حدّ لهذا اللبس. ومع ذلك...

مخطّط.

١° أفعال لا معنى لها: العجوز والقطّ[١] ــ العسكريّ والصبيّة (ملاحظة: تردّدت في وضع هذه القصّة في الأنطولوجيا. ربّما لأنّها تملك معنًى كبيرًا. لكنّي أُدرجها مع ذلك لكي أظهر الصعوبة القصوى لعملي. في مطلق الأحوال، من الممكن وضعها أيضًا في أنطولوجيا الأشياء التي لها معنى ــ قيد الإعداد)، إلخ، إلخ.

---

(١) مراجعة *المفكّرة I والطاعون*، ص ١٢٣٥، (طبعة لا بليياد).

٥٢ عبارات لا معنى لها. «كما يُقال في بلادي» ــ «كما كان نابوليون يقول» ــ و، بشكل عامّ، معظم المفردات التاريخيّة. مسوك جارّي(١).

٥٣ أفكار لا معنى لها. ينبغي إعداد مجلّدات ضخمة عديدة.

*

لماذا هذه الأنطولوجيا؟ سوف نلحظ في النهاية أنّ اللامعنى يتماثل دائمًا تقريبًا مع المظهر الآليّ للأشياء والكائنات ــ مع العادة في أغلب الأحيان. والمراد قوله هو أنّ تحول كلّ الأشياء اعتياديّةً يجعلنا على ثقةٍ من أنّ أكبر الأفكار وأعظم الأفعال تصير لا معنى لها في النهاية. فهدف الحياة(٢) المقرَّر هو اللامعنى. من هنا فائدة الأنطولوجيا. إذ إنّها لا تصف عمليًّا الجزء الأكبر من الوجود فحسب، وإنّما ذاك الخاصّ بالحركات الصغيرة، بالأفكار الصغيرة، بالأمزجة الصغيرة، وبمستقبلنا المشترك أيضًا. وهي تملك ميزة باتت نادرةً جدًّا في أيّامنا هذه، ألا وهي التنبّؤ بشكل حقيقيّ.

يثبت نيتشه، مع حياته الخارجيّة الأشدّ رتابة على الإطلاق، أنّ الفكر لوحده مغامرةٌ رهيبة، حين يمارَس في الوحدة.

---

(١) مسوك جارّي: مراجعة مقدّمة ج. سالتاس لطبعة *أوبو ملكًا* (فاسكيل). لقد ذكر كامو هذه الخبريّة سابقًا في *المفكّرة I*.

(٢) كلمة غير مقروءة.

نتحمّل أنّ موليير كان مجبرًا أن يموت!

*

٩ آذار/مارس.

أول نبات العناقيّة ــ وكانت تثلج منذ ثمانية أيّام فقط!

*

يعرف نيتشه الحنين أيضًا. لكنّه لا يريد مطالبة السماء بأيّ أمر. حلّه هو: ما لا نستطيع مطالبة الإله به، نطلبه من الإنسان: إنّه الإنسان المتفوّق. المدهش هو أنّنا لم نصنع منه هو نفسه إلهًا، للانتقام من هذا الادّعاء. القضيّة قضيّة صبر ربّما. بشّر بوذا بحكمة من دون آلهة، وبعد عدّة قرون، وُضع في هيكل.

*

الأوروبيّ الذي يصنع من الشجاعة لذّةً: إنّه معجب بذاته. مقزّز. الشجاعة الحقيقيّة سلبيّة: فهي لا تكترث بالموت. مثالٌ أعلى: المعرفة الصافية والسعادة.

*

ما الذي يمكن للمرء أن يتمنّاه أفضل من الفقر؟ لم أقل البؤس، ولا العمل اليائس للبروليتاريّ الحديث. لكن لا أرى ما الذي يمكننا اشتهاؤه أكثر من الفقر المتصل بلهوٍ نشيط.

*

لا يمكننا *إطلاقًا* إلغاء الأحكام القيميّة. فهذا ممّا ينفي العبثيّة.

*

كان الفلاسفة القدماء (ولسببٍ شرعيّ) يفكّرون أكثر بكثير ممّا كانوا يقرأون، لذا فقد كانوا متمسّكين بالواقع الملموس بشكل وثيق. نحن نقرأ أكثر ممّا نفكّر. لا فلسفات لدينا، وإنّما تعليقات. هذا ما يقوله جيلسون، معتبرًا أنّ عصر أساتذة الفلسفة الذين يهتمّون بالفلاسفة قد أعقب عصر الفلاسفة الذين يُعنون بالفلسفة. هناك في هذا الموقف تواضع وعجز في آن. مفكّرٌ يبدأ كتابَه بهذه الكلمات: «لنتناول الأشياء منذ البداية»، سوف يتعرّض للسخرية. ويبلغ الأمر حدّ أنّ كتاب فلسفة يُنشر اليوم من دون أن يستند إلى أيّ سلطة، استشهادٍ، تعليق، إلخ، لن يؤخذ على محمل الجدّ. ومع ذلك...

*

خاصّ بـ *الطاعون*: لدى البشر أشياءُ تُثير الإعجاب أكثر من أشياء تثير الاحتقار.

*

عندما نختار الزهد والتخلّي رغم القناعة بأنّ «كلّ شيء متاح»، يبقى مع ذلك شيءٌ ما، ألا وهو أنّنا لا نحكم على الآخرين.

ما يجذب الكثير من الناس إلى الرواية هو أنّها ظاهريًا نوعٌ لا يملك أسلوبًا. بيد أنّها تقتضي في الواقع الأسلوب الأشدّ صعوبة، أي ذاك الذي يخضع لغرضه بشكل كامل. وبالتالي، يمكننا تصوّر مؤلّفٍ يكتب كلاًّ من رواياته بأسلوبٍ مختلف.

*

إحساس الموت الذي بات أليفًا بالنسبة إليّ من الآن فصاعدًا: إنّه يفتقد نجدات الألم. فالألم يثبّتنا في الحاضر إذ إنّه يتطلّب صراعًا يشغل. إنّما استشعار الموت عند الرؤية البسيطة لمنديل ملطّخ بالدم، دونما جهدٍ، هو الغرق مجدّدًا في الزمن بطريقة تسبّب الدُوار: ذلك هو رعب الصيرورة.

*

تناقصت سماكةُ السحب. وما إن تمكّنت الشمسُ من الخروج، حتى راحت الأراضي المحروثة تدخّن.

الموت هو ما يعطي الحبَّ شكله مثلما يعطي الحياة شكلها ـــ محوّلاً إيّاه إلى قدر. ماتت المرأة التي تحبّ وقتَ كنت تحبّها، وها هو حبّك بعد الآن ثابتٌ إلى الأبد ـــ فلولا تلك النهاية، لكان تحلّل. ولولا الموت، لكان العالم بالتالي سلسلةً من الأشكال المتلاشية والمنبعثة، هربًا قلِقًا، وعالمًا لا يتمّ. إنّما لحسن الحظّ، ها إنّه هنا، هو الثابت. أمّا العاشق المنتحب أمام جثمان المحبوبة، رونيه أمام بولين، فيذرف دموع الفرح الصافي ـــ وكلّ الأشياء المنتهية ـــ لرجلٍ يُقرّ بأنّ قدره توضّح أخيرًا.

*

النظريّة الغريبة الخاصّة بمدام لافاييت هي نظريّة الزواج إذ تعتبره أقلّ الشرور. فالزواج السيّئ أفضل من عذاب الغرام. نتعرّف هاهنا إلى أخلاقيّات النظام.

(الرواية الفرنسيّة رواية نفسيّة لأنّها تحاذر من الميتافيزيقيا. فهي تعتمد البشريّ كمرجعٍ باستمرار، من باب الحيطة والحذر). إنّ استنباط صورة الرواية الكلاسيكيّة من «لا برينسيس دو كليف» ناتجٌ عن سوء قراءتها. فهي على العكس، مؤلّفة بشكل سيّئ جدًّا.

*

الطاعون. المبعَدون: يوميّات الإبعاد؟ «لقد كان شعور الإبعاد عامًّا، ومن الممكن إعطاء فكرة عنه من خلال المحادثات، البوح الخاصّ، والقصص التي تنشر في الصحف».

كما سبق. المبعَدون. تلك الساعة المسائيّة التي هي ساعة مساءلة الضمير بالنسبة إلى المؤمنين ــ والقاسية جدًّا بالنسبة إلى السجين ــ هي ساعة الحبّ المكبوت.

الطاعون. كما سبق. يدفع الجوعُ البعضَ إلى التفكير، وآخرين إلى التزوّد بالمؤن. وبالتالي، فلم يكن ما يجلب الشقاءَ أمرًا حسنًا في الآن نفسه فحسب، بل إنّ ما كان شقاءً بالنسبة إلى البعض، كان جيّدًا بالنسبة إلى آخرين. كانت الأمور ملتبسة على الجميع.

ستيفان. يوميّات الإبعاد.

ثلاثة مخطّطات في الكتاب:

تارّو الذي يصف بالتفصيل؛

ستيفان الذي يذكر العامّ؛

ريّو الذي يسعى إلى التوفيق، عبر اعتناق التشخيص النسبيّ لمصافٍّ أعلى.

*

المبعَدون. كما سبق. في نهاية زمن الطاعون، ما عادوا يتصوّرون تلك الألفة التي عرفوها وكيف استطاع العيشَ بقربهم كائنٌ كان يمكنهم لمسه في أيّ وقت.

*

جملة تقديم لـــ سوء *التفاهم*؟ «ما يولد لا يبلغ الكمال وهو مع ذلك لا يتوقّف». مونتانيو.

*

نتصوّر عن طيب خاطر أوروبيًّا اعتنق البوذيّة ـــ بما أنّها تمنحه الثقة ببقائه على قيد الحياة ـــ وهو ما يراه بوذا داءً من غير دواء ـــ إنّما ما يرغبه هو بكلّ قواه.

*

سان ـــ إتيانّ وضاحيتها. مشهدٌ كهذا هو بمثابة إدانة للحضارة التي ولدته. فإنّ عالمًا لم يعد فيه مكان للكائن، للفرح وللّهو النشيط، هو عالمٌ ينبغي أن يموت. لا يستطيع أيّ شعب العيش خارج الجمال. يمكنه الصراع من أجل البقاء لحين، هذا كلّ شيء. وأوروبا التي تُظهر هاهنا أحدَ أوجهها الأكثر ثباتًا، لا تني تبتعد عن الجمال. لذا تراها تنقبض وتختلج، ولذا فهي سوف تموت إن لم يكن السلام يعني لها العودة إلى الجمال واستعادة الحبّ مكانته.

كلّ حياة موجّهة نحو المال هي موتٌ. أمّا البعث فهو في التجرّد.

*

في فعل الكتابة دليلٌ على ثقة شخصيّة بدأت أفتقدها. الثقة بأنّ لديّ ما أقوله وبأنّ هناك على وجه الخصوص، ما يمكن قوله ـ الثقة بأنّ ما أشعره وما أنا عليه له قيمة النموذج ـ والثقة بأنّي ضروريّ ولست جبانًا. هذا هو كلّ ما أفتقد، وقد بدأت أتصوّر اللحظة حيث سأتوقّف عن الكتابة.

*

التمتّع بقوّة اختيار ما نفضّله والتمسّك به. وإلاّ، فالموت أفضل.

*

المبعَدون: «كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ساعة الغيرة التي لا مبرّر لها»، لكي يعيشوا حبّهم من جديد.

*

كما سبق. يُطلب إليهم تسجيل أسمائهم لمعرفة قائمة الذين أُبعدوا. ويدهشهم ألاّ يتبع ذلك أيّ حدث. إلاّ أنّ الأمر يتعلّق فقط

بمعرفة أسماء الذين ينبغي التبليغ عنهم، «في حال». «الحاصل، سجّلنا أسماءنا».

*

كما سبق. القسم الثالث. «لكن، عندما عُثر عليهم، كان من الصعب أن يستبدلوا المخلوق الذي في خيالهم بذاك الواقعيّ... ويمكن القول إنّ الطاعون لم يمت، إلاّ يوم استطاع واحدُهم النظر مجدّدًا بمللٍ في وجه من تقف قبالته».

*

يُحكَم على كلّ فكرة تبعًا لما تُجيد استنباطه من العذاب. ورغم نفوري، يبقى العذاب أمرًا واقعًا.

*

لا أستطيع العيش خارج الجمال. هذا ما يجعلني ضعيفًا تجاه بعض الكائنات.

*

عندما ينتهي كلّ شيء، *التنحّي* (الإله*/و* المرأة).

*

الخيال هو أكثر ما يميّز الإنسان عن الحيوان. لذا، لا يمكن للجنس أن يكون طبيعيًّا فعلاً، أي أعمى.

*

العبثيّة هي الرجل المأساويّ أمام مرآة (كاليغولا). هو ليس وحيدًا/ إذًا. هناك برعم رضاً أو عطف. الآن، ينبغي حذف المرآة.

*

لا يمضي الوقت بسرعة عندما نراقبه. إذ يشعر أنّه مراقب. لكنّه يغتنم لحظات سهونا. وربّما كان هناك وقتان، ذاك الذي نراقب وذاك الذي يحوّلنا.

*

جملة تقديم لـــ سوء *تفاهم*: «لهذا السبب يتقلّد الشعراء تلك الوالدة البائسة نيوبي التي، بعد أن فقدت أوّلاً سبعة أبناء ومن ثم سبع بنات، فحوّلت أخيرًا إلى صخرة وهي مثقلة بالفقدان... من أجل التعبير عن ذلك الحمق الكئيب، الأبكم والأصمّ، الذي يرهقنا حين تُثقل النكبات كاهلَنا، متجاوزةً قدرتنا على الاحتمال». مونتانيو.

كما سبق. في الحزن. «أنا من بين الأكثر خلوًّا من هذا الولع، وأنا لا أحبّه ولا أقدّره، رغم أنّ العالم قرّر إكرامه برعاية خاصّة جدًّا».

*

كما سبق. (في الكَذَبة). «ليس أفضل، لمعرفة قوّة جواد، من اختبار قدرته على التوقّف بمرونة وحزم».

*

العبثيّة. لست أؤمن بوجود عالمٍ آخر حيث علينا أن «نُحاسَب». إذ لدينا في الأصل ما نحاسَب عليه في هذا العالم ــ من قِبَل كلّ من نحبّ.

*

كما سبق. بصدد اللغة. (باران: لا يمكن دحض الحجج التي تثبت بأنّ الإنسان لم يتمكّن من اختراع اللغة). فما إن نعمّق البحث، حتى يفضي الأمر برمّته إلى معضلة ميتافيزيقيّة. هكذا، يجد الإنسان نفسه أينما التفت، معزولاً داخل الواقع كما لو كان على جزيرة محاطة ببحر مصطخب بالاحتمالات والتساؤلات. من هنا يمكننا الاستنتاج بأنّ للعالم معنىً. وإلاّ، لما كان له معنىً، لو أنّه

كائن، بشكل وحشيّ. فالعوالم السعيدة لا تملك إدراكًا. وإذًا، فمن السخف القول: «هل الميتافيزيقيا ممكنة؟». الميتافيزيقيا هي.

*

إنّ عزاء هذا العالم هو عدم وجود عذابات متواصلة. يختفي الألم فينبعث الفرح. الكلّ يتوازن. العالم متوازن. وحتى لو استخرجت إرادتُنا من الصيرورة عذابًا مميّزًا نرفعه إلى مصافّ القوّة لكي نمتحنه من دون توقّف، ففي هذا الخيار برهانٌ على أنّنا نرى العذاب ذاك حسنًا، بحيث إنّ التعويض يكمن فيه هذه المرّة.

*

الجزء الثالث من «اعتبارات في غير أوانها»[1]. بنظرة ملؤها الألم، ابتعد شوبنهاور عن صورة المؤسّس الكبير لدير «ترابيه دو رانسي»، قائلاً: «هذا ممّا يتطلّب عفوًا إلهيًّا».

*

بشأن (م.)[2] لا أرفض الذهاب نحو الكائن الأعلى، لكنّي لا أريد طريقًا تبتعد عن الكائنات. معرفة ما إذا كان من الممكن إيجاد الإله في نهاية شغفنا.

---

(١) مقطع مأخوذ من «اعتبارات في غير أوانها» لنيتشه. الجزء الثاني، ص ٥٣ ، (أوبييه).
(٢) كلمة غير مقروءة.

الطاعون: مهمّ جدًّا. «لأنّهم منحوكم مؤونةً وألم الفراق، تمكّنوا منكم دونما مقاومة».

*

٢٠ أيّار/مايو

للمرّة الأولى: شعور غريب بالرضا والامتلاء. سؤال طرحته على نفسي وأنا ممدّد فوق العشب، أمام المساء المثقل والحارّ: «لو كانت هذي الأيّام هي الأخيرة...» الجواب: ابتسامة وديعة في داخلي. ومع ذلك، لا شيء يمكنني المفاخرة به: لا شيء حُلَّ، وسلوكي نفسه ليس متماسكًا فعلاً. أهو التصلّب ما يُنهي تجربةً ما، أم عذوبة المساء، أو على العكس بدايةُ حكمةٍ ما عادت تنكر شيئًا؟

*

حزيران/يونيو. لوكسمبورغ

صبيحة يوم أحد ملأى بالريح وبالشمس. حول الحوض الكبير، يبعثر الهواء مياه النافورة، القوارب الشراعيّة الصغيرة فوق المياه المتموّجة، وطيور السنونو حول الأشجار الكبيرة. شابّان يتناقشان: «أنت المؤمن بالكرامة الإنسانيّة».

*

تمهيد: ــ الحبّ...

ــ المعرفة...

ــ إنّها الكلمة نفسها.

*

في حين يبدو تحليق الطيور نهارًا دونما هدف، تظهر الطيورُ ليلاً وكأنّها قد وجدت وجهةً لها. إنّها تطير نحو شيء ما. هكذا ربّما، في مساء الحياة[١]...

أهناك مساء حياة؟

*

غرفة فندق في فالينس. «لا أريدك أن تفعلي ذلك. ما الذي سأصبح عليه مع تلك الفكرة؟ ماذا سأصبح أمام والدتك، أخواتك، يا ماري ــ رولاند، لقد وعدت نفسي بألاّ أقول لك ذلك، تعرفين جيّدًا. ــ أتوسّل إليك، لا تفعلي ذلك. كنت محتاجًا بشدّة إلى يومَي الراحة هذين. سوف أمنعك من فعل ذلك. وسأمضي إلى النهاية. سوف أتزوّجك إن اقتضى الأمر. لكن، لا يمكنني أن أتعب ضميري ــ لقد وعدت نفسي ألاّ أقول لك ذلك. ــ إنّها كلمات. والأفعال هي ما يهمّني... ــ سوف يبدو الأمر كحادث. القطار... إلخ. (تبكي.

(١) الجملة التالية أُضيفت بقلم رصاص على المخطوطة.

تصرخ: أكرهك. أكرهك لما تفعله بي). ــ أعرف ذلك جيّدًا، يا رولاند، لكن لم أرد أن أقول لك ذلك. إلخ. إلخ». يقطع وعدًا. المدّة: ساعة ونصف. رتابة. مراوحة المكان.

*

فان غوغ وقد هزّته فكرة لرونان:

«الموت حيال الذات، إنجاز أشياء عظيمة، بلوغ النبل، وتجاوز السوقيّة حيث يتسكّع الوجودُ، وكلُّ الأفراد تقريبًا».

«إذا ما استمررنا نحبّ بإخلاص ما هو جدير بالحبّ حقيقةً، فلم نهدر حبّنا على أشياء سخيفة وتافهة وغير ممتعة، سنجني شيئًا فشيئًا المزيد من النور، ونصبح أكثر قوّة».

«إذا ما طوّرنا أنفسنا في أمر واحد وكنّا نفهمه جيّدًا، فإنّنا نكسب، علاوةً عليه، فهمَ ومعرفة أمور عديدة أخرى».

« أنا نوعٌ من المخلص في خيانته».

«وإن كنت أرسم مناظر طبيعيّة، فسيكون في داخلها دومًا أثرٌ لوجوه».

يستشهد بكلمة دوريه: «لديّ صبر بقرة».

مراجعة الرسالة ٣٤٠ حول الرحلة إلى زويلو[١].

الذوق السيّئ لكبار الفنّانين: يساوي ميلّليه (Millet) برامبراندت.

«بتّ أعتقد أكثر فأكثر أنّه لا يجب الحكم على الإله استنادًا إلى هذا العالم، فهي دراسةٌ له في غير محلّها».

«يمكنني الاستغناء عن الإله في الحياة وفي الرسم، لكن عند شعوري بالألم والعذاب، أنا لا أستطيع الاستغناء عن شيءٍ هو أكبر منّي، وهو حياتي وطاقة الخلق».

رحلة البحث الطويلة لفان غوغ الهائم حتى سنّ الـ ٢٧، قبل أن يجد طريقه ويكتشف أنّه رسّام.

*

حين نكون قد فعلنا ما يجب لكي نفهم جيّدًا ونتقبّل ونتحمّل الفقر والمرض وعيوبنا الخاصّة، تبقى بعدُ خطوةٌ نقوم بها.

*

الطاعون. في نهاية الطاعون، يستنتج أستاذٌ عاطفي[٢] أنّ الشاغل الذكي الوحيد المتبقّي هو نسخ كتاب بالمقلوب (تطوير النصّ والمعنى).

---

(١) فان غوغ، الرسائل الكاملة، الجزء ٢، ص ٢٥٤.
(٢) ستيفان، المذكور سابقًا.

يموت تارّو بصمت (طرفة جفن، إلخ).

معسكر عزل إداريّ.

محادثة في النهاية مع الأستاذ والطبيب: لقد اجتمعا. ذلك أنّهما كانا يطالبان بالقليل. أنا، لم أحصل على، إلخ.

الحيّ اليهودي (الذباب). أولئك الذين يودّون المحافظة على المظاهر. يُدعى الناس إلى شرب ما يشبه القهوة.

المبعَدون. القسم الثاني. وما كان يصعب عليهم أصلاً تحمّله لأنفسهم (الشيخوخة)، عليهم الآن مُقاساته عن اثنين.

ومع ذلك، فقد كانت الأعمال الاعتياديّة ما تزال تُصرّف. وبالفعل، فقد علمنا في تلك اللحظة بتتمّة حادثةٍ أثارت في حينه فضول العارفين. قاتلٌ شابّ... نال العفو. كانت الجرائد تظنّ أنّه سينفذ بعشر سنوات سجنٍ مع حسن سلوك، يخرج من بعدها ليستأنف حياته اليوميّة. لم يكن هناك حقًّا أيّ لزوم.

*

الوثوق بالكلمات، تلك هي الكلاسيكيّة ـ إنّما هي لا تستخدمها إلاّ بحذر، حفاظًا على تلك الثقة. أمّا السرياليّة التي لا يهمّها الأمر، فهي تفرط باستعمالها. لنعد إلى الكلاسيكيّة، من باب التواضع.

*

على الذين يحبّون الحقيقة أن يبحثوا عن الحبّ في الزواج، أي الحبّ من دون أوهام.

*

«ممّ يتكوّن الإلهام الأوكسيتاني [لغة سكّان جنوب فرنسا]»؟ عدد خاصّ من مجلّة «دفاتر الجنوب». باختصار، لم يكن لنا قيمة أو وزن في عصر النهضة، في القرن الثامن عشر، وفي الثورة. ولم نحظَ باعتبار إلاّ ما بين القرنين العاشر والثالث عشر، وفي لحظة حيث يصعب بالضبط الحديث عنّا كأمّة ـ وحيث كلّ حضارة هي عالميّة. هكذا، فإنّ قرونًا كاملة من التاريخ، البؤس أو المجد، الأسماء الكبيرة المائة التي خلّفوها لنا، التقاليد، الحياة الوطنيّة، الحبّ، هي كلّها سدًى، وكلّها هباء. ونحن هم العدميّون!

*

لا تضايقني النزعة الإنسانيّة: بل إنّها حتى تبتسم لي. لكنّي أجدها قصيرة.

*

بروك، راهب دومينيكان: إنّهم يزعجونني هؤلاء المسيحيّون الديمقراطيّون».

«يشبه (ج.) الكهنة إلى حدّ بعيد، فعليه نوع من المسحة الأسقفيّة، وأنا بالكاد أتحمّلها لدى الأساقفة».

*

أنا. ــ «صغيرًا، كنت أظنّ أنّ كلّ الكهنة سعداء».

بروك. ــ «يقلّص الخوفُ من فقد الإيمان حساسيّتَهم، فتصير الدعوة سلبيّة. هم لا ينظرون في وجه الحياة». (حلمه، سلك كهنوت كبير ومتفوّق، إنّما رائع بفقره وجرأته).

محادثة حول نيتشه الملعون.

*

باريس وجيد. إنّ الاقتلاع من الجذور قضيّة تجاوزناها. وحين لا تشغفنا القضايا، نتفوّه بحماقات أقلّ. بإيجاز، ينبغي وطنٌ وتنبغي رحلات.

*

سوء تفاهم. المرأة، بعد وفاة الزوج: «كم أحبّه»!

*

آغريبّا دوبينييه[1]:«هوذا رجل يؤمن ويحارب لأنّه يؤمن. بإيجاز، إنّه سعيد. يُرى ذلك من خلال رضاه عن بيتّه، حياته، ومهنته. وإذا ما أرعد، فضدّ أولئك المخطئين ــ بحسبه.

*

ما يصنع تراجيديا هو شرعيّة كلّ من القوى المتواجهة المتعارضة داخلها بشكل متساوٍ وحقّها بالعيش. من هنا التراجيديا الضعيفة: التي تدور مع قوى غير شرعيّة. ومن هنا التراجيديا القويّة: التي تضفي شرعيّة على كلّ شيء.

*

فوق مرتفعات ميزانك، الريح الضاربة بقوّةِ سيفٍ كبيرٍ يصفر في الهواء.

*

يعني التعايش مع شغفنا أنّنا قد استعبدناه.

*

يفترض العَود الأبديّ القناعة في الألم.

*

---

(١) في أرشيف كامو، ثلاث صفحات من الملاحظات حول أوبينييه.

تزدحم الحياة بأحداث تجعلنا نتمنّى لو أنّنا نشيخ.

*

عدم نسيان: المرض والتداعي الذي يرافقه. لا يجب إضاعة أيّ دقيقة ــ ما هو ربّما عكس «ينبغي الإسراع».

*

العبرة: لا يمكننا العيش مع الناس ونحن نعرف أفكارَهم الخفيّة ونواياهم.

رفض كلّ حكم جماعيّ، بعناد. إدراج البراءة في مركز قضيّة «التعليق» في كلّ مجتمع.

*

تُنضج الحرارة الكائنات كالفاكهة. إنّهم ناضجون قبل أن يحيوا. وهم يعلمون كلّ شيء قبل أن يتعلّموا.

*

(ب. ب.) «لا ينتبه أحد إلى أنّ بعض الأشخاص يصرفون قوّة هرقليّة ليكونوا طبيعيّين فقط».

*

الطاعون. إذا كانت دفاتر تارّو تشغل كلّ ذلك الحيّز، فلوجوده واحتضاره عند الراوي (في البداية).

ــ هل أنت متأكّد من أنّ العدوى أمر واقع، وأنّه يُنصح بالعزل؟ ــ لست واثقًا من أيّ شيء، لكنّي على ثقة بأنّ الجثث المتروكة والاختلاط، إلخ، ليست مؤاتية. قد تتبدّل النظريّات، لكنْ هناك شيء يبقى قيّمًا دائمًا وأبدًا، ألا وهو المنطق.

*

لشدّة كفاحها، ما عادت الهيئات الصحيّة تهتمّ بأخبار الطاعون.

يلغي الطاعون الأحكام القيميّة، فلا نعود نصدر أحكامًا على قيمة الملابس، الأطعمة، إلخ. بل نتقبّل كلّ شيء.

*

يودّ المُبعَد أن يطلب من الطبيب شهادة خروج (هكذا يعرفه)، فيروي الإجراءات... ويعود بانتظام.

القطارات، المحطّات، الانتظار.

يُدين الطاعونُ الإبعاد. إلاّ أنّ الاجتماع بآخرين ليس سوى مصادفة تطول. الطاعون هو القاعدة.

*

١ سبتمبر/أيلول ١٩٤٣

من يُصبْه اليأس من الأحداث هو جبان، ولكنّ من يشعر بالأمل حيال الشرط الإنساني فهو مجنون.

*

١٥ سبتمبر/أيلول

يترك كلّ شيء، عمله الشخصي، رسائل العمل، إلخ، للإجابة على فتاة صغيرة عمرها ١٣ سنة، كتبت إليه بقلبها!

*

بما أنّ كلمة الوجود تخفي شيئًا ما، هو حنيننا، وبما أنّها في الآن نفسه لا تستطيع الامتناع عن التمدّد وصولاً إلى تأكيد واقع أسمى، فنحن لن نحتفظ بها إلاّ في شكل تمّ تحويله ــ فنقول فلسفة لاوجوديّة، وهو ما لا يتضمّن نفيًا، وإنّما يزعم فقط الإشارة إلى حالة «الإنسان المحروم من...». ستكون الفلسفة اللاوجوديّة فلسفة المنفى.

*

ساد. «نلقي خطبًا ضدّ الولع، ولا يخطر لنا أنّ شعلة الفلسفة توقَد بناره».

*

للفنّ حركاتُ الحشمة. فهو لا يستطيع قول الأشياء مباشرةً.

*

في زمن الثورة، هم أفضل الأشخاص من يموتون. فقانون التضحية يعمل دائمًا في النهاية، بطريقة تجعل الجبناء والحذرين هم الذين يتكلّمون، وقد فقد الآخرون أصواتهم عندما بذلوا أفضل ما عندهم. يفترض دومًا التكلّمُ أنّنا ارتكبنا خيانةً ما.

*

الفنّانون وحدهم هم من يُحسنون إلى هذا العالم. لا، يقول بارّان.

*

الطاعون. يناضلون جميعًا ــ كلّ بطريقته. الجبن الوحيد هو الركوع... لوحظ ظهور عددٍ من الواعظين الأخلاقيّين الجدد، كانت خلاصتُهم دائمًا هي نفسها: ينبغي الجثوّ. إلاّ أنّ ريّو كان يجيب: يجب النضال بهذه الطريقة وتلك...

يمضي المُبعَد ساعاتٍ في محطّات القطار. إحياء المحطّة الميتة.

ريّو: «في كلّ جماعةٍ مناضلة، هنالك حاجة إلى رجالٍ يقتلون وإلى رجالٍ يطبّبون ويشفون. لقد اخترت أن أشفي، لكنّي مُدرك أنّي في حالة نضال».

*

الطاعون. توجد في هذه اللحظة موانئ بعيدة لون مياهها زهريّ في ساعة المغيب.

*

«الالتجاء إلى الإله لأنّنا هجرنا الأرض ولأنّ الألم فصلنا عن العالم، ليس ذا جدوى. فالإله محتاج إلى نفوس متعلّقة بالعالم. فرحكم هو ما يرضيه».

*

إنّ في تكرار العالم خيانة مؤكّدة له أكثر من تغييره ربّما. فأفضل الصور هي في الأصل خيانة.

ضدّ العقلانيّة. لو كان للحتميّة البحتة معنًى، سوف يكفي إذًا توكيدٌ حقيقيّ وحيد لكي نبلغ الحقيقة كاملةً، من نتيجة إلى أخرى. ليست هي الحال. لذا، فنحن إمّا لم نتلفّظ قطّ بتوكيد حقيقي واحد ولا حتى بأنّ كلّ شيء حتميّ، وإمّا أنّنا قد قلنا الحقيقة وإنّما *للاشيء*، وإذًا الحتميّة باطلة.

خاصّ بـ «الخلق ضدّ الإله»[1] خاصتّي. هو ناقد كاثوليكي (ستانيسلاس فوميه) ذاك القائل بأنّ الفنّ، أيًّا كان هدفه، ينافس دومًا الإله بطريقة مذنبة. أيضًا: روجيه سوكريتان، دفاتر الجنوب، أغسطس/آب ـ سبتمبر/أيلول ٤٣. وأيضًا بيغي: «هنالك حتى شعرٌ يستمدّ ألقه من غياب الإله، لا يراهن على أيّ خلاص، ولا يستسلم إلاّ لذاته، إنّه جهد إنساني يكافأ منذ الكرة الأرضيّة على ملئه فراغ الأفلاك».

لا يوجد مكان وسطيّ ما بين الأدب التبريريّ وأدب المنافسة.

*

الواجب هو القيام بما نعرفه محقًّا وخيّرًا ـ أي «الأفضل». أهو أمر سهل؟ كلاّ، فحتى ما نعرف أنّه الأفضل، نفعله بصعوبة.

*

العبثيّة. إذا ما انتحرنا، انتفت العبثيّة. وإذا ما امتنعنا عن قتل أنفسنا، تكشف العبثيّة عبر الاستعمال مبدأ رضًا ينفيها بنفسه. هذا لا يعني أنّ العبثيّة ليست قائمة. بل يعني أنّها فعليًّا من دون منطق. لذا لا يمكننا فعليًّا الاعتياش منها.

---

(١) مراجعة «التمرّد والفنّ» في الرجل المتمرّد، ص ٣١٣.

باريس. نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٣[1]

سورينا [مسرحيّة لكورناي]. في الفصل الرابع، كلّ الأبواب محروسة.

ويوريدس التي كانت قد وجدت إلى الآن نبرات رائعة، تباشر صمتها عاصرة قلبها، غير قادرة على التلفّظ بالكلمة التي تحرّرها. وهي سوف تصمت حتى النهاية ــ فتموت لامتناعها عن الكلام. وسورينا الذي يقول:

«آه،... الألم الذي يعتصرني

لا تبتلعيه بكل هذه الرقّة».

روعة رهان المسرح الكلاسيكيّ حيث يتوالى أزواج من الممثّلين يأتون لكي يتلوا الأحداث من دون أن يعيشوها أبدًا ــ وحيث لا يني القلق وسير الأحداث يتزايدان مع ذلك.

*

باران. لقد مارسوا الغشّ جميعًا. فلم يتجاوزوا أبدًا اليأس حيث كانوا. وذلك، بسبب الأدب. فالشيوعي بالنسبة إليه هو شخصٌ تخلّى

---

(١) في ٢ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٣، انتسب كامو كقارئ إلى دار نشر غاليمار.

عن اللغة فاستبدلها بالتمرّد الملموس. لقد اختار أن يفعل ما أنف المسيح من فعله، إنقاذ الهالكين ــ من خلال إهلاك ذاته.

*

في كلّ عذاب وانفعال وعاطفة، هناك مرحلة حيث تنتمي تلك المشاعر إلى الإنسان حتى في أكثر جوانبه فرديّةً وغموضًا، ومرحلة حيث تنتمي إلى الفنّ. بيد أنّ الفنّ لا يستطيع أبدًا التصرّف بها في البداية. فالفنّ هو المسافة التي يمنحها الزمن للعذاب.

إنّه تسامي الإنسان بالنسبة إلى ذاته.

*

الإيروتيكيّة المنهجيّة مع ساد[1] هي أحد اتّجاهات الفكر العبثيّ.

*

ليس الموت تحرّرًا بالنسبة إلى كافكا. وإنّما تشاؤمه المتواضع، بحسب مانيي.

*

الطاعون. اتّخذ الموت لديهم شكل الإصرار والعناد.

*

---

(١) مراجعة «أديب»، في *الرجل المتمرّد*، ص ٥٥ و٥٩.

إضافة ما يلي إلى مسودّة كاليغولا: «هيّا، لقد انتهت المأساة، والفشل كلّي تمامًا. أستدير وأرحل. لقد نلت نصيبي من المعركة هذه من أجل المستحيل. لننتظر الموت، مدركين مسبقًا أنّه لا يحرّر من أيّ شيء»[1].

*

«ربّما مات المسيح من أجل أحد ما، لكن ليس من أجلي أنا».
ـ الإنسان مذنب لكونه لم يُجِد استخراج كلّ ما في ذاته ـ هذا خطأ تعاظَم منذ البداية.

*

حول العدالة ـ الفرد الذي ما عاد مؤمنًا بها منذ لحظة تعرّضه للاعتداء.

كما سبق. مأخذي على المسيحيّة هو أنّها مذهب الظلم.

*

الطاعون. الانتهاء على امرأة جامدة ومحزونة تعلن على شكل عذاباتٍ، ما بذله البشر من حياة ودماء.

---

(١) في الواقع، لم يستخدم كامو هذه الملاحظات.

ثلاثون عامًا.

إنّ ملَكة الإنسان الأولى هي النسيان. لكن يصحّ القول إنّه حتّى ينسى ما فعله من خير.

*

الطاعون. الإبعاد هو القاعدة. البقيّة مصادفة.

ــ لكنّ الناس ما زالوا مجموعين.

ــ هناك مصادفات تدوم حياة بأكملها.

يُمنع الاستحمام في البحر. إنّها إشارة. إمتاع الجسد ممنوع ــ وكذلك بلوغ حقيقة الأشياء. لكنّ الطاعون سينتهي وستكون هناك حقيقةٌ للأشياء.

يوميّات المبعَد؟

*

أكبر توفير يمكن تحقيقه في نظام الأفكار، هو تقبّل لا معقوليّة العالم ــ والاهتمام بالإنسان.

*

عندما نبلغ حكمةً أو أخلاقيّةً وقد أصبحنا مسنّين، لا بدّ من الشعور بالاضطراب عند التندّم على كلّ ما فعلناه وكان مناقضًا لتلك الأخلاقيّة ولتلك الحكمة. فنحن سبّاقون جدًّا أو متأخّرون جدًّا. ولا وجود لحلٍّ وسط.

*

أعاشر آل فلان لأنّهم يتمتّعون بذاكرة أفضل من ذاكرتي. فهم يجعلون الماضي المشترك ما بيننا أكثر ثراء في نظري، ويعيدون إلى ذاكرتي كلّ ما خرج منها.

*

لكي يكون العمل الأدبيّ تحدّيًا، ينبغي أن يكون منجَزًا (من هنا ضرورة «من دون غد»). فهو نقيض الإبداع الإلهيّ إذ إنّه منجز، محدود، واضح، ومعجون بالمتطلّبات البشريّة. الوَحدة في أيدينا.

*

باران. أيستطيع الفرد اختيار اللحظة التي يمكنه الموت فيها من أجل الحقيقة؟

ففي هذا العالم، هناك الشهود والمفسِدون. وما إن يشهد امرؤ ويموت حتى يأتي من يفسد شهادته بالكلمات، بالوعظ، بالفنّ، إلخ.

*

قد يحسّن النجاح رجلاً شابًّا بمثل ما تفعل السعادة برجل مكتمل. فإثر الاعتراف بجهده، يستطيع إضافة الاسترخاء والتخلّي، الفضيلتان الملكيّتان.

*

أمضى روجيه باكون *اثنـي* عشر *عامًا* في السجن لأنّه أكّد أسبقيّة التجربة في أمور المعرفة.

*

هناك لحظة يضيع فيها الصبا. هي اللحظة التي نخسر فيها أشخاصًا. وينبغي معرفة تقبّلها. إلاّ أنّها لحظة قاسية.

*

بشأن الرواية الأميركيّة: إنّها ترمي إلى العالميّة. كما هي الكلاسيكيّة. لكن، في حين ترمي الكلاسيكيّة إلى عالميّة أزليّة، يهدف الأدب المعاصر بفعل الظروف، (تداخل الحدود) إلى عالميّة تاريخيّة. لا يتعلّق الأمر بإنسان العصور كلّها، وإنّما بإنسان كلّ الأمكنة.

*

الطاعون. «كان يحبّ الاستيقاظ عند الرابعة صباحًا واستحضارها في خياله، إذ كانت تلك الساعة التي يتمكّن فيها من القبض عليها. عند الرابعة صباحًا، لا نفعل شيئًا. فنحن ننام»[1].

فرقة مسرحيّة تستمرّ في الأداء: مسرحيّة عن أورفيه ويوريدس.

*

المبعَدون : العالم... لكن، من أكون أنا لأدينهم. كلّهم على حقّ. إنّما لا وجود لمَخرج.

محادثة حول الصداقة ما بين الطبيب وتارّو: «لقد فكّرت في الأمر، لكنّه غير ممكن. الطاعون لا يترك لنا وقتًا. ــ فجأة: حاليًّا، نحن جميعًا نحيا من أجل الموت. إنّه أمر يستدعي التفكير».

كما سبق. شخص يختار الصمت.

*

ــ دافع عن نفسك، كان القضاة يقولون.

ــ كلاّ، قال المتّهم.

ــ لماذا؟ هذا واجب.

---

(١) مراجعة رامبير في الطاعون، ص ١٣٠٧، (طبعة لا بلياد).

ـ كلاّ، مرّة أخرى. أريدكم أن تتحمّلوا كامل مسؤوليّتكم.

*

حول الطبيعيّ، في الفنّ. الطبيعي المطلق مستحيل. لأنّ الواقعيّ مستحيل (ذوق سيّئ، سوقيّة، عدم تلاؤم مع المطلب العميق للإنسان). لذا، فإنّ العمل الإبداعي البشري، المنجز انطلاقًا من العالم، موجّه في النهاية دائمًا ضدّ العالم. الروايات المسلسلة سيّئة لأنّها حقيقيّة في جزء كبير منها (فإمّا أنّ الواقع هو المطابق لها، وإمّا أنّ العالم تقليديّ). الفنّ والفنّان هما من يُعيدان تشكيل العالم، إنّما دومًا مع فكرة اعتراض، في الخلفيّة.

*

رسمُ (س) بيَد (أ): «رشاقتها، حساسيّتها، ذاك المزيج من الذبول والاشتداد، الحذر والجرأة، وتلك السذاجة التي لا تمنعها من أن تكون فطنة بشكل صحّي».

*

ما كان الأغارقة ليفهموا شيئًا في الوجوديّة ـ في حين أنّهم، وبرغم الفضيحة، تمكّنوا من الدخول في المسيحيّة. ذلك أنّ الوجوديّة لا تفترض مسلكًا.

كما سبق. لا توجد معرفةٌ نقيّةٌ بشكل مطلق، أي نزيهة ومترفّعة. فالفنّ محاولةٌ لمعرفةٍ نقيّةٍ، من خلال الوصف.

*

طرحُ قضيّة العالم العبثيّ، هو التساؤل: «هل حقًّا سنقبل اليأس من دون أن نفعل شيئًا». أفترض أن لا أحد نزيهًا يمكنه الإجابة بنعم.

*

الجزائر. لست أدري إن كنت سأُفهَم جيّدًا. إنّما، شعوري هو نفسه حيال العودة إلى الجزائر والنظر في وجه طفل. ومع ذلك، فأنا أعرف أنّ الأشياء ليست كلّها طاهرة.

*

أعمالي الأدبيّة. إنهاء تتمّة الأعمال عن كتاب عن العالَم المخلوق: «الخليقة المصحَّحة».

*

لو كان العمل الأدبيّ، وهو ثمرة التمرّد، يختصر مجموع التطلّعات البشريّة، فمعنى ذلك أنّه مثاليّ(؟). وبالتالي، فإنّ الثمرة الأصفى للإبداع المتمرّد، هي رواية الحبّ التي...

*

ذلك اللَّبس الرائع الذي يجعل الشعرَ يقدَّم إلينا كتمرين روحيّ والرواية كزهدٍ ذاتيّ.

*

رواية. في مواجهة الفعل أو الموت، مواقف الرجل نفسه كافّةً. وإنّما، في كلّ مرّة، كما لو كانت الموقف الصائب.

*

الطاعون. لا يمكننا الاستمتاع بأصوات العصافير في برودة المساء ـــ والعالم كما هو. فهو الآن مكسوّ بطبقة سميكة من التاريخ ينبغي على لغته اختراقها لكي تبلغنا. وهذا يشوّهه. لا شيء ممّا فيه يُحَسّ لذاته إذ تلتصق مجموعةٌ كاملة من صور الموت أو اليأس بكلّ لحظة من العالم. لم تعد هناك صباحات من دون احتضار، ولا أمسياتٌ من غير سجون، ولا ظهيرات من دون مذابح مروّعة.

*

مذكّرات جلّاد. «أناوب ما بين الرقّة والعنف. فهذا أمر مفيد نفسيًّا».

*

الطاعون. الشخص الذي يتساءل إن كان يجب أن ينتسب إلى الهيئات الصحيّة، أو أن يحفظ ذاته لحبّه الكبير. الخصوبة! أين هي؟

كما سبق. بعد موعد منع التجوّل، تبقى المدينة من دون حراك.

كما سبق. ما كان يضايقهم، هو انعدام الأمان. فقد كانوا مطاردين، حائرين، الأيّامَ كلَّها، والساعات كلّها، دونما استراحة.

كما سبق. أحاول أن أبقى مستعدًّا. إنّما هنالك دومًا ساعة، في النهار أو في الليل، يكون الإنسان فيها جبانًا. من الساعة تلك، أنا أخاف.

كما سبق. معسكر العزل. «كنت مدركًا واقع الحال. سوف ينسونني، هذا مؤكّد. الذين لا يعرفونني سينسونني لأنّهم سيفكّرون في شيء آخر، والذين يعرفونني ويحبّونني سينسونني لأنّهم سيُنهَكون في الإجراءات وفي التفكير في سُبل إخراجي. في مطلق الأحوال، لن يفكّر أحدٌ بي. ولن يتصوّرني أحدٌ، دقيقةً إثر دقيقة، إلخ، إلخ».

(جعل رامبير يقوم بزيارة).

كما سبق. الهيئات الصحيّة أو رجال الفداء. لكلّ رجال الهيئات الصحيّة مظهر حزين.

كما سبق. «على هذه الشرفة، خطرت للطبيب ريّو فكرة ترك مقالة عن الحدث، حيث يُبرز التضامن الذي كان يحسّه مع هؤلاء الرجال. وتلك الشهادة التي تنتهي هنا... إلخ».

كما سبق. في الطاعون، لا نعود نحيا بأجسادنا، فنحن نتجرّد ممّا يكوّنها.

كما سبق. البداية: يرافق الطبيب زوجته إلى المحطّة. لكنّه مجبر على المطالبة بالإقفال.

*

الوجود والعدم (ص ١٣٥ ــ ١٣٦). خطأ غريب عن حيواناتنا، إذ إنّنا نحاول امتحانها من الخارج.

*

إذا كان للجسد حنينه إلى الروح، فلا مبرّر ألاّ تقاسي الروحُ في الأبديّة انفصالَها عن الجسد، بشكل أليم ــ وألاّ تتوق بالتالي إلى العودة مجدّدًا إلى الأرض.

*

نكتب في لحظات اليأس. لكن، ما هو اليأس؟

*

لا نستطيع أن نبني شيئًا على الحبّ: فهو فرارٌ، تمزّقٌ، لحظاتٌ رائعة، أو انهيارٌ من دون أجل. لكنّه ليس...

*

باريس، أو ديكور الحساسيّة بامتياز.

*

قصص قصيرة. في خضمّ الثورة، الشخص الذي يعد خصومه بإنقاذ حياتهم. ومن ثم، تُصدر محكمة حزبه بحقّهم عقوبات بالإعدام. فيساعدهم على الفرار.

كما سبق. كاهن يُخضَع للتعذيب فيخون[1].

كما سبق. سمّ السيانيد. لا يستعمله، لكي يرى إذا كان قادرًا على المضيّ حتى النهاية.

كما سبق. الشخص الذي يبدأ فجأةً مقاومةً سلبيّة. فيعتني بالمنكوبين. إلاّ أنّه احتفظ بشارة الذراع، فأُعدم رميًا بالرصاص.

كما سبق. الجبان.

*

---

(١) نجد الموضوع نفسه في المرتدّ (المنفى والمملكة).

الطاعون. ما بعد الطاعون، إنّه يسمع، للمرّة الأولى، وقعَ المطر على الأرض.

كما سبق. لأنّه سيموت، كان ملحًّا أن يجد الحياة غبيّةً. هذا ما كان يعتقده حتى الآن، فلينفعه الأمر على الأقلّ في اللحظة الصعبة هذه. ومهما يكن، هو لن يجد ابتساماتٍ على وجهٍ رآه دومًا مقفلاً، في هذه الساعة بالضبط حيث عليه وضع كافّة الحظوظ إلى جانبه.

كما سبق. الشخص الذي يوضع في المستشفى خطأً. إنّه خطأ، يقول. أيّ خطأ؟ لا تكن غبيًّا، ليس هناك أبدًا أخطاء.

كما سبق. الطبّ والدين: إنّهما مهنتان ويبدو أنّهما تتصالحان. إنّما اليوم حيث كلّ الأشياء واضحة، نفهم استحالة توافقهما ــ ووجوب الاختيار بين النسبيّ والمطلق. «لو كنت مؤمنًا بالإله، لما عالجتُ البشر. ولو كنت أعتقد بإمكانيّة شفاء الإنسان، فلن أؤمن بالإله».

العدالة: اختبار العدالة من خلال الرياضة.

*

الطاعون. الشخص الذي يتقبّل مرض الآخرين بشكلٍ فلسفيّ. لكن، فليمرض أعزّ أصدقائه ــ وها هو يفعل كلّ ما في وسعه. التضامن في المعركة إذًا شيءٌ واهٍ، لأنّ المشاعر الفرديّة هي التي تنتصر.

مقالة تارّو: مباراة ملاكمة ـ يُصادق تارّو ملاكمًا. مباريات سرّيّة مدبّرة ـ كرة قدم ـ محكمة.

تلك الساعة الصباحيّة المبكرة التي نمشيها في الشوارع بعد فطورٍ لذيذ ونحن ندخّن سيجارة. لم تزل هناك بعد، لحظاتٌ حلوة.

تارّو: «أمر مثير للفضول، فلسفتك حزينة ووجهك بشوش».
ـ استنتجْ إذًا بأنّ فلسفتي ليست حزينة.

في وسط الرواية، تجتمع كلّ الشخصيّات في الهيئة الصحّيّة نفسها. فصلٌ عن الاجتماع الكبير.

يوم أحد في حياة لاعب كرة قدم ما عاد يستطيع اللعب، إنشاء علاقة بينه وبين تارّو: يضجر إتيان فيلّبلان يوم الأحد منذ أن مُنعت مباريات كرة القدم. كيف كانت آحاده، وكيف هي الآن: إنّه يتسكّع في الطرقات، يرفس الحصى بقدمه محاولاً إدخالها مباشرة في فوهات المجاري («واحد ـ صفر»، يقول، مردفًا، إنّ الحياة حقيرة). يتدخّل في ألعاب الأطفال حيث توجد كريّات. يبصق أعقاب سجائره، ثم يتلقّاها بقدمه (بشكل طبيعي في البداية. ثم صار من ثم يحتفظ بأعقاب السجائر).

ريّو وتارّو.

ريّو: عندما نكتب ما تكتبه أنت، يبدو وكأنّه ليس لنا ما نفعله في خدمة البشر.

ـ هيّا، يقول تارّو، هي ليست إلاّ مظاهر.

*

(و). يبدو لها كلّ ما يمكنها تحديده مدعاةً للاحتقار. إنّها تقول: «أمر مقزّز. وكأنّه صراع الجنسين». إلاّ أنّ الصراع بين الجنسين موجودٌ ونحن لا نستطيع حيال ذلك شيئًا.

*

كائنٌ يطالب *الآخر* بالقيام بكلّ شيء في حين يتلقّى هو ويحيا بشكل بليد، إلاّ عندما ينشط بعنفٍ من أجل أن يقنع الآخر بالاستمرار في العطاء وفي القيام بكلّ شيء.

*

بحثٌ *أدبي عن التمرّد*: «يتصرّف كلّ المتمرّدين مع ذلك كما لو كانوا يؤمنون بانقضاء التاريخ. التناقض هو...».

كما سبق. ليست الحرّيّة سوى أمنية بعض النفوس. العدالة أمنيةُ الأكثريّة، والأكثريّة تخلط ما بين الحرّيّة والعدالة. لكن، سؤال: هل تساوي العدالة المطلقة السعادة المطلقة؟ ـ نصل إلى تلك الفكرة القائلة بوجوب الاختيار ما بين التضحية بالحرّيّة من أجل العدالة، أو بالعدالة من أجل الحرّيّة. بالنسبة إلى فنّان، يوازي الأمرُ في بعض الظروف، الاختيارَ ما بين فنّه وسعادة البشر.

أيستطيع الإنسان وحده ابتكار قيمه الخاصّة؟ تلك هي المعضلة كلّها.

أنت مصيب؟ لكنّي لم أقل أبدًا بأنّ الإنسان ليس عاقلاً. ما أريده هو حرمانه من امتداده الوهميّ وانتزاع الاعتراف بأنّه بات أخيرًا، مع هذا الحرمان، واضحًا ومترابطًا.

كما سبق. تضحية تفضي إلى قيمة. وإنّما انتحارٌ أنانيٌّ أيضًا: يضع في الطليعة قيمةً ـ تبدو له أكثر أهمّيّةً من حياته نفسها ـ إنّه الشعور بتلك الحياة اللائقة والسعيدة التي حُرم منها.

*

اعتبار البطولة والشجاعة قيمتين ثانويّتين ـ بعد *أن نكون قد أثبتنا شجاعتنا*.

*

رواية المنتحر في أوانه. أوانٌ محدّد بعام ـ تفوّقه الرائع لعدم اكتراثه بالموت.

ربطه برواية عن الحبّ؟

*

الطابع العبثيّ للتضحية: الشخص الذي يموت من أجل شيء *لن يراه أبدًا* !

*

لقد صرفت عشر سنوات لأستحوذ على ما كان يهيّأ إليّ أنّه بلا ثمن: قلبٌ من دون مرارة. وكما يحدث غالبًا، بعد أن تجاوزت المرارة، أسَرتُها في كتاب أو كتابين. وبالتالي، فإنّي سأحاكَم دومًا على تلك المرارة التي ما عادت شيئًا بالنسبة إليّ. لكنّه أمر عادل. فهذا هو الثمن الذي ينبغي دفعه.

*

أنانيّة الفنّانين الرهيبة والمفترسة.

*

لا يمكن الاحتفاظ بحبّ إلاّ لأسباب خارجة عن الحبّ. أسباب أخلاقيّة مثلاً.

*

رواية. ما هو الحبّ بالنسبة إليها: هذا الفراغ، وتلك الفجوة في داخلها منذ أن تعارفا، ونداء العاشقين ذاك من واحدهما في اتّجاه الآخر، وكلّ منهما يهتف باسم الآخر.

*

لا نملك قدرة الالتزام على جميع المستويات. بإمكاننا على الأقلّ اختيار العيش على المستوى حيث الالتزام ممكن. عيش ما هو مشرّف فينا والاكتفاء به فقط. في بعض الحالات، قد يفضي الأمر حتى إلى إهمال الكائنات (وبشكل خاصّ) لصالح قلبٍ مولع بالكائنات.

على كلّ حال، يسبّب الأمر تمزقًا، وإنّما ما الذي يثبته ذلك. إنّه يثبت أنّ من يتطرّق بجدّيّة إلى المسألة الأخلاقيّة ينتهي حتمًا في التطرّف. سواء كنّا مع (باسكال) أو ضدّ (نيتشه)، يكفي أن نكونه كذلك بجدّيّة وسوف نرى أنّ المسألة الأخلاقيّة ليست إلاّ دمًا، جنونًا وصراخًا.

*

التمرّد. الفصل الأول. الأخلاق موجودة. غير أخلاقي هو المسيحيّة. تحديدِ أخلاق ضدّ العقلانيّة الفكريّة واللاعقلانيّة الإلهيّة.

الفصل العاشر. التآمر كقيمة أخلاقيّة.

*

رواية.

المرأة التي أفشلت كلّ شيء، سهوًا: «ومع ذلك، فقد كنت أحبّه بكلّ جوارحي».

ـ هيّا، يقول الكاهن، لم يكن ذلك كافيًا.

*

الأحد ٢٤ سبتمبر/أيلول ١٩٤٤. رسالة.

رواية. «ليلة بوح، دموع وقُبل، سريرٌ مبلول بالدموع، بالعرق، بالحبّ. في ذروة كلّ أنواع التمزّق».

*

رواية. كائنٌ جميل. ويجعل الآخرين يسامحون كلّ شيء.

*

الذين يحبّون كلّ النساء هم أولئك الذين هم في طريقهم إلى التجريد. يتجاوزون هذا العالم مهما ظهر فيه، لأنّهم يبتعدون عن الخاصّ وعن الحالة الفريدة. الرجل الذي يهرب من كلّ فكرة ومن كلّ تجريد، اليائسُ الحقيقيّ، هو رجل امرأة واحدة. عنادًا بذاك الوجه الفريد الذي لا يمكنه الاستجابة لكلّ شيء.

*

ديسمبر/كانون الأوّل.

ذاك القلب المليء بالدمع والليل.

*

الطاعون. مُبعَدين، إنّهما يتكاتبان وهو يجد النبرة صحيحة ويحتفظ بحبّه. انتصار اللغة وحسن الكتابة.

*

مبرّرات الفنّ: يُعين العمل الفنّي الحقيقي على الصدق، ويعزّز تواطؤ الناس فيما بينهم، إلخ...

*

أنا لا أؤمن بالأفعال اليائسة. لست أؤمن إلاّ بالأفعال المؤسَّسة. لكنّي أعتقد بلزوم أشياء قليلة لتأسيس فعل.

*

في ما عدا الاعتراض الديني أو الأخلاقي، لا يوجد اعتراض آخر على الموقف التوتاليتاري. إن لم يكن لهذا العالم من معنى، فهم على حقّ. أنا لا أقبل أن يكونوا على حقّ. إذاً...

علينا نحن أن نخلق الإله. فهو ليس الخالق. تلك هي كلّ حكاية المسيحيّة. لأنّنا لا نملك سوى طريقة واحدة لخلق الإله، ألا وهي أن نصبح هو.

*

رواية عن العدالة.

في النهاية. أمام الأمّ الفقيرة والعليلة.

ــ أنا مطمئنّة عليك يا جان، فأنت ذكيّ.

ــ كلاّ يا أمّي، فليس هذا هو الموضوع. فأنا قد أخطأت غالبًا ولم أكن دومًا رجلاً عادلاً. إنّما هناك أمر...

ــ بالتّأكيد.

ــ هناك أمر وهو أنّي لم أخنكِ أبدًا. طوال حياتي كنت مخلصًا لك.

ــ أنت ابنٌ صالح يا جان. أعرف أنّك ابن طيّب جدًّا.

ــ شكرًا يا أمّي.

ــ لا، أنا هي من تشكرك. وأنت، عليك أن تتابع.

*

لا حرّيّة للإنسان ما لم يتغلّب على خشيته من الموت. إنّما ليس من خلال الانتحار. للتغلّب، لا ينبغي الاستسلام. القدرة على الموت وجهًا لوجه، دونما مرارة.

*

البطولة والقداسة، فضيلتان ثانويّتان. إنّما على المرء أن يكون قد أثبت جدارته.

رواية عن العدالة. متمرّد ينفّذ عمليّة يدرك أنّها ستؤدّي إلى مقتل رهائن بريئة... ويقبل من ثم توقيع العفو عن كاتب يكنّ له الاحتقار.

*

السمعة. يهبك إيّاها رديئون، فتتقاسمها مع رديئين أو مع أوغاد.

*

العفو؟

علينا أن نخدم العدالة لأنّ شروطنا ظالمة، أن نضيف إلى السعادة وإلى الفرح لأنّ هذا الكون تعيس. في الوقت نفسه، لا يجب أن نصدر أحكامًا بالإعدام لأنّهم حوّلونا إلى محكومين بالإعدام.

الطبيب عدوّ الإله: إنّه يكافح ضدّ الموت.

*

الطاعون. يقول ريّو إنّه كان عدوّ الإله طالما أنّه كان يكافح ضدّ الموت، وأنّ مهنته حتى هي أن يكون عدوّ الإله. ويقول أيضًا إنّه بمحاولته إنقاذ بانولو، كان في الآن نفسه يبرهن لهذا الأخير خطأه، وأنّه بقبوله أن يُنقَذ؛ كان يقبل إمكانيّة ألاّ يكون على حقّ.

يقول له بانولو فقط بأنّه سينتهي بأن يكون محقًّا بما أنّه سيموت من دون أدنى شكّ، فيردف ريّو بأنّ الأساسي هو عدم القبول والكفاح حتّى النهاية.

*

معنى مؤلّفاتي: عدد كبير من الناس محروم من النعمة. كيف نحيا من دون النعمة؟ ينبغي التحرّك والقيام بما لم تفعله المسيحيّة: الاهتمام بالهالكين.

*

الكلاسيكيّة هي هيمنة الشغف. في القرون الكبرى، كان الشغف فرديًّا. اليوم، إنّه جماعي. ينبغي التحكّم بالشغف الجماعي، أي إعطاؤه شكلاً. لكنّه يقوم بالتهامنا لحظة شعورنا به. لذا، فإنّ معظم أعمال تلك الحقبة شبيهة بتحقيقات صحفيّة أكثر منها بأعمال فنّيّة.

الإجابة: إذا كنّا لا نستطيع القيام بكلّ الأمور معًا، فالتخلّي عنها كلّها. ما معنى هذا القول؟ الحاجة إلى المزيد من القوّة ومن الإرادة، ممّا كان يلزم. سوف نحقّق ذلك. كلاسيكيّ الغد الكبير هو منتصرٌ لا يُضاهى.

*

رواية عن العدالة. بعد محاكمةٍ أو تشكيكٍ (إذ يجب توفّر الوَحدة)، يكلَّف الشخصُ الذي ينضمّ إلى الثوريّين (الشيوعيّين) فوريًّا بمهمّة يعلم أنّها تقتضي التضحية بالحياة. وهو يقبل لأنّ الأمر مطابق لسير الأمور. فيموت خلال أدائه المهمّة.

كما سبق. الشخص الذي يطبّق أخلاقيّات الصدق بغية تعزيز التضامن. وحدته الهائلة في النهاية.

كما سبق. إنّنا نقتل الأكثر إقدامًا في ما بينهم. فقد قتلوا الأكثر إقدامًا في ما بيننا. يبقى الموظّفون والحماقة. تلك هي نتيجة الانقياد وراء أفكار.

*

الطاعون. فصلٌ عن التعب.

*

التمرّد. الحرّيّة هي الحقّ في عدم الكذب. والأمر صحيحٌ على المستوى الاجتماعيّ (المترئّسون والمرؤوسون) وعلى المستوى الأخلاقي.

*

الخليقة المصحَّحة[1]. قصّة الانتحار في أوانه.

*

الطاعون. الأشياء التي تئنّ لإبعادها بعضها عن بعض.

*

لا يعيش هذا الشخص (مفتّش في الشركة العامّة للسكك الحديديّة) إلاّ من أجل السكك الحديديّة.

موظّف الشركة العامّة للسكك الحديديّة يحيا على سطح قشرة المادّة.

*

ابن عمّ (م. ف.). إنّه يجمع المناطيد (من الخزف الصيني، على شكل غليون، حافظة ورق، محبرة، إلخ).

*

رواية كونيّة. الدبّابة التي تنقلب وتتفكّك كحشرة أمّ أربع وأربعين.

*

---

(١) «الخليقة المصحّحة أو النظام V». سوف نجد هذا العنوان مرّات عديدة في المفكّرة، وبالتحديد لاحقًا (في الدفتر ١).

بوب وهو يشنّ هجومًا، في مروج الصيف. خوذته مكسوّة بالفجل البرّي وبالعشب.

*

الخليقة المصحَّحة.

الدبّابة التي تنقلب على ظهرها وتتخبّط كحشرة أمّ أربع وأربعين.

بوب في مروج الصيف في النورماندي. خوذته المكسوّة بالعشب المجنون وبالفجل البرّي.

مراجعة تقرير اللجنة الإنكليزيّة في مجلّة التايمز، حول الفظاعات.

الصحافي الإسبانيّ في «سوزي» (طلب نصّه) (أطفال يُرونَه جثثًا وهم يضحكون).

حمّام بارد في القلب خلال ساعة.

طوال النهار، نتحدّث عن احتمال أن تكون وجبة المساء حساءً باللبن لأنّها تسبّب التبوّل عدّة مرّات في الليل، عن المراحيض التي تبعد مائة متر عن المبنى، وعن برودة الطقس، إلخ.

ـ النساء المرَحَّلات إلى المعسكرات، اللواتي ينفجرن بالضحك وهنّ داخلات إلى سويسرا، لأنّهنّ لمحن مراسم تشييع:

«هكذا يعاملون الموتى ها هنا».

ـ جاكلين.

ـ البولونيّان البالغان ١٤ عامًا واللذان أُحرق منزلهما حيث كان أهلهما. من عمر ١٤ إلى ١٧، في بوشينوالد [معسكر اعتقال نازي في ألمانيا].

ـ الناطورة العضو في الجستابو، البوليس السرّي الألماني، التي عُيّنت للسهر على طابقين من بناية في شارع لابومب. إنّها تقوم صباحًا بالمهامّ المنزليّة وسط الذين أُخضعوا للتعذيب. «لا أهتمّ البتّة بما يفعله المستأجرون».

ـ جاكلين، العودة من كونيسبرغ في رافنسبورغ ـ ١٠٠ كلم سيرًا على الأقدام. في خيمة كبيرة مقسومة إلى أربع بواسطة عمود ـ قاعدة. النساء كثيرات لدرجة تمنعهنّ من النوم على الأرض مباشرة، ما لم يتحاشرن ويتداخلن. الإصابة بالإسهال. المراحيض على مبعدة ١٠٠ م. إنّما ينبغي القفز فوق الأجسام ودهسها. فيتبرّزن على أنفسهنّ.

ـ الجانب العالمي في الحوار ما بين السياسة والأخلاق. في مواجهة تكتّل القوى العملاقة ذاك: سينت[1].

---

(١) الأحرف القليلة التي تتقدّم «سينت» غير مقروءة.

ـ أرسلت فلانة إلى معسكر الاعتقال، ثم أُطلق سراحها مع وشم على الجلد: خدمت خلال عام في معسكر وحدات س. س. [وحدات النخبة النازيّة أو شوتزشتافل]، في...

*

برهنة أنّ التجريد هو الشرّ. فهو يصنع الحروب، أنواع التعذيب، العنف، إلخ. المشكلة: كيف تصمد الرؤية المجرّدة في مواجهة الأذى الجسديّ ـ الإيديولوجيا في مواجهة التعذيب الذي يُمارَس باسم تلك الإيديولوجيا.

*

المسيحيّة. ستعاقَبون بشدّة إذا ما تبنّينا مسلّماتكم، إذ سيكون حكمنا ساعتئذ بلا رحمة.

*

ساد. عمليّة تشريح نفّذها غالّ: «كانت الجمجمة العارية تشبه جماجم المسنّين. أعضاء الحنان الأبويّ وحبّ الأطفال فيها كانت ناتئة».

ساد عن مدام لافاييت: «وهي، إذ صارت أكثر دقّة، باتت أكثر أهمّيّة».

إعجابٌ موله من قبل ساد بـ روسّو وريشاردسون الذي تعلّم منه «لا نحظى بالاهتمام دائمًا لأنّنا نعمل على نصرة الفضيلة».

كما سبق. «لا نكتسب معرفة قلب الإنسان»، إلاّ عبر المآسي والأسفار.

كما سبق. إنسان القرن الثامن عشر: «عندما يتجرّأ أن يرفع يده الجسورة إلى السماء على غرار الجبابرة، وعندما، مسلّحًا بأهوائه وولعه، لا يعود يخشى إعلان الحرب على أولئك الذين كان يرتعد منهم فيما مضى».

*

التمرّد. في النهاية، تؤدّي السياسة إلى الأحزاب التي تسيء إلى التواصل (تواطؤ)[1].

*

ـ والإبداع نفسه. ما العمل إذًا؟ المتمرّد هو من يملك أدنى الفرص لإقصاء المتآمرين. لكنّهم سيُقصون.

*

اشمئزاز عميق من كلّ مجتمع. إغراء الفرار وقبول انحطاط العصر حيث نحيا. تجعلني الوحدة سعيدًا. إنّما هناك أيضًا الشعور

---

(١) في المخطوطة، كلمة «تواطؤ» مكتوبة في الواقع فوق كلمة «تواصل».

بأنّ الانحطاط يبدأ بالتلاشي منذ لحظة تقبّله. ونبقى ــ لكي يبقى الإنسان على المستوى الذي هو مستواه. وبالضبط، لكي لا نساهم في انحداره إلى ما دونه. وإنّما، اشمئزاز، اشمئزاز مثير للغثيان من هذا التبعثر في الآخرين.

*

التواصل. إنّه عائقٌ للإنسان الذي لا يمكنه أن يعدو دائرة الكائنات التي يعرف. فما بعدها، تصبح فكرته عنها غامضة. على الإنسان أن يحيا في دائرة الأبدان.

*

القلب الذي يشيخ. أن تكون قد أحببتَ وألاّ يكون أيُّ شيء قد أُنقذ مع هذا!

*

غواية المهامّ التابعة واليوميّة.

*

(ك) و(ب ج): حياة وآلام الحقيقة. ومن حولهما، العالم بأكمله مصلوب.

*

بتنا الآن نحن الفرنسيّين في ذروة كلّ حضارة: إذ إنّنا ما عدنا نعرف كيف نُميت.

إنّنا نحن من نشهد ضدّ الإله.

*

يوليو/تمّوز ١٩٤٥.

شاتوبريان متوجّهًا إلى آمبير المسافر إلى اليونان عام ١٨٤١:

«ألقِ من قبلي تحيّة الوداع على جبل «هيمات» حيث خلّفتُ نحلاً؛ وعلى رأس «سونيوم» حيث استمعت إلى صراصير الليل... عمّا قريب، عليّ التخلّي عن كلّ شيء. أنا ما زلت أهيم في ذاكرتي وسط ذكرياتي؛ إلاّ أنّها ستُمحى... ما كنت لتعثر على ورقة من أشجار الزيتون أو على حبّة عنب كنتُ قد رأيتُها في أتيكا. إنّي أتأسّف حتى على العشب في زمني. فأنا لم أقوَ على رعاية نبتة خلنْج».

*

التمرّد.

في النهاية، إنّي أختار الحرّيّة. فهي تحفظ قدرة الاعتراض على الظلم وتُنقذ التواصل، حتى إنْ لم تتحقّق العدالة. إنّ العدالة في عالم صامت، عدالة البكم، تدمّر التواطؤ وتلغي التمرّد وتُعيد

القبول، إنّما في شكلها الأكثر وضاعةً هذه المرّة. هنا نرى الأسبقيّة التي تكتسبها شيئًا فشيئًا قيمةُ الحرّيّة. إلاّ أنّ الصعوبة هي في ألاّ تغفل أبدًا، *وفي الوقت نفسه*، ضرورة تطلّبها للعدالة كما سبق وأن قيل. أمّا وقد طُرح الموضوع، فهناك أيضًا عدالة، وإن كانت مختلفةً جدًّا، تقوم على تشييد القيمة الثابتة الوحيدة في تاريخ البشر ما لم يموتوا فعليًّا إلاّ من أجل الحرّيّة.

الحرّيّة هي قدرة الدفاع عمّا لا أفكّره، حتى في نظام أو في عالم أتوافق وإيّاه. إنّها القدرة على إعطاء الخصم الحقّ.

*

«إنّ الرجل الذي يتوب كبيرٌ. لكن من ذا الذي يريد اليوم أن يكون كبيرًا من غير أن يُرى؟» (حياة رانسيه).

*

الرجل الذي سأكونه، لو لم أكن الطفل الذي كنته!

*

نصوص غير منشورة من تأليف (ش).

«أبدًا، لم تعانقني امرأة بنشوة الاستسلام، بالعِقَد المزدوجة وبحرارة الولع تلك، التي بحثت عنها والتي يعادل سحرُها حياةً بأكملها».

«ثمّة أوقات حيث لا طاقة للشخصيّة، فإذا الرذائلُ لا تنتج إلاّ الفساد وليس الجرائم».

كما سبق. «لو لم يكن هناك شغف، لما كانت هناك فضيلة. ومع ذلك، فقد بلغ هذا العصر ذروة البؤس إلى حدّ أنّه بات بلا شغف ولا فضيلة؛ إنّه يفعل الشرّ والخير، سلبيًّا كالمادّة».

«عندما تكون نفسُنا ساميةً وقلبُنا وضيعًا، نكتب نصوصًا كبيرة ونحوّلها صغيرة».

*

رواية.

«لقد منحت الناس نصيبهم. أي أنّني كذبت واشتهيت معهم. جريتُ من كائن إلى آخر، وفعلت ما كان ينبغي. يكفي الآن. فلديّ حساب أصفّيه مع هذا المشهد. وأريد البقاء معه وحيدًا».

*

٣٠ يوليو/تمّوز ١٩٤٥

في سنّ الثلاثين، على الإنسان أن يأخذ بيد ذاته، أن يعرف بدقّة حساب عيوبه وحسناته، أن يدرك حدوده ويستدرك ضعفه ـ أي أن يكون من هو فعلاً. وعلى وجه الخصوص، عليه أن يتقبّل عيوبه وحسناته. إنّنا ندخل في الإيجابيّ. علينا فعل كلّ شيء

والتخلّي عن كلّ شيء. علينا الاستقرار في الطبيعيّ، وإنّما بصحبة قناعتنا. لقد عرفت ما يكفي من الأمور لكي أتمكّن من التخلّي عن كلّ شيء تقريبًا. يبقى هناك مجهودٌ هائل، يوميّ، عنيد. إنّه مجهود السرّ، من دون أمل، ولا مرارة. علينا عدم إنكار أيّ شيء بعد الآن، طالما أنّ كلّ شيء قابل للتأكيد. متفوّق على التمزّق.

الدفتر رقم V

سبتمبر/أيلول ١٩٤٥
أبريل/نيسان ١٩٤٨

المشكلة المعاصرة الوحيدة هي: أيمكننا تغيير العالم من دون الإيمان بالقدرة المطلقة للعقل؟ على الرّغم من الأوهام العقلانيّة، والماركسيّة منها حتى، فإنّ تاريخ العالم كلّه هو تاريخ الحرّيّة. كيف يمكن تحديد دروب الحرّيّة؟ بلا شكّ، من الخطأ القول إنّ الحتميّ هو ما كفّ عن العيش. لكن، ليس من حتميّ ما لم يتمّ عيشه. لو كان الإله نفسه موجودًا، لما استطاع تعديل الماضي. بيد أنّ المستقبل ليس ملكه، كما أنّه، بالقدْر نفسه، ملكٌ للإنسان.

*

تناقضات سياسيّة. نحن نحيا في عالم حيث عليك الاختيار بين أن تكون ضحيّةً أو جلاّدًا ـــ وما من خيار آخر. ليس هذا الخيار سهلاً. إذ لطالما بدا لي أنّه لا يوجد جلاّدون في الحقيقة، وإنّما فقط ضحايا. في نهاية المطاف طبعًا. لكنّها حقيقة غير منتشرة.

لديّ ميل قوي جدًّا إلى الحرّيّة. وبالنسبة إلى كلّ مثقّف، تتماهى الحرّيّة في نهاية المطاف مع حرّيّة التعبير. لكنّي مدرك تمامًا أنّ هذا الهاجس ليس الشاغل الأوّل لشريحةٍ كبيرة جدًّا من

الأوروبيّين، فالعدالة وحدها كفيلة بمنحهم الحدّ الماديّ الأدنى الذي يحتاجونه، ولأنهم، عن خطأ أو عن صواب، قد يضحّون عن طيب خاطر بالحريّة من أجل تلك العدالة الأساسيّة.

إنّي مدرك ذلك منذ زمن طويل. وإن كان الدفاع عن التوفيق ما بين العدالة والحريّة ضروريًّا، فلأنّ الأمل الأخير للغرب يكمن هاهنا برأيي. بيد أنّ التوفيق هذا لا يمكن أن يتحقّق إلاّ في مناخ معيّن يظهر لي اليوم غير بعيدٍ عن الطوباويّة. فهل ينبغي التضحية بالواحدة أو بالأخرى من هاتين القيمتين؟ وفي هذه الحالة، ما الذي يجب تفكيره؟

*

السياسة (تابع). يتأتّى الأمر كلّه عن كون المكلّفين بالكلام عن الشعب لا يملكون ولم يملكوا أبدًا هاجس حريّة حقيقيًّا. وهم يفاخرون بكونهم عكس ذلك حتى عندما يكونون صادقين. إنّما يكفي هاجسٌ بسيط...

وبالتالي، فإنّ على أولئك الذين يعيشون مع هذا الهاجس، وهم ندرة، أن يهلكوا ذات يوم (هناك عدّة سبل للموت بهذا الصدد). وإذا ما كانوا فخورين، فهم لن يفعلوا ما لم يكونوا قد ناضلوا. ولكن، كيف لهم أن يناضلوا ضدّ إخوتهم والعدالة بأكملها؟ هم سوف يشهدون، هذا كلّ ما في الأمر. ونحن سنتفرّج كلّ ألفي عام على

تكرار التضحية بسقراط. برنامج الغد: التنظيم الرسميّ والمعبّر لمقتلة شهود الحرّيّة.

*

التمرّد: الإبداع للالتحاق بالبشر؟ لكنّ الإبداع يفصلنا شيئًا فشيئًا عن الجميع وينبذنا بعيدًا، من دون أيّ حبّ.

*

يعتقد الناس دومًا أنّنا ننتحر لسببٍ ما. إنّما من الممكن جدًّا أن ننتحر *لسببين*.

*

نحن لم نولد من أجل الحرّيّة. غير أنّ الحتميّة هي أيضًا خطأ.

*

ما الذي قد يكونه (ما هو)[1] الخلود بالنسبة إليه؟ العيش حتى فناء آخر إنسان من على وجه الأرض. فقط لا أكثر.

*

فلان. تتكلّم تلك الشخصيّة الغريبة كي لا تقول شيئًا. لكنّها عكس الخفّة. تقول، ثم تناقض نفسها أو تعترف دونما نقاش أنّها

---

(١) أُضيفت «ما هو» بقلم رصاص على المخطوطة.

مخطئة. كلّ ذلك لأنّها تعتبر الأمر دونما أهمّيّة. هي لا تفكّر جدّيًّا بما تقوله لأنّها منشغلة بجرحٍ آخر شديد الخطورة جدًّا، تجرجره معها، مجهولاً، حتى الممات.

*

جماليّة التمرّد[1]: إذا كانت الكلاسيكيّة تُعرَّف بتحكّمها بالشغف، فإنّ العصر الكلاسيكيّ هو عصرٌ يمنح الفنُّ فيه عواطفَ المعاصرين أشكالاً وصيغًا. اليوم، وبعد أن تفوّق الشغف الجماعي على الشغف الفردي، لم يعد الموضوع هو تحكّم الفنّ بالحبّ، وإنّما بالسياسة، بمعناها الأكثر صفاء. لقد شغف الإنسان بشرطه، سواء كان شغفه هذا مدمّرًا أو باعثًا على الأمل.

ولكن، كم أنّها مهمّة أشدّ صعوبة ـــ ١) لأنّه إذا كان لا بدّ من عيش الوله قبل صياغته، فإنّ الوله الجماعي هذا يلتهم كلّ وقت الفنّان؛ ٢) لأنّ فرص الموت فيه أوفر ـــ فقبول الموت من أجله هو الطريقة الوحيدة حتى لعيش الوله الجماعيّ بأصالة. من هنا إذًا، فإنّ أكبر فرصة للأصالة هي أيضًا أكبر فرصة فشل بالنسبة إلى الفنّ. بهذا المعنى، ربّما كانت تلك الكلاسيكيّة مستحيلة. إنّما، لو كانت تلك هي الحال، فلأنّ تاريخ التمرّد الإنساني يملك في الحقيقة معنًى، ألاَ وهو بلوغ هذا الحدّ. وفي حالة الفشل فقط، سوف يكون

---

(١) مراجعة مقدّمة *شامفور* والفصول الأخيرة في *الرجل المتمرّد*.

هيغل محقًّا، وسيكون ممكنًا تصورّ نهاية التاريخ. وهنا، سيكون هيغل مخطئًا. إنّما، إذا كانت تلك الكلاسيكيّة ممكنة، كما يبدو اعتقادنا، فنحن سنرى على الأقلّ أنّها لا يمكن أن تُبنى إلاّ من قبل جيلٍ ــ وليس من قبل رجلٍ واحد. بتعبير آخر، لا يمكن موازنة احتمالات الفشل التي أتحدّث عنها، إلاّ بفرصة العدد، أي فرصة أن ينفذ فنّانٌ من أصل عشرة فنّانين أصيلين، فيتوصّل إلى أن يجد وقتًا في حياته للوله والإبداع. لم يعد بمستطاع الفنّان أن يكون وحدانيًّا. أو، إن أمكنه ذلك، فبفضل انتصار عائدٍ إلى جيلٍ بأكمله.

*

أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٤٥.

جماليّة التمرّد.

استحالة اليأس الكامل بالنسبة إلى الإنسان. النتيجة: لا يمثّل أدب اليأس إلاّ حالة استثنائيّة وليس الحالة الأكثر دلالة. والملفت في الإنسان ليس اليأس، وإنّما تغلّبه على اليأس أو نسيانه. ــ لن يكون أدبٌ يائس كونيًّا أبدًا ــ إذ لا يمكن الأدب الكوني أن يقف عند اليأس (ولا عند الأمل كذلك ــ ويكفي أن نقلب التحليل)، بل عليه فقط أخذه بعين الاعتبار. يجب إضافة: الأسباب التي تجعل الأدب كونيًّا أو لا.

*

جماليّة التمرّد. الأسلوب الرفيع والشكل البديع هما تعبيرات أعلى درجات التمرّد.

*

الخليقة المصحَّحة.

«قال، الرجال من أمثالي لا يهابون الموت. فهو حادث يجعلهم على حقّ».

*

لمَ أنا فنّان ولست فيلسوفًا؟ ذلك أنّي أفكّر بحسب الكلمات لا الأفكار.

*

جمالية التمرّد.

(إ. م.) فورستر. ـ «(العمل الفنّي) إنّه الغرض المادّيّ الوحيد في الكون، الذي يتمتّع بتناغم داخليّ ـ كافّة الأغراض الأخرى اتّخذت شكلها من خلال ضغط الخارج، وهي تنهار ما إن تُنزع قوالبُها. يقف العمل الفنّي وحيدًا، لا شيء سواه يمكنه أن يفعل. *إنّه يتمّم ما وعد به المجتمعُ مرارًا، وإنّما دومًا هباءً*.

... إنّه (الفنّ) المنتَج المنظَّم الوحيد الذي ولده جنسُنا غير المنظَّم. وهو صيحة مائة كشّاف، وصدى ألف دهليز، والمنارة التي لا يمكن إخفاؤها، وهو أفضل شهادة يمكننا إعطاؤها عن كرامتنا».

*

كما سبق. شيلّي: «الشعراء هم هيئة تشريع العالم، غير المعترف بها».

*

مسرحيّة تراجيديّة.

(ك) و(ل) ـ آتي نحوك بسبب الظرف. وأرسلك إذًا إلى خطر مميت.

ـ كلّهم على حقّ، تهتف إحدى الشخصيّات.

(ك) ـ أرسلك إلى ذاك الموت المحتوم تقريبًا. لكنّي أطالبك بتفهّمي.

ـ لا أستطيع أن أتفهّم ما ليس إنسانيًّا.

ـ إذًا، سوف أتخلّى عن ذلك أيضًا، أن أُفهَم من قبل من أحبّ.

(ك) ـ أنا لا أؤمن بالحرّيّة. ذلك هو عذابي كإنسان. فالحرّيّة اليوم تضايقني.

(ل) ــ لماذا؟

ــ لأنّها تمنعني من ترسيخ العدالة.

ــ أنا على قناعة بإمكانيّة توافقهما.

ــ يُظهر التاريخ أنّ قناعتك مخطئة. أنا أعتقد أنّهما لا تتوافقان، وهنا تكمن حكمتي كإنسان.

ــ ولمَ اختيار واحدةٍ دون الأخرى؟

ــ لأنّي أريد لأكبر عدد ممكن من الناس أن يكونوا سعداء. ولأنّ الحرّيّة ليست أبدًا إلاّ هاجسًا، الهاجس الأكبر للبعض.

ــ وإن كانت عدالتك فاشلة.

ــ سأدخل حينئذ في جحيم لا تستطيع اليوم حتى، تخيّلها.

ــ سأقول لك ما الذي سيحدث (جدول).

ــ يراهن كلّ إنسان على ما يظنّه الحقيقة...

مرّة أخرى، تضايقني الحرّيّة ــ ينبغي أن نقضي على شهود الحرّيّة.

(ك) ــ وتقديرك يا (ل)؟

(ل) ــ وما يهمك الأمر؟

(ك) ــ أنت محقّ، هذا ضعف لا معنى له.

(ل) ـ لكنّه ما يجعلني أحافظ على تقديري لك. الوداع يا

(ك)... يبدو دائمًا على الأشخاص من أمثالي أنّهم يموتون وحيدين. وهذا ما سأفعله. ولكن في الحقيقة، لو استطعت لفعلت ما يلزم كي لا يموتوا وحيدين.

(ل) ـ تغيير العالم مهمّة تافهة.

(ك) ـ ليس تغيير العالم هو المطلوب، وإنّما الإنسان.

(ك) ـ هناك حمقى أينما كان. لكن، أينما كان في أماكن أخرى، هناك حمقى وجبناء. فيما بيننا نحن، لن تجد جبانًا واحدًا.

(ل) ـ البطولة فضيلةٌ ثانويّة.

(ك) ـ من حقّك أنت أن تقول ذلك، إذ إنّك قد أثبتّ شجاعتك. وما تكون إذًا الفضيلة الأولى؟

(ل) ـ (وهو ينظر إليه) الصداقة.

(ل) ـ إذا كان العالم مأساويًّا وإذا كنّا نحيا التمزّق، فليس السبب هو الطغاة. أنت وأنا نعرف أنّ هناك حرّيّة، عدالة، فرحًا عميقًا متقاسَمًا، وأخيرًا جماعةً تتشارك في نضالها ضدّ الطغاة. فحين يهيمن الشرّ، لا توجد مشكلة. وعندما يخطئ الخصم، يشعر الذين يحاربونه بالحرّيّة والسلام. بيد أنّ التمزّق يتأتّى عن كون الناس الذين يريدون خير الإنسان، يريدونه فورًا أو لما بعد ثلاثة

أجيال، وهذا ما يكفي لتفريقهم إلى الأبد. وعندما يكون الخصوم أيضًا على حقّ، ندخل ساعتئذ في المأساة. أتدري ما يوجد في نهاية المأساة؟

(ك) ـ أجل، هناك الموت.

(ل) ـ أجل، الموت. ومع ذلك، فلن أوافق أبدًا على قتلك.

(ك) ـ أنا قد أوافق، إذا لزم الأمر. تلك هي أخلاقيّاتي. وهي إشارة بالنسبة إليّ أنّك لست في الحقيقة.

(ل) ـ وهي إشارة بالنسبة إليّ أنّك لست في الحقيقة.

(ك) ـ أبدو منتصرًا لأنّني على قيد الحياة. لكنّني مثلك موجود في الظلمة نفسها ولا حيلة لي إلاّ إرادتي كإنسان.

النهاية. يستعاد جثمان (ل). يعامله أحد المناصرين باستخفاف. صمت. (ك): «لقد مات كبطل من أجل القضيّة التي هي قضيّتنا. علينا احترامه والانتقام[1] له».

(ك) ـ انظروا. انظروا هذا الليل. إنّه هائل. يطوف بنجومه البكم فوق المعارك البشريّة الفظيعة. خلال آلاف السنين، عبدتم هذه السماء رغم أنّها صامتة بعناد، تقبّلتم قصص حبّكم البائسة، ولم تكن رغباتكم ومخاوفكم تمثّل شيئًا أمام الآلهة. لقد صدّقتم وحدتكم.

---

(١) الكلمات الأخيرة محتملة ببساطة، إذ تصعب هنا قراءة المخطوطة.

واليوم، إذ تُطلب منكم التضحية ذاتها، وإنّما خدمةً للإنسان هذه المرّة، فهل سترفضون تقديمها؟

(ك) ــ لا تظنّني روحًا عمياء كلّيّةً.

يعود (ل) جريحًا.

(ك) ــ كان ينبغي العبور رغم كلّ شيء.

(ل) ــ لم يكن الأمر ممكنًا.

(ك) ــ بما أنّك عدت، فقد كان بإمكانك أن تعبر.

(ل) ــ لم يكن الأمر ممكنًا.

(ك) ــ لماذا؟

(ل) ــ لأنّي سأموت.

(س) ــ ليس عليك أنت الذهاب إلى هناك.

(ك) ــ أنا القائد هنا وأنا من أقرّر.

(س) ــ بالضبط، نحن نحتاجك. لسنا هنا للقيام بأفعال جميلة، وإنّما كي نكون فعّالين. القائد الجيّد هو شرط الفعاليّة.

(ك) ــ هذا حسن يا (س)، لكنّي لا أحبّ كثيرًا الحقائق التي تعود لمصلحتي. وسوف أذهب إذًا.

(ف) ــ من المحقّ إذًا؟

الملازم ــ من يبقى على قيد الحياة.

يدخل رجل.

ــ لقد مات هو أيضًا[1].

ياه! كلاّ، كلاّ! أنا لا أعرف من الذي كان محقًّا. كان هو، أجل، هو من كان يطالب بالاجتماع.

*

التمرّد.

يتفوّق الشغف الجماعيّ على الشغف الفرديّ. فالناس ما عادوا يُجيدون الحبّ. وما يهمّهم اليوم هو الشرط الإنساني وليس المصائر الفرديّة.

*

الحرّيّة هي آخر عواطف الشغف الفردي. لذا، فهي قد باتت اليوم غير أخلاقيّة. فهي غير أخلاقيّة في المجتمع، وفي ذاتها أيضًا بتعبير أدقّ.

*

---

(١) أضيفت هذه الأسطر الأربعة بالقلم إلى المخطوطة.

إنّ الفلسفة هي الشكل المعاصر للاّحشمة.

*

في الثلاثين من العمر، وتقريبًا بين يوم وآخر، عرفتُ الشهرة. لست آسفًا. فقد كان يمكن، لاحقًا، أن أحلم بشأنها أحلامًا سيّئة. الآن، بتّ أعرف ما هي. وهي ليست ذات كبير أهمّيّة.

*

ثلاثون مقالاً[1]. سبب المدائح بمثل سوء سبب الانتقادات. بالكاد صوت أو صوتان أصيلان أو متأثّران. الشهرة! إنّها في أفضل الأحوال سوء تفاهم. لكنّي لن أتّخذ مظهر المزدري المتعالي. فهي أيضًا إشارة من الناس، ليست أكثر أهمية ولا أقلّ من لامبالاتهم، من الصداقة ومن البغض. كيف يؤثّر ذلك كلّه عليّ في نهاية الأمر؟ إنّ سوء التفاهم هذا هو بمثابة تحرير لمن يعرف كيف يتعامل معه. وطموحي إذا ما كنت أملك واحدًا، هو من نوع آخر.

*

نوفمبر/تشرين الثاني ـ ٣٢ عامًا

إنّ الميل الأكثر طبيعيّة لدى الإنسان هو تدمير نفسه والعالم من حوله. فكم نبذل من جهودٍ جبّارة كي نكون طبيعيّين فقط. وأيّ جهد

---

(١) بعد عرض *كاليغولا*.

هائل أيضًا بالنسبة إلى الطامح إلى التحكّم بذاته وبعقله، إذ ليس الإنسان شيئًا من تلقاء نفسه. هو ليس إلاّ حظًّا لا متناهيًا، إلاّ أنّه المسؤول اللامتناهي عن ذلك الحظّ. الإنسان ميّال إلى التميّع. لكن، فلتنتصر إرادتُه، ضميرُه، روحُه المغامرة، وها إنّ حظّه يبدأ بالتعاظم. لا أحد يمكنه القول إنّه بلغ حدود الإنسان القصوى. لقد علّمتني ذلك السنواتُ الخمس التي اجتزناها. فمن الوحش إلى الشهيد، ومن روح الشرّ إلى التضحية من غير أمل، كلُّ الشهادات مؤثّرة جدًّا. على كلٍّ منّا أن يستثمر في داخله أكبر حظّ للإنسان، فضيلته النهائيّة. يوم يصبح للحدود الإنسانيّة معنًى، ستُطرح حينئذ مسألة الإله. إنّما ليس قبلاً، وأبدًا ليس قبل عيش الاحتمال حتى نهاياته. لا يوجد إلاّ هدف واحد ممكن للأفعال الكبيرة، ألا وهو الخصوبة الإنسانيّة. *لكن، وقبل كلّ شيء، التحكّم بالذات*.

*

التراجيديا ليست حلاًّ.

*

باران. لم يخلق الإله ذاته بذاته. إنّه ابن الغرور البشريّ.

أن نفهم هو أن نبدع.

*

التمرّد.

إذا فشل الإنسان في التوفيق ما بين العدالة والحرّيّة، فهو إذًا سوف يفشل في كلّ شيء ــ والدّين هو المحقّ؟ كلاّ، إذا كان يقبل التقريبيّة.

*

تلزم كمّيّاتٌ هائلة من الدم وقرونٌ من التاريخ، من أجل التوصّل إلى تعديلٍ طفيف للشرط الإنساني. تلك هي القاعدة. فخلال أعوام، تسقط الرؤوس كحبيبات البَرَد، يسود الإرهاب، يُهتف باسم الثورة، وننتهي إلى استبدال الملَكيّة الشرعيّة بالمَلكيّة الدستوريّة.

*

عشت شبابي كلّه مع فكرة براءتي، أي مع ولا أيّ فكرة البتّة. اليوم...

*

لست مصنوعًا للسياسة بما أنّني عاجز عن ابتغاء موت الخصم أو تقبّله.

*

لقد تمكّنت من الخلق من خلال مجهود متواصل. فأنا ميّالٌ إلى الجمود. وميلي الأكثر عمقًا وتأصّلاً هو الصمت والفعل اليوميّ.

وقد احتاجني الأمر سنواتٍ من المعاندة للفرار من أسباب الترفيه ومن سحر السلوك الآليّ. بيد أنّي مدرك أنّي أبقى واقفًا بفضل الجهد نفسه ذاك، وأنّي ما إن أتوقّف لحظةً واحدةً عن الإيمان به، حتّى أتدحرج إلى الهاوية. هكذا أبقى خارج المرض وخارج التخلّي، رافعًا رأسي بكلّ ما أوتيت من قوّة لكي أتنفّس ولكي أنتصر. إنّها طريقتي في اليأس وهي طريقتي في الشفاء منه.

*

مهمّتنا: ابتكار الكونيّة أو على الأقلّ، القيم الكونيّة. قهر كاثوليكيّة الإنسان.

*

المادّيّة التاريخيّة، القدريّة المطلقة، نفيُ كلّ حرِّيّة، عالم الشجاعة والصمت الرهيب ذاك، تلك هي العواقب الأكثر شرعيّةً لفلسفةٍ من غير إله. باران هنا محقّ. فإذا كان الإله غير موجود، لا شيء مُتاح. وحدها المسيحيّة قويّة بهذا الصدد. لأنّها في مواجهة تأليه التاريخ سوف تضع دومًا ابتكار التاريخ، وفي مواجهة الوضع الوجودي سوف تسأل عن أصله، إلخ. بيد أنّ إجاباتها ليست في التحليل المنطقيّ، وإنّما في الميثولوجيا التي تقتضي الإيمان.

ما العمل ما بين الاثنتين؟ ثمّة في داخلي ما يقول لي، يقنعني بأنّي لا أستطيع الانفصال عن العصر دونما جبن، من دون قبول

أن أكون عبدًا، ودونما التنكّر لوالدتي ولحقيقتي. أنا لا أستطيع القيام بذلك أو تقبّل التزام صادق ونسبيّ في آن، ومسيحيّ. وبما أنّي غير مسيحيّ، ينبغي أن أمضي إلى النهاية. بيد أنّ المضيّ إلى النهاية يعني اختيارَ التاريخ بشكل مطلق ومعه قتل الإنسان إذا كان قتله ضروريًّا للتاريخ. وإلاّ، فلست سوى شاهد. ذلك هو السؤال: أيمكنني أن أكون فقط شاهدًا؟ بتعبير آخر: أيحقّ لي أن أكون فقط فنّانًا؟ لا أعتقد ذلك. إذا كنت لا أختار، فعليّ إذًا بالصمت وبقبول أن أكون عبدًا. وإذا ما كان خياري ضدّ الإله وضدّ التاريخ، فإنّي أكون شاهدًا على الحرّيّة الطاهرة التي قدرها في التاريخ هو الموت[١]. إنّ وضعي، في الظروف الحاليّة، هو الصمت أو الموت. وإذا ما اخترت العنفَ ضدّ ذاتي فصدّقت التاريخَ، فإنّ حالي ستكون الكذب والجريمة. وأمّا خارج ذلك، فالدين. أنا أفهم كيف نرتمي في أحضان الدين بشكل أعمى، هربًا من ذاك الجنون وذاك التمزّق الفظيع (أجل، فظيع فعليًّا). إنّما يستحيل أن أفعل ذلك.

النتيجة: أيحقّ لي كفنّان ما زال يتمسّك بالحرّيّة أن أقبل المنافع ــ مالاً وتقديرًا ــ المتّصلة بهذا الموقف؟ الإجابة بسيطة بالنسبة إليّ. لقد وجدت، وسوف أجد دائمًا في الفقر الشروط الضروريّة لكي لا يكون شعوري بالذنب، إذا ما وُجد، مُخزيًا، فيبقى على الأقلّ

(١) أو الغشّ عبر تحصيل فوائد مادّيّة من وضع فنّان مدعوم. (*ملاحظة وضعها المؤلّف*).

فخورًا. إنّما، أينبغي لي الحكم على أطفالي بالعوز، ورفض حتى الرفاهة المتواضعة جدًّا التي أهيّئها لهم. وفي ظروفٍ كهذه، أأكون قد أخطأت بقبول المهامّ والواجبات الإنسانيّة[١] الأكثر بساطةً من نوع إنجاب الأطفال؟ وفي الواقع، أيحقّ لنا أن نُرزق بأطفال، وأن نتقبّل الشرط الإنسانيّ عندما لا نؤمن بالإله (إضافة تحليلات وسيطة).

كم سيكون الأمر سهلاً لو أنّي أرضخ لمشاعر الفظاعة والاشمئزاز التي يثيرها العالم فيّ، ولو أنّي أستطيع التصديق بعدُ بأنّ مهمّة الإنسان هي ابتكار السعادة! الصمت على الأقلّ، الصمت إلى أن أشعر بحقّي في...

*

الخليقة المصحَّحة.

تحت الاحتلال: جامعو الرَّوْث. حدائق الضواحي.

سان ــ إتيانّ دونيار: العمّال في مقصورة الجنود الألمان نفسها. يختفي خنجر. يستبقي الجنود العمّال حتى الوصول إلى سان

---

(١) هل تقبّلتها فعلاً في حين أشعر بكلّ هذا النفور وبكلّ تلك الصعوبة حيالها. ألا يستحقّ القلب ذو الإخلاص الصعب هذا التناقض؟ (*ملاحظة وضعها المؤلّف*).

ـ إتيانّ. الرجل الطويل الذي كان ينبغي له النزول في فيرميني. حنقه الذي يقارب الدمع. فوق تعب الوجه، تعبُ الإذلال الأقسى.

*

يرغموننا على الاختيار ما بين الإله والتاريخ. من هنا الرغبة الرهيبة تلك باختيار الأرض، العالم والأشجار، لو لم أكن متيقّنًا تمامًا من أنّ الإنسان بأكمله لا يطابق التاريخ.

*

كلُّ فلسفةٍ هي تبريرٌ للذات. الفلسفة المبتكِرة الوحيدة هي تلك التي قد تبرّر آخرَ.

*

ضدّ الأدب الملتزم. ليس الإنسان فقط الجانبَ الاجتماعيّ. فموته على الأقلّ يخصّه. لقد صُنعنا لكي نحيا ضدّ الآخرين. غير أنّنا لا نموت حقًّا إلاّ من أجل أنفسنا.

*

جماليّة التمرّد. تيبوديه بشأن بلزاك: «الكوميديا الإنسانيّة، هي تقليد الإله الأب». موضوعة التمرّد والخارج عن القانون لدى بلزاك.

*

٨٠ بالمائة من الطلاق لدى السجناء الذين يعادون إلى وطنهم.

٨٠ بالمائة من علاقات الحبّ البشريّة لا تصمد أمام خمس سنوات فراق.

*

توماس. ــ ... ما كنت أقول؟ لا بأس، سأتذكّر بعد قليل... على كلّ حال، قال لي روبّ: حسنًا، أنا مدير أعمال ملاكمٍ. بودّي أن أُدير أيضًا أعمال رسّام. فإذا كان الأمر يهمّك... لم أكن راغبًا بذلك، فأنا أحبّ حرّيّتي. لكن من ثم، اقترح عليّ روبّ اصطحابي إلى باريس. وقبلت طبعًا. أتناول وجباتي عنده. استأجر لي غرفة في فندق. هو من يدفع. وهو يحثّني الآن على العمل.

*

فلان: نزعة شيطانيّة، متواضعة ورحيمة.

*

مسرحيّة تراجيديّة حول مشكلة الشرّ. من الواجب إدانة أفضل إنسان إن لم يكن يخدم إلاّ الإنسان.

*

«نحن نحبّ الناس الذين نُحسن إليهم أكثر ممّا نحبّ الناس الذين أحسنوا إلينا». كلاّ، ففي أسوأ الأحوال، نحن نحبّهم بشكل

متساوٍ. هذا ليس سوءًا. فمن الطبيعي أن نعترف بجميل من أتاح لنا أن نكون أفضل ممّا نحن عليه، ولو لمرّة واحدة. وبالتالي، إنّنا هكذا نحيّي ونجلّ فكرةً أفضل عن الإنسان.

*

بأيّ حقّ يُعيب عليّ شيوعيّ أو مسيحيّ (لتناول الأشكال المحترمة من الفكر الحديث ليس إلاّ) أن أكون متشائمًا؟ فلست أنا من اخترع بؤس الكائن ولا الصيغ الرهيبة للّعنة الإلهيّة. ولست أنا من قال إنّ الإنسان عاجز عن الخلاص وحده، وإنّه لا يملك، في قعر وضاعته، أملاً نهائيًّا إلاّ برحمة الإله. أمّا في ما خصّ التفاؤل الماركسيّ الشهير، فليُسمح لي بالضحك. فقلّة من الناس ذهبوا بانعدام الثقة حيال أشباههم أبعد من ذلك. لا يؤمن الماركسيّون بالإقناع ولا بالحوار. من غير الممكن صنع عاملٍ من برجوازيّ، والشروط الاقتصاديّة في عالمهم أقدارٌ محتومة هي أكثر فظاعةً من النزوات الإلهيّة.

أمّا بشأن السيّد هيريو وقرّاء *الحوليّات!*

سيقول لي الشيوعيّون والمسيحيّون إنّ تفاؤلهم أبعد مدًى، إنّه يتفوّق على كلّ ما عداه، وإنّ الإله أو التاريخ، بحسب الظرف، هما الحصيلة المُرضية لنظريّتهم الجدليّة. سأقوم بالتحليل نفسه. إذا كانت المسيحيّة متشائمة بخصوص الإنسان، فهي متفائلة بشأن

المصير البشريّ. الماركسيّة، وهي متشائمة في ما يتعلّق بالمصير ومتشائمة بشأن الطبيعة البشريّة، تصبح متفائلة بخصوص سير التاريخ (يا لتناقضها!). أمّا أنا فأقول إنّي متشائم حيال الشرط الإنساني، متفائل فيما يخصّ الإنسان.

كيف لا يرون أنّه لم تُطلق قطّ من قبل صيحةٌ مشابهة لصيحة الثقة بالإنسان تلك؟ إنّي أؤمن بالحوار وبالصدق، وبكونهما السبيل إلى ثورة نفسيّة لا تضاهى؛ إلخ؛ إلخ...

*

هيغل. «وحدها المدينة الحديثة توفّر الأرضيّة للفكر حيث يمكنه وعي ذاته». مقولة معبّرة. إنّه زمن المدن الكبرى. لقد بترنا العالم فاستأصلنا جزءًا من حقيقته وممّا يصنع استدامته وتوازنه: الطبيعة، البحر، إلخ. لا يوجد وعيٌ إلاّ في الشوارع!

(مراجعة سارتر. كلّ فلسفات التاريخ الحديثة، إلخ).

*

التمرّد. الجهد الإنساني باتّجاه الحرّيّة، ونقيضه الاعتيادي: النظام والحرّيّة يموتان على يديه. على الثورة أن تتقبّل عنفها الخاصّ أو ينبغي التبرّؤ منها. لا يمكنها إذًا أن تُصنع بالطهارة: وإنّما بالدم أو الحسابات. جهدي أنا: إظهار أنّ منطق التمرّد يرفض

الدم والحسابات. وأنّ الحوار الذي يبلغ حدّ العبثيّة يمنح الطهارةَ فرصةً واحدَة. ــ من خلال الرأفة؟ (العذاب سويّةً).

*

الطاعون. يقول تارّو «دعونا لا نبالغ. هنالك الطاعون، ينبغي أن نحمي أنفسنا منه وهذا ما نفعله. هذا قليل جدًّا بالفعل وهو ما لا يثبت شيئًا في مطلق الحال».

المطار بعيد جدًّا عن المدينة لإنشاء خدمة منتظمة. يرسلون فقط رزمًا تُلقى من الطيّارات.

بعد وفاة تارّو، تلقّى برقيّة تعلن موت السيّدة ريّو.

يتبع الطاعون دروب السنة. له ربيعه حيث يزهر وينبثق، صيفه وخريفه، إلخ...

*

إلى غيبيّو: «يتأتّى كلّ بؤس البشر عن كونهم لا يعتمدون لغةً بسيطة. لو أنّ بطل سوء *التفاهم* قال: «حسنًا. هذا أنا وأنا ابنك»»، لكان الحوار ممكنًا وليس مربكًا، كما هو في المسرحيّة. ما عاد هناك من تراجيديا طالما أنّ ذروة كلّ التراجيديّات تكمن في صمم الأبطال. من وجهة النظر هذه، سقراط هو المحقّ مقابل يسوع ونيتشه. التقدّم والعظمة الحقيقيّة موجودان في الحوار الذي هو على

مستوى الإنسان، وليس في الإنجيل المناجي لذاته والمُملى من أعلى جبل وحداني. هذا ما وصلت إليه. إنّ ما يوازن العبثيّة هو المجتمع الإنساني الذي يحاربها. وإذا ما اخترنا خدمة هذا المجتمع، فإنّنا نختار خدمة الحوار إلى حدّ العبثيّة، ضدّ كلّ سياسة مبنيّة على الكذب أو الصمت. هكذا نكون أحرارًا مع الآخرين».

*

الحدود. هكذا أقول إنّ هناك ألغازًا من الملائم تعدادها والتأمّل فيها. وليس من مزيد.

*

سان ــ جوست: «أعتقد إذًا أنّ علينا أن نكون متحمّسين. فهذا لا يستثني المنطقَ السليم ولا الحكمة».

*

لكي تغيّر فكرةٌ العالمَ، ينبغي أوّلاً أن تغيّر حياةَ من يحملها. وينبغي أن تتحوّل مثالاً.

*

في الثانية عشرة من عمرها، اعتدى عليها سائق عربة. مرّة واحدة. وحتى سنّ السابعة عشرة، سوف تحتفظ بفكرة نوعٍ من اللوثة.

الخليقة المصحَّحة. اليهوديّان في فيردولو تحت الاحتلال. هاجس الاعتقال الرهيب يدفع المرأة إلى الجنون، فتذهب للتبليغ عنه. ثم تعود لكي تخبره بالأمر. يتمّ العثور عليهما مشنوقيْن معًا. والكلبة التي تنبح طوال الليل، كما في أردأ أنواع المسلسلات.

*

الخليقة المصحَّحة: «لقد قيل لي دومًا إنّه ينبغي التماس أوّل فرصة للفرار. فكلّ الأخطار أفضل ممّا قد يتبع. إلاّ أنّ بقاء المرء سجينًا، مستسلمًا للانزلاق نحو الفظاعة، أسهل من الفرار. في الحالة الثانية، ينبغي أخذ المبادرة. أمّا في الحالة الأولى، فهم الآخرون من يأخذونها».

*

كما سبق. «لعلمكم، أنا لم أصدّق أبدًا بوجود الغستابو. فنحن لم نكن نراهم أبدًا. بالتأكيد، كنت أحتاط بمعنى ما، وإنّما بطريقة مجرّدة، بمعنى ما. من حين لآخر، كان يختفي صديق. ذات يوم آخر، رأيت أمام «سان ــ جرمان ــ دي ــ بري» رجلين ضخمين يُدخلان آخر في سيّارة تاكسي، وهما يوجّهان لكمات إلى وجهه. لم ينبس أحدٌ بحرف. قال لي نادل مقهى: «اصمت. إنّهم هم». هذا ما جعلني أخمّن أنّهم بالفعل موجودون وأنّهم ذات يوم... أخمّن فقط.

الحقيقة هي أنّي لا أستطيع أبدًا تصديق وجود الغستابو إلاّ بعد أوّل رفسة أتلقّاها في البطن. هكذا أنا. لذا لا يجب أن تظنّوا أنّي شجاع، بما أنّني في المقاومة كما يقال. لا، لا فضل لي في ذلك، طالما أنّي لا أملك مخيّلة».

*

سياسة التمرّد. «هكذا أصبحت الثورة المتشائمة ثورة السعادة».

*

تراجيديا. (ك. ل. ك). «أنا مصيب وهذا ما يمنحني الحقّ في قتله. أنا لا يمكنني التوقّف عند هذا التفصيل. إذ إنّي أفكّر استنادًا إلى العالم والتاريخ».

(ل.) ـ عندما يكون التفصيلُ حياةً بشريّةً، يصبح بالنسبة إليّ العالمَ بأسره والتاريخَ بأكمله.

*

أصول الجنون الحديث. إنّها المسيحيّة التي أبعدت الإنسانَ عن *العالم*. فقد حجّمته ليصبح ذاتَه وتاريخَه. الشيوعيّة نتيجةٌ منطقيّةٌ للمسيحيّة. إنّها قصّة مسيحيّين.

كما سبق. بعد مضيّ ألفي عام من المسيحيّة، تمرّد الجسد. فقد اقتضى الأمر ألفي عامٍ لكي نتمكّن مجدّدًا من عرضه عاريًا على الشواطئ. من هنا الإسراف. لقد استعاد مكانته لجهة الاستخدام. ينبغي أن نُعيد إليه مكانته في الفلسفة وفي الميتافيزيقيا. ذلك هو أحد معاني الاختلاجة الحديثة.

*

نقد مصيب لألبير وايلد تجاه العبثيّة: «لا يتآلف شعور التوتّر القلق، مع شعور الحرّيّة».

*

كان الأغارقة يعيرون الإلهيَّ نصيبه من الاهتمام. إلاّ أنّ *الإلهيّ لم يكن الكلّ*.

*

«ليكن كلامك نعم، نعم؛ أو لا، لا؛ فما يضاف يصدر عن إبليس». متّى، ٧، ٣٧.

*

كوستلير. العقيدة المتطرّفة: «على كلّ من يعارض الدكتاتوريّة أن يتقبّل الحربَ الأهليّة كوسيلة. على كلّ من يتراجع أمام الحرب

الأهليّة أن يتخلّى عن المعارضة، وأن يتقبّل الدكتاتوريّة». ذلك هو التحليل «التاريخي» النموذجي.

*

كما سبق. كان (الحزب) ينفي الخيار الحرّ لدى الفرد ـــ وفي الوقت نفسه، يطالبه بتخلٍ إراديّ. وكان ينفي أنّه يملك إمكانيّة الاختيار بين حلّين، وفي الوقت عينه، يطالبه بأن يختار دائمًا الحلّ الأفضل. وكان ينفي أنّه يتمتّع بقدرة التمييز بين الخير والشرّ ـــ وفي الوقت نفسه، يحكي بنبرة مثيرة للشفقة عن الشعور بالذنب والخيانة. فقد كان الفرد ـــ وهو جزءٌ من ساعة معبّأة إلى الأبد ـــ لا يستطيع شيءٌ إيقافها أو التأثير عليها ـــ موسومًا بإشارة الحتميّة الاقتصاديّة، وكان الحزب يطالب الجزءَ ذاك بالتمرّد على الساعة وبتغيير حركتها».

نموذج التناقض «التاريخي».

*

كما سبق. «الإغراء الكبير، بالنسبة إلى أناس مثلنا، هو التنازل عن العنف، التوبة، والعيش مع الذات بسلام. إذ لطالما كانت إغراءات الإله أكثر خطورة على البشريّة، من إغراءات الشيطان».

*

رواية حبّ: جيسيكا.

*

موت ممثّل عجوز.

ذات صباح في باريس الملأى بالثلوج والوحول. الحيّ الأكثر قدمًا والأكثر حزنًا في المدينة، ذاك حيث وُضع [سجن] «لاسانتيه»، و[مصحّ] سانت ــ آن، و[مستشفى] كوشان. على طول الشوارع السوداء، المجانين، المرضى والمحكومون. فيما يخصّ كوشان: فهي ثكنة البؤس والمرض، ترشح جدرانها بالرطوبة الوسخة التي هي رطوبة الشقاء.

هنا قضى نحبه. في نهاية عمره، كان ما زال يؤدّي المنافع (لدى أهل المسرح تعبيرات خاصّة)، مبادلاً زيّه الوحيد الذي تهلهل وتحوّل لونه الأسود إلى صفرة، بملابس التنكّر الزاهية نوعًا ما، التي لا بدّ من منحها للأدوار الثانويّة. لقد اضطرّ إلى التوقّف عن العمل. وما عاد بإمكانه أن يشرب سوى الحليب، ولم يكن هناك حليب على كلّ حال. نُقل إلى كوشان فقال لرفاقه إنّه سيخضع لعمليّة جراحيّة وستنتهي المشكلة من ثم (أذكر جملة في دوره: «عندما كنت طفلاً صغيرًا»، واستجابةً لإشارة كانت تُعطى له، كان يقول: «آه، لا أشعر الأمر هكذا»). لم تُجر له عمليّةٌ جراحيّة وأُخرج بعد أن قيل له إنّه شُفي. حتى إنّه استأنف تمثيل الدور

الهزليّ الصغير الذي كان يؤدّيه في ذلك الوقت. لكنّه كان قد هزل. لقد أدهشني دومًا كم أنّ درجةً معيّنة من الهزال وطريقةً معيّنة في بروز أعلى الوجنتين وفي ذوبان اللثة، هما الإعلان الحتميّ عن نهاية قريبة. وحده المصاب بالهزال لا يبدو وكأنّه لا «ينتبه» أبدًا. أو أنّه إن «انتبه»، فبشكل عابر ربّما، وأنا طبعًا لا يمكنني معرفة ذلك. كلّ ما يمكنني معرفته هو ما أراه، وقد كنت بالضبط أرى أنّ ليياس سيموت.

وقد مات بالفعل. توقّف عن العمل مجدّدًا. وعاد إلى كوشان. ولم تُجرَ له عمليّة، غير أنّه مات من غير ذلك ـــ ذات ليلة، ومن دون أن يبدو عليه الأمر. وفي الصباح، جاءت امرأته لرؤيته كالعادة. فلم يكن قد أخبرها أحدٌ في الإدارة، لأنّ أحدًا لم يتمّ إخباره. هم جيران الميّت من اتّصلوا بزوجته. «تعلمين، قالوا لها، حدث الأمر هذه الليلة».

وهذا الصباح، إنّه هاهنا، في المشرحة الصغيرة المطلّة على شارع لاسانتيه. اثنان أو ثلاثة من رفاقه القدماء موجودون بصحبة أرملته وابنتها التي ليست ابنة الميّت. عندما وصلتُ، قال لي المنظّم (لماذا كان يضع وشاحًا ثلاثيّ الألوان كما لو كان عمدة؟) إنّه لم يزل بإمكاننا رؤيته بعد. لم أكن راغبًا بذلك، إذ كان ذاك الصباح العنيدُ المصابُ بالجذام والذي لم أتمكّن من هضمه، ما زال يثقل قلبي. لكنّي فعلت. لم يكن ظاهرًا إلاّ الرأس، وكان ما يمثّل الكفنَ

يكسوه حتى الذقن. كان قد هزل مزيدًا. ــ لم أكن أظنّ أنّ الهزال ممكنٌ بعدُ في حالته. بيد أنّه مع ذلك فعلها، بحيث كان من الممكن ملاحظة حجم عظامه وفهم أنّ رأسه الكبير الكثير العقد كان مصممًا لحمل وزن ثقيل من اللحم. ومع غياب اللحم، برزت أسنانه رهيبةً... ولكن، هل سأمضي في الوصف؟ الميّت ميّت، الجميع يعلم ذلك، وينبغي ترك الموتى يُدفنون معًا. ورغم ذلك، يا للأسى، يا للأسى الفظيع!

انطلق الرجال الذين كانوا يقفون عند رأسه، ممسكين بحافّة التابوت وكأنّهم يقدّمونه للزوّار. انطلقوا، هي الكلمة، لأنّ الرجال الآليّين الخرق الذين استُعيروا بثيابهم الفظّة، ارتموا فجأة وبسرعة على الكفن، غطاء التابوت ومفكّ البراغي. وبطرفة عين، كان اللوحُ مثبتًا فوق التابوت ورجلان يشدّان البراغي بحركةٍ عنيفة من أذرعهما، وهما يرزحان بكلّ ثقليهما عليه. وقد بَدَوَا وكأنّهما يقولان: «ياه، لن تخرج من هنا أبدًا». كان هؤلاء الأحياء راغبين بهدوء البال، ظهر الأمر واضحًا بشكل فوريّ. حُمل. وتبعناه. صعدت الأرملة وابنتها في عربة دفن الموتى، في الوقت نفسه مع الميّت. وتكدّسنا نحن في سيّارة تابعة. لا زهرة، لا شيء ما عدا الأسود.

كنّا ذاهبين إلى مدافن تييا. وكانت الأرملة تجدها بعيدةً، غير أنّ الإدارة فرضتها عليها. خرجنا من لابورت ديتالي. أبدًا، لم تبدُ

لي السماءُ على ذاك الانخفاض فوق الضاحية الباريسيّة. كانت تظهر أجزاء من الأكواخ ومن خضرة سوداء ومبعثرة، من بين أكوام الثلوج والوحل. ستّة كلم وسط هذا المشهد، وها نحن أمام الأبواب العملاقة لأشنع مقبرة في هذا العالم. جاء بوّاب ذو وجه محتقن لكي يوقف الموكب عند المدخل، مطالبًا بوثيقة دخول. «هيّا»، قال بعد أن استحصل على غرضه. جلنا خلال عشر دقائق كاملة وسط أكوام الوحل والثلج، ثم توقّفنا وراء موكبٍ آخر. كنّا مفصولين عن حقل الأموات بأكمة ثلج غُرز فيها صليبان مائلان، واحد لليياس كما قرأتُ عليه، والآخر لفتاةٍ صغيرة في سنّ الحادية عشرة. كان الموكب الذي أمامنا موكبَ الفتاة الصغيرة. إلاّ أنّ العائلة كانت على وشك ركوب عربة دفن الموتى التي انطلقت، فأمكننا التقدّم لبضعة أمتار إضافيّة. ترك رجال ضخام يرتدون زيّ العمل الأزرق وجزمًا كاوتشوكيّة، الرفوشَ التي كانوا يحملونها فيما كانوا يتأمّلون المشهد، ثم تقدّموا وجعلوا يسحبون مقدّمة التابوت من سيّارة دفن الموتى. في هذه اللحظة، ظهر من يشبه ساعي بريد يرتدي زيًّا أزرق وأحمر ويعتمر طاقيةً منبعجة، وهو يحمل دفتر استمارات انزلقت ورقة كربون بين مختلف وريقاته. عند ذاك، قرأ الرجال الضخام بصوتٍ مرتفع رقمًا مدوّنًا على التابوت: ٣٢٣٧ ك. تابع ساعي البريد سطور استمارته بواسطة قلمه وقال «حسنًا»، وهو يشير إلى رقم. في هذه اللحظة، مُرِّر التابوت. دخلنا في الحقل، فغرزت أقدامُنا في صلصالٍ زيتيّ مطّاطيّ. كانت الحفرة

قائمة بين حفر أربع أخرى تحيط بها من كلّ جانب. لكنّنا كنّا جميعًا بعيدين عن الحفرة، لأنّ المدافن كانت تمنعنا من العبور، ولأنّ الممرّ الضيّق الذي يفصل فيما بينها كان ملآن بالمعدّات وبالتراب. عندما أُلقي التابوتُ في القاع، حلّت لحظات من الصمت. كان الجميع يتناظرون. لم يكن هناك كاهن، لم تكن هناك زهور، ولم ترتفع عبارةُ سلام أو أسف. لقد كان الكلّ مدركًا ضرورة أن تكون اللحظة أشدّ جلالاً ــ ووجوب تمييزها والتأكيد عليها ــ لكنّ أحدًا لم يكن يعرف بأيّ طريقة وكيف. حينها، قال أحد الرجال الضخام: «إذا أراد أحد السادة والسيّدات رمي حفنة تراب». فأشارت الأرملة بأن نعم. فأخذ رفشه، ثم أخرج من جيبه كاشطة ورفع بها بعض التراب. مدّت الأرملة ذراعها من فوق تلّ التراب، فأخذت الكاشطة ورمت حفنة التراب باتّجاه الحفرة، كيفما اتّفق. سمعنا الصوت الأجوف للتابوت. إلاّ أنّ الفتاة لم تصب الحفرة، فطار الترابُ من فوقها. فأشارت بما مفاده «لا يهمّ».

الفاتورة: «ووضعناه في الأرض الصلصاليّة لقاء ثمن باهظ».

كما تعلمون، إنّها مقبرة المحكومين بالإعدام.

لافال، على مسافة قصيرة من هنا[١].

*

(١) كانت الرحلة إلى أميركا الشماليّة تقع هاهنا.

رواية. عندما كان حساءُ المساء يتأخّر، فمعناه أنّ صبيحة الغد هي صبيحة إعدام.

*

تذهب (ف.) أوكامبو إلى قصر باكنغهام. عند المدخل، يسألها الحارس إلى أين هي ذاهبة. «لرؤية الملكة». ــ «تفضّلي بالمرور». السويسري(؟). كما سبق. «تفضّلي»، هنا دار الملكة. «خذي المصعد»، إلخ. يتمّ استقبالها من دون أيّ شكل آخر لمحاكمة.

*

نوريمبرغ. ٦٠ ألف جثّة تحت الأنقاض. يُمنع شرب الماء. لكن، لا رغبة لنا أيضًا بالاستحمام فيها. إنّها مياه المشرحة. ما فوق العفن والتخثّر، المحاكمة.

على مظلاّت المصابيح المصنوعة من جلود بشريّة، نلمح راقصة قديمة جدًّا تحمل وشمًا ما بين ثدييها.

التمرّد. البداية: «المعضلة الأخلاقيّة الوحيدة الجدّيّة فعلاً، هي الجريمة. البقيّة تأتي لاحقًا. لكنّ معرفة ما إذا كان يمكنني قتل الذي يقف أمامي أو أن أوافق على قتله، ومعرفة أنّي لا أعرف شيئًا قبل أن أعرف ما إذا كنت أستطيع أن أميت، هذا ما ينبغي تعلّمه».

*

يودّ الناس دفعنا إلى عواقبهم هم. فإذا ما أدانونا، فعلى خلفيّة مبادئهم دائمًا. إنّما أنا، لا يهمّني أن يفكّروا هذا وذاك. ما يهمّني هو معرفة ما إذا كنتُ قادرًا على القتل. لأنّني وصلت إلى الحدود التي يصطدم بها كلّ فكر، ها هم يفركون أيديهم، «والآن، ما تراه سيفعل؟»، متمسّكين بحقيقتهم جاهزةً. أعتقد أنّني لا أكترث لوجودي في التناقض، ولا يعنيني أن أكون نابغةً فلسفيّة. حتى إنّني غير راغب البتّة في أن أكون نابغةً، لصعوبةِ أصادفها أصلاً في أن أكون إنسانًا. أرغب في إيجاد اتّفاق ومعرفة إذا ما كان بإمكاني أن أقتل أو أن أسمح بالقتل، وذلك لإدراكي أنّي لا أستطيع قتل نفسي. بعد ذلك، عليّ استنتاج كلّ العواقب، حتى وإن خلّفني الأمر في التناقض.

*

يبدو أنّه قد بقي عليّ إيجاد نزعة إنسانيّة. لا شيء عندي ضدّ النزعة الإنسانيّة، بالطبع. لكنّي أجدها قصيرة، هذا كلّ ما في الأمر. الفكر اليوناني مثلاً كان شيئًا آخر مختلفًا عن النزعة الإنسانيّة. كان فكرًا يُعنى بكلّ الأشياء.

*

الرعب! وها إنّهم قد نسوا.

*

رواية العدالة[1].

١) طفولة فقيرة ــ الظلم طبيعي.

عند وقوع أوّل حادثة عنف (التعرّض للضرب)، ظلم ومراهقة متمرّدة.

٢) سياسة أصليّة. حزب (إلخ).

٣) ثورة بشكل عام. لا تفكّر في المبادئ.

حرب ومقاومة.

٤) تطهير. لا يمكن للعدالة أن تتماشى مع العنف.

---

(١) مقطع أعاده الناشرون.

٥) الحقيقة لا يمكنها أن تكون في حالة جيّدة من دون حياة حقيقية.

٦) عودة الأمّ. كاهن؟ «لا ضرورة لذلك». لم تقل لا. وإنّما لا ضرورة لذلك. كان يدرك أنّها لم تكن ترى أبدًا ضرورة إزعاج أحدٍ من أجلها هي. حتى من أجل موتها...

*

التمرّد والثورة.

الثورة كأسطورة هي الثورة النهائيّة.

كما سبق. تترك التأريخيّة ظاهرةَ الجمال من دون تفسير، أي الصلات بالعالم (الشعور بالطبيعة) والكائنات كأفراد (حبّ). فكيف يُرى إلى تفسيرٍ يدّعي أنّه مطلق و...

*

كما سبق. قام كلّ جهد الفكر الألماني على استبدال مفهوم الطبيعة البشريّة بالوضع البشريّ، وبالتالي استبدال الإله بالتاريخ والتراجيديا الحديثة بالتوازن القديم. وتذهب الوجوديّة الحديثة بهذا الجهد أبعد من ذلك، إذ تُدرج في فكرة الوضع والطبيعة الريبةَ نفسها. فلا يعود هناك إلاّ حركة. لكنّني كاليونانيّين، أؤمن بالطبيعة.

*

الطاعون. طوال عمري، لم يراودني شعور كهذا بالفشل. ولست متأكّدًا من أنّي سأبلغ نهايته. ومع ذلك، ففي ساعات معيّنة...

*

تفجير كلّ شيء. منحُ التمرّد شكلَ رسالة هجاء. الثورة وأولئك الذين لن يَقتلوا أبدًا. الوعظ المتمرّد. ولا حتى تنازل أوحد.

*

«يا لهذا الأمر الفاقد المعنى والذي لا يمكن تصوّره، أن يعجز كاتبٌ ــ في أيّ ظرف مناسب ــ عن أن يكون صريحًا مع قرّائه». ملفيل.

*

من وجهة نظر نزعةٍ كلاسيكيّة جديدة، يجب أن تكون رواية *الطاعون* المحاولةَ الأولى لإبراز عواطف ولهٍ جماعيّ.

*

خاصّ بــ *الطاعون*. مراجعة مقدّمة دو فو، في الجزء الثالث من *روبنسون*: تفكيرٌ جدّي بالحياة وبمغامرات روبنسون كروزويه المدهشة: «من العقلاني تقديم نوعٍ من الأسر عبر سواه، كما هو تقديم أيّ شيء موجودٍ واقعيًا من خلال شيءٍ غير موجود. لو أنّني

تبنّيت الطريقةَ العاديّة الخاصّة بكتابة الحياة الشخصيّة لامرئ ما... ما كان كلّ ما كنت سأقوله سيمنحكم أبدًا أيَّ سلوى»...

*

الطاعون كتابٌ هجائيّ.

*

كيفية تعلّم الموت في الصحراء!

*

لورماران[1]. المساء الأول، بعد سنوات عديدة. النجمة الأولى فوق لوبيرون، الصمت الهائل، وشجرة السرو التي يرتعش آخرُها في عمق تعبي. بلاد جليلة ومتقشّفة ــ بالرّغم من جمالها الصاعق.

*

قصّة المعتقَل الأسبق الذي يلتقي بأسرى ألمانيّين في لورماران. «المرّة الأولى التي تعرّض فيها للضرب، كانت أثناء التحقيق معه. وفي المعسكر، عندما تلقّى صفعتينِ قويّتين بسبب خطأ صغير في الخدمة، ابتدأ كلّ شيء. فقد فهم حينها من عينَي الذي صفعه، أنّ هذا هو اليوميّ، العاديّ، الطبيعيّ»... حاول

(1) كان كامو قد زار لورماران، بدعوة من هنري بوسكو، برفقة بضعة أصدقاء كتّاب.

التحدّث إلى الأسير الألماني ليشرح له الأمر. لكنّ الآخر /سير، ولا يمكن محادثته بهذا الأمر. في النهاية، اختفى الآخر من دون أن يتحدّث إليه أبدًا. وعند التفكير يشعر أنّه لا يوجد إنسانٌ حرّ كفايةً بحيث يمكنه إيضاح الأمر. إنّهم جميعًا أسرى.

لقد تسلّوا مرّة أخرى في معسكر الاعتقال، بجعلهم يحفرون حفرتهم ولم يقوموا بإعدامهم. خلال ساعتين كاملتين، نبشوا التراب الأسود، رأوا الجذور، إلخ، في هيئة أخرى.

*

«إنّه الموت دونما موتٍ وعدم التقدّم شيئًا

سوى التأرجح هكذا

في البطن المظلم للشقاء المنقبض».

آغريبا دوبينييه

*

التمرّد. الفصل الأوّل حول عقوبة الإعدام.

كما سبق. النهاية. هكذا، لا يمكن عيش التمرّد المنطلق من العبثيّة، من دون الوصول، بأيّ شكل من الأشكال، إلى تجربة الحبّ الذي ينبغي تحديده.

رواية. طفولة فقيرة. «كنت خجولاً من فقري ومن عائلتي (إنّهم وحوش!). وإن كان بمقدوري اليوم التكلّم عن الأمر ببساطة، فلأنّني ما عدت أخجل من خجلي ذاك، وما عدت أحتقر نفسي لكوني قد شعرت به. لم يصبني الخجلُ إلاّ عندما وضعوني في الثانويّة. قبل ذلك، كان الجميع مثلي، وكان يبدو لي أنّ الفقر هو هواء هذا العالم. في الثانويّة، عرفت المقارنة.

الطفل ليس شيئًا بذاته. أهله هم من يمثّلونه. ولن يستحقّ المرءُ التقديرَ إن لم يعترف بتلك المشاعر الرديئة عندما يصير بالغًا، إذ إنّنا نحاكَم حينها على ما نحن عليه، وربّما وصل الأمر أحيانًا حدَّ محاكمة ذويك على ما أصبحتَ أنت عليه. إنّي أدرك الآن أنّ الأمر اقتضى أن أمتلك قلبًا ذا طهارةٍ بطوليّة استثنائيّة لكي لا أتعذّب من تلك الأيّام حيث كنت أقرأ على وجه صديقٍ أكثر ثراءً منّي، المفاجأةَ التي كان يسيء إخفاءها لدى رؤيته المنزل حيث أقيم.

أجل، كان قلبي سيّئًا، وهو أمر عادي. وإذا كنت لم أحتمل حتّى سنّ الــ ٢٥، ذكرى القلب السيّئ ذاك إلاّ بحنقٍ وعار، فلأنّني كنت أرفض أن أكون عاديًّا. في حين أنّي أدرك اليوم أنّي عاديّ وأنّي بتّ أهتمّ بأمورٍ أخرى لكوني ما عدت أجد الأمر جيّدًا أو مستهجنًا...

كنت أحبّ والدتي بيأس. لطالما أحببتها بيأس.

*

فكرة المقاومة بمعنى ميتافيزيقي.

*

التطرّق إلى الأذى الذي يُلحقه العالم بي. فهو يجعلني مزدريًا في حين أنّي لست هكذا... ذلك النوع من حالةِ انتقال...

*

ماكادو. «صوت التابوت في الحفرة أمر جدّي كليّةً».

«يا إلهي، إننا وحيدان، أمّي وقلبي».

«عندما يحلّ يوم رحلتي الأخيرة،

ويمضي المركب الذي لن يرجع أبدًا

سوف ترونني على متنه، رجلاً بمتاع قليل،

وشبه عارٍ، كأبناء البحر».

*

ترجمة خطب خوان مايرينا[١].

---

(١) أعمال أنطونيو ماكادو النثريّة.

رومانسيرو [ديوان إسباني مؤلّف من قصائد قصيرة] أفريقي؟

*

إنّ المفكّر المسيحيّ الكبير الوحيد الذي نظر إلى مشكلة الشرّ وجهًا *لوجه*، هو القدّيس أغسطينوس. فقد استوحى من ذلك مؤلَّفه الرهيب «نيمو بونوس Nemo Bonus». ومنذ ذلك الحين، جعلت المسيحيّة تعطي المشكلة حلولاً موقّتة.

النتيجة هنا. لأنّها النتيجة. لقد صرف البشر وقتًا فيها، إلاّ أنّهم اليوم مصابون بتسمّم عمرُه ألفا سنة. إنّهم منهكون من الشرّ أو مستسلمون قانعون، والأمر هو نفسه. إنّما على الأقلّ، هم ما عادوا يتحمّلون الكذب بشأن هذا الموضوع.

*

١٩ فبراير/شباط ١٨٦١ قرار إلغاء العبوديّة في روسيا. تعود الطلقة الناريّة الأولى (من كاراكازوف) إلى ٤ أبريل/نيسان ١٨٦٦.

انظر *خطأ من هو*؟ رواية هيرزن (١٨٧٤).

وكما سبق. *تطوّر الأفكار الثوريّة في روسيا*(١).

*

(١) قراءات خاصة بـ *العادلون والرجل المتمرّد*.

أفضّل البشر الملتزمين على الآداب الملتزمة. شجاعةٌ في الحياة وموهبةٌ في الأعمال الأدبيّة، هذا ممّا لا بأس به. ثم إنّ الكاتب يكون ملتزمًا ساعة يشاء. جدارته هي حركته. فإن كان ينبغي أن يتحوّل الأمر قانونًا، مهنة أو إرهابًا، فأين بالضبط تكون الجدارة؟

يبدو أنّ كتابة قصيدة اليوم عن الربيع، هي بمثابة خدمة تسدى إلى الرأسماليّة. لست شاعرًا، لكنّي سأفرح دون أفكار مسبقة بعملٍ أدبيّ كهذا إذا ما كان جميلاً. نحن نخدم الإنسان بكلّيّته، أو لا نفعل البتّة. وإذا ما كان الإنسان يحتاج الخبزَ والعدالةَ، وإذا ما كان ضروريًّا فعلُ كلّ ما يجب لسدّ هذه الحاجة، فإنّ الإنسان يحتاج أيضًا الجمالَ الصافي الذي هو خبز قلبه. الباقي ليس جادًّا.

أجل، أتمنّاهم أن يكونوا أقلّ التزامًا في أعمالهم، وأكثر التزامًا بعض الشيء في حياتهم اليوميّة.

*

لقد احتفظت الوجوديّةُ من الهيغليّة بخطئها الأساسيّ القائم على تحجيم الإنسان وقصره على التاريخ. إلاّ أنّها لم تحتفظ منها بالعاقبة وهي، في الواقع، أن تَرفض كلُّ حريّة للإنسان.

*

أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٦.

٣٣ عامًا بعد شهر.

تدلف ذاكرتي منذ عام. عجزي حيث أنا عن حفظ قصّةٍ رُويتْ ـ وعلى استذكار أجزاء كاملة من الماضي كانت مع ذلك حيّةً. بانتظار أن يتحسّن الوضع، بديهيّ أن أدوّن هاهنا أكثر فأكثر من الأمور، وحتى الشخصيّة منها، فليكن. فالأشياء كلّها توضَّب بالنسبة إليّ، في المستوى الغائم نفسه. النسيان يجتاح القلبَ أيضًا، فلم يعد لديه إلاّ عواطف مقتضبة، محرومة من الصدى الطويل الذي تُضفيه الذاكرةُ عليها. حساسية الكلاب هي هكذا.

*

الطاعون... «وفي كلّ مرّة قرأت قصّةً عن الطاعون، ارتفعت من عمق قلبٍ مسمومٍ بنقماته وبعنف الآخرين، صيحةٌ صافيةٌ تقول إنّ في البشر مع ذلك ما يستدعي الإعجاب أكثر ممّا يستدعي الاحتقار».

... «وأنّ كلاًّ منّا يحمل الطاعونَ في داخله، ذلك ألاّ أحد، أجل، لا أحد في العالم ناجٍ منه[1]. وأنّه يجب مراقبة الذات باستمرار لكي لا تضطرّ، في لحظة سهو، إلى التنفّس في وجه آخر وإلصاق العدوى به. الطبيعيّ هو الجرثومة. أمّا البقيّة، أي الصحّة والنزاهة والطهارة إذا شئتم، فهي من فعل إرادةٍ عليها ألاّ تتوقّف

---

(١) مراجعة تارّو، ص ١٤٢٣ ـ ١٤٢٤، (طبعة لا بلياد).

أبدًا. الإنسان الشريف الذي لا يصيب أحدًا بالعدوى، هو مَن لديه أقلّ ما يمكن من أسباب السهو والشرود.

أجل، منهكٌ أن يكون المرءُ نذلاً. بيد أنّ الأكثر إنهاكًا هو إرادة ألاّ تكون نذلاً. لذا، فإنّ الجميع منهكٌ إذ إنّ الجميع نذلٌ بعض الشيء. ولذا أيضًا يعرف البعضُ تعبًا أقصى لا شيء سيخلّصهم منه أكثر من الموت».

*

ما يهمّني أنا بشكل طبيعيّ هو أن أكون مقبولاً وليس أن أكون أفضل. لا أحد يتقبّل أحدًا. هل تقبّلتني هي؟ لا، هذا بديهيّ.

*

هيئة البهيمة المسكينة التي يتّخذها البشر في ردهة الانتظار لدى الطبيب.

*

جاك ريغو. «يأتي المثال من فوق. خلق الإله الإنسانَ على صورته. يا لإغراء التطابق مع هذه الصورة، بالنسبة إلى الإنسان».

«إنّ الحلّ، الجواب، المفتاح، الحقيقة، هي الحكم بالإعدام».

«متعجرفٌ، ممّا يمكن للاّشيء أن يخاف».

«وكلّما ازدادت لامبالاتي، كان اهتمامي أصيلاً».

أمرٌ واحد من اثنين. عدم التكلّم، عدم السكوت. الانتحار».

«طالما أنّي لم أتغلّب على حبّ المتعة، فإنّي سأكون حسّاسًا إزاء دُوار الانتحار، أعرف ذلكِ جيّدًا».

*

محادثات مع كوستلر. لا تبرّر الغاية الوسائلَ، إلاّ إذا كان مستوى العظمة المتبادلة معقولاً. مثال: أنا قد أرسل سانت ـ إكزوبيري في مهمّة قاتلة كي أنقذ فيلقًا. لكنّي لا أستطيع وضع الملايين في معسكرات الاعتقال وإلغاء كلّ حرّيّة من أجل نتيجة كمّيّة معادلة تقدَّر بثلاثة أو أربعة أجيال ضُحّي بها من قبل.

ـ النبوغ. ليس موجودًا.

ـ عندما يتمّ الاعتراف بنا كموهبة، يبدأ البؤس الحقيقيّ للمبدع (ما عدت أملك الشجاعة لنشر كتبي).

*

هناك ساعات أشعر معها أنّي ما عدت قادرًا على تحمّل التناقض لوقتٍ أطول. عندما تكون السماء باردةً، ولا شيء في الطبيعة يساندنا... آه، ربّما كان من الأفضل الموت.

*

تابع المقطع السابق. أتمزّق حيث أنا، لفكرة كتابة هذه المقالات لصحيفة «كومبا»[1].

*

بحث أدبي حول الشعور بالطبيعة ــ والمتعة.

*

الفنّ والتمرّد. بروتون على حقّ. أنا أيضًا لا أؤمن بالشرخ بين العالم والإنسان. فهناك لحظات التوافق مع الطبيعة الوحشيّة. الطبيعة ليست وحشيّة أبدًا. إنّما هي المناظر تفرّ وتُنتسى. لذا يوجد رسّامون. الفنّ التشكيلي السوريالي مثلاً هو، في حركته، التعبير عن تمرّد الإنسان حيال *الخليقة*. بيد أنّ خطأه كان في إرادة الحفاظ أو فقط تقليد الجانب الخارق في الطبيعة. لا ينكر الفنّان المتمرّد الحقيقي الخوارق والمعجزات، إنّما هو يقوم بترويضها.

*

باران. في أنّ جوهر الأدب الحديث هو تبديل الآراء والمواقف. السورياليّون وقد أصبحوا ماركسيّين. رامبو التقوى. سارتر الأخلاق. وفي أنّ معضلة الزمن الكبرى هي النزاع. شرط إنساني. طبيعة إنسانيّة.

---

(١) الأمر يتعلّق من دون شكّ بمقالة «لا ضحايا ولا جلاّدون»، التي نُشرت في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٤٦.

ــ إن كانت هناك طبيعة بشريّة، فمن أين هي؟

*

من البديهة أن أوقف كل نشاط مبدع طالما أنّي لا أعرف. فما شكّل نجاح كتبي هو ما يصنع كذبَها بالنسبة إليّ. في الواقع، أنا رجل متوسّط + تطلّب. القيم التي عليّ الدفاع عنها اليوم وتصويرها هي قيمٌ متوسّطة، بحيث يحتاج الأمر إلى موهبة مجرّدة جداً أشكّ في امتلاكها.

*

إنّ نهاية التمرّد هي إحلال السلام بين البشر. فكلّ تمرّد ينتهي أو يطول في توكيد الحدّ الإنسانيّ الفاصل ــ ومجتمعٍ لكلّ البشر أيًّا كانوا، ما قبل ذلك الحدّ. تواضع ونبوغ.

*

٢٩ أكتوبر/تشرين الأوّل.

كوستلر ــ سارتر ــ مالرو ــ سبيربر وأنا. ما بين بييرو ديلّلا فرانشيسكا ودوبوفيه.

(ك.) ــ ضرورة تحديد حدّ أدنى من الأخلاقيّات السياسيّة. وإذًا، ضرورة التخلّص قبل كلّ شيء من عددٍ معيّن من المحاذير المصطنعة (مغالطات، يقول (أ.)) ما يُقال قد يخدم قضايا لا يمكننا خدمتها. (ب.) فحص الضمير. نظام المظالم. أنا، عندما سألني

المذيع إن كنت أكره روسيا، شعرت بأنّ شيئًا ما توقّف هنا، في داخلي. فبذلت مجهودًا وقلت إنّي أكره النظام الستاليني بقدر ما أكره النظام الهتلري وللأسباب نفسها. إلاّ أنّ ثمّة ما أفلَتَ هنا. كلّ سنوات النضال تلك. كذبت من أجلهم... واليوم، كصاحبي ذاك الذي كان يضرب رأسه بجدار غرفتي وهو يقول بوجهٍ مغطّى بالدماء مستديرٍ نحوي: «لم يعد هناك أمل، لم يعد هناك أمل». ــ وسائل التحرّك، إلخ.

(م.) ــ هناك استحالة موقّتة في التأثير على الطبقة العاملة. هل الطبقة العاملة هي أكبر قيمة تاريخيّة فعلاً؟

(ك.) ــ الطوباويّة. اليوم، ستكون تكلفة الطوباويّة أدنى من تكلفة حرب. نقيض الطوباويّة الحربُ. هذا من جهة. ومن جهة ثانية: ألا تظنّون أنّنا جميعًا مسؤولون عن غياب القيم؛ وأنّنا، نحن أتباع النيتشويّة أو العدميّة أو الواقعيّة التاريخيّة، لو نقول علانيةً إنّنا أخطأنا، إنّ هناك قيمًا أخلاقيّة وإنّنا من الآن فصاعدًا سنفعل ما يجب من أجل التأسيس لها[1] وتطبيقها، أفلا تعتقدون أنّ ذلك سيشكّل بداية أمل؟

(س.) ــ لا أستطيع توجيه قيمي الأخلاقيّة ضدّ الاتّحاد السوفييتي فقط. فصحيح أنّ ترحيل عدّة ملايين من البشر وأسرهم

(١) تصعب قراءة المخطوطة. وقد تقرأ «لحفظها».

هو أكثر خطورة من رجم زنجيّ. إلاّ أنّ رجم زنجيّ هو نتيجة وضع يدوم منذ مائة عام وما يزيد، ويمثّل في النهاية شقاء العدد نفسه من ملايين الزنوج عبر الزمن، وملايين الشراكسة المُرحَّلين.

(ك.) ــ ينبغي أن نقول إنّنا ككتّاب نقف خائنين أمام التاريخ إن لم نشجب ما ينبغي شجبه. فمؤامرة الصمت هي إدانة لنا في نظر من سيخلفوننا.

(س.) ــ أجل. إلخ، إلخ.

وأثناء ذلك الوقت كلّه، استحالة تحديد نصيب الخوف أو الحقيقة في أقوال كلّ منهم.

*

إذا كنّا نؤمن بالقيمة الأخلاقيّة، فإنّنا نؤمن بالأخلاق كاملةً، وبما فيها وحتى بالأخلاق الجنسيّة. الإصلاح شامل.

*

قراءة أوين.

*

كتابة تاريخ شخصٍ معاصر شُفي من تمزّقه عبر التأمّل الطويل فقط لمنظر.

روبير، المقرّب من الشيوعيّين، المستنكف والرافض للخدمة العسكريّة لأسباب ضميريّة، في العام ١٩٣٣. السجن لثلاث سنوات. لدى خروجه، الشيوعيّون يؤيّدون الحرب، ومناصرو السلام يؤيّدون هتلر. وهو ما عاد يفقه شيئًا في هذا العالم الذي فقد صوابه. يلتحق بالجنود الجمهوريّين الإسبان ويخوض *الحرب*. فيُقتَل على جبهة مدريد.

*

ما هو الإنسان المشهور؟ إنّه إنسانٌ لا أهمّيّة لاسمه الأول. أمّا لدى جميع الآخرين، فإنّ للاسم الأول معنًى خاصًّا بذاته.

*

لمَ نشرب؟ لأنّ الأمور كلّها تكتسي عبر الكحول أهمّيّةً، بحيث تترتّب بأكملها تبعًا لخطّة عليا. النتيجة: نشرب لشعور بالعجز وبالإدانة.

*

لا يمكن للنظام الكونيّ أن يُصنع من فوق، أي انطلاقًا من فكرة، وإنّما من تحت، أي انطلاقًا من العمق المشترك الذي...

*

إعدادُ كتابٍ يتألّف من نصوص سياسيّة حول برازيلّلاك.

*

غيبّو. المرجع الوحيد هو الألم. فليحتفظ أكبر المذنبين بعلاقة ما بالبشريّ.

*

اللقاء بـ (تار.) عند الخروج من محاضرة عن الحوار. يبدو متحفّظًا بالرّغم من نظرة الصداقة نفسها التي كانت له عندما أدخلتُه في مجموعة صحيفة «كومبا».

ـ أنت ماركسيّ الآن؟

ـ أجل.

ـ ستكون إذًا قاتلاً.

ـ لقد كنت قاتلاً من قبل.

ـ أنا أيضًا. لكنّي ما عدت راغبًا بالاستمرار مزيدًا.

ـ وقد كنتَ عرّابي.

كان هذا صحيحًا.

ـ اسمع، يا (تار). إليك المشكلة الحقيقيّة: سوف أدافع عنك دائمًا ضدّ بنادق الإعدام، مهما جرى. أمّا أنت، فستكون مجبرًا أن توافق على إعدامي رميًا بالرصاص. فكّر في الأمر.

ـ سأفكّر في الأمر.

*

وحدة لا تُحتمل ـ لا أستطيع تصديقها، أو الاستسلام لها.

*

جبنُ الآخرين هو ما يجعل إنسانًا يشعر بالوحدة. هل إنّ محاولة فهم هذا الجبن واجبةٌ أيضًا؟ هذا ما يفوق قواي. ومن جهةٍ أخرى، لا يمكنني ممارسة الاحتقار.

*

لو تُختصر الأشياءُ كلّها فعلاً بالإنسان وبالتاريخ، فإنّي أتساءل أين هو موقع: الطبيعة ـ الحبّ ـ الموسيقى ـ الفنّ.

*

التمرّد. نحن لا نرغب بأيّ بطلٍ كان، إذ إنّ أسباب البطولة أكثر أهميّة من البطولة نفسها. إذًا، فقيمة النتيجة سابقةٌ على قيمة البطولة. الحرّيّة النتشويّة تعظيمٌ وانتشاء.

*

الخليقة المصحَّحة. شخصيّة الإرهابيّ (رافنيل).

*

علاقة العبثيّة بالتمرّد[1]. إذا كان القرار النهائي هو رفض الانتحار من أجل دعم المواجهة، فهذا يعني الاعتراف ضمناً بالحياة كقيمةٍ وحيدةٍ مفروضةٍ بحكم الواقع، تلك التي تسمح بالمواجهة، تلك التي هي المواجهة و«التي من دونها لا». ينتج عن ذلك أن إطاعة هذه القيمة المطلقة تقتضي أنّ مَن يرفض الانتحار يرفض القتلَ أيضًا. عصرنا هو ذاك الذي تقبّل الانتحار بعد أن دفع العدميّة إلى أقصاها، ويمكن التحقّق من ذلك عبر سهولة تقبّله القتل، أو تبريره إيّاه. فالذي يُقدم على الانتحار يحافظ رغم ذلك على قيمة، ألا وهي حياة الآخرين، بدليل أنّه لا يستخدم *أبدًا* ما يمنحه قرارُه بالموت من حرّيّةٍ وقوّة رهيبة لكي يسود على الآخرين: كلّ انتحار هو لامنطقيّ في موضع ما. إلاّ أنّ رجال الرعب والترهيب دفعوا قيم الانتحار إلى أقصى حدودها التي هي القتل الشرعيّ، أي الانتحار الجماعيّ. مثال: النهاية النازيّة للعالم في العام ١٩٤٥.

*

---

(١) مسودّة الفصل الأوّل من *الرجل المتمرّد*، كما نجدها في المخطوطة.

بريّانسون. يناير/كانون الثاني ١٩٤٧

ينتهي المساءُ الذي يسيل فوق تلك الجبال الباردة، بأن يجعل القلب مثلّجًا. ما تحمّلتُ أبدًا هذه الساعة المسائيّة إلاّ في بروفانس، أو على شواطئ المتوسّط.

*

(ج.) أورويل. *أيّام بورميز*. «لا يشعر كثرٌ بالارتياح في بلاد أجنبيّة، إلاّ إذا احتقروا أهلها».

«... السعادة المفرطة التي تتأتّى عن الإنهاك وعن النجاح والتي لا شيء آخر في الحياة ــ ولا أيّ فرح يشعره الجسدُ أو الروح ــ يستأهل أن يقارَن بها».

*

قراءة جورج سيمال (*شوبنهاور ونيتشه*)، «تعليق موجّه إلى نيتشه» الذي نقله إلى الإنكليزيّة برنيري (قتله الشيوعيّون في إسبانيا عند تصفية الفوضويّين). يتناول الرغبة بالإله لدى نيتشه. [المقطع التالي بالإنكليزيّة في النصّ] «ولو بدا لنا الأمر خياليًّا ومبالغًا، فإنّه يكشف ما تحت شكل الشخصانيّة القصوى شعورًا لا يبتعد كثيرًا، تحت شكل آخر، عن التصوّر المسيحيّ للحياة الداخليّة. ففي الواقع، هناك في المسيحيّة فكرة أن نصبح مساوين للإله، كما هي فكرة بُعدنا وصغرنا اللامتناهيين ما قبل هذا الأخير. لقد أتاح البعدُ الروحيّ، في كلّ عصر وفي كلّ دين، انبثاقَ ذلك الطموح لأنّ

نصبح مع الإله واحدًا أو لكي نصير، بجرأة أكبر، الإلهَ. في الحلقات الدراسيّة عن التأليه وبالنسبة إلى المعلّم إكهارت، بإمكان الإنسان أن يتخلّص من شكله البشريّ ليصبح من جديد إلهًا، كما كان في طبيعته الخاصّة والأصليّة، أو كما عبّر عنه أنجيلوس سيليسيوس إذ قال:

عليّ أن أجد نهايتي وبدايتي

عليّ أن أجد الإله فيّ وأنا في الإله

فأصبح ما هو...

لقد استولى الشغف هذا نفسه على سبينوزا ونيتشه: ‹*فما أمكنهما أن يقبلا ألاّ يكونا الإله*››. [انتهى المقطع بالإنكليزيّة].

يقول نيتشه: «من غير الممكن وجود الإله، لأنّه إذا ما وُجد، فلن يمكنني قبول ألاّ أكون إلهًا».

*

لا توجد إلاّ حرّيّة واحدة ألا وهي الامتثال لقانون الموت. بعد ذلك، يصبح كلّ شيء ممكنًا. أنا لا أستطيع إرغامك على الإيمان بالإله. فالإيمان بالإله هو قبول الموت. عندما تقبل الموت، تكون مشكلة الإله قد حُلّت ـ وليس العكس.

*

كان راديسي، عضو الميليشيا المنخرط في وحدات النخبة النازيّة، «وافين س س»، الملاحَق لأنّه ساهم في إعدام ٢٨ معتقلاً في سجن لاسانتيه رميًا بالرصاص (حضر أفواج الإعدام الأربعة)، منتسبًا إلى جمعيّة الرفق بالحيوان.

*

راباتيه ومورغان. في اليمين وفي اليسار ــ أو تعريف الفاشيّة الكونيّ: لانعدام شخصيّتهما، وهبا نفسيهما عقيدة.

*

عنوان للمستقبل: «النظام» (١٥٠٠ صفحة).

*

بقدر ما انتهت الأعمال البشريّة، شيئًا فشيئًا، إلى تغطية الفضاءات الشاسعة حيث كان العالم يهجع، إلى درجة باتت معها اليوم فكرةُ الطبيعة العذراء جزءًا من أسطورة جنّة عدن (لم يعد هناك جزر)، وذلك بعد سكنى الصحراء، فرز السواحل وتقسيمها، إحراق السماء حتى بواسطة دخان الطائرات، وعدم ترك شيء على حاله في ما عدا المناطق حيث لا يمكن للإنسان أن يعيش. لذا وفي الوقت نفسه (وبسبب)، غطّى الإحساسُ بالتاريخ تدريجيًّا الإحساسَ بالطبيعة في قلوب البشر، فسُحبَ من الخالق ما يعود إليه بشكل طبيعي بغية منحه إلى المخلوق، كلّ ذلك في حركة قويّة جدًّا لا

تقاوم، بحيث يمكن اليوم تصورّ الخليقة الطبيعيّة الصامتة بأكملها وقد استُبدلت بالخليقة البشريّة، القبيحة والباهرة، المدوّية بصخب الثورات والحروب، الضاجّة بالمعامل والقطارات، النهائيّة أخيرًا والفائزة في سباق التاريخ ـ بما أنّها أنهت مهمّتها على هذه الأرض، تلك القائمة ربّما على إثبات أنّ كلّ ما كان يمكنها فعله من عظيمٍ ومذهلٍ، خلال آلاف السنوات، لا يساوي الشذا الهارب لوردة بريّة، وادي شجر الزيتون، أو الكلب المفضّل.

*

١٩٤٧

ككلّ الضعفاء، كانت قراراته فظّة وذات حزم طائش.

*

جماليّة التمرّد. الفنّ التشكيلي يختار. إنّه «يعزل»، وهي طريقته في التوحيد. المنظر يعزل في الفضاء ما يضيع بشكل طبيعيّ في المنظور. فرسم المناظر يعزل في الزمن، الحركةَ التي تضيع عادةً في حركة أخرى. الرسّامون الكبار هم الذين يعطون الانطباعَ بأنّ المنظر قد جُمّد *لتوّه* (بييترو ديلّلا فرنشيسكا)، كما لو أنّ آلة العرض قد توقّفت بشكل قاطع.

*

مسرحيّة حول حكم النساء. يقرّر الرجال أنّهم فشلوا وسيسلّمون الحكم إلى النساء.

الفصل الأول ــ يأتي سقراط الخاصّ بي أنا، ويقرّر التنازل عن السلطة.

الفصل الثاني ــ إنّهنّ يردن التصرّف كالرجال، فيفشلن.

الفصل الثالث ــ يتلقّين الإرشادات من سقراط، فيحكمن كنساء.

الفصل الرابع ــ مؤامرة.

الفصل الخامس ــ يُعدن السلطة إلى الرجال.

يدّعين أنّهنّ يعلنّ الحرب. «هل فهمتم ما معنى ذلك لمن سيبقى ــ ورؤية كلّ الذين نحبّ في هذا العالم، ذاهبين إلى المجزرة؟».

يمكننا أن نرحل الآن. لقد فعلنا كلّ ما كنّا نأمل فعله في هذا العالم، في مواجهة الحماقة البشريّة ــ وماذا إذًا ــ قليل من التربية.

«بمثل حماقتنا، وإنّما أقلّ شرًّا».

تجربة عام.

إذا جرت الأمور على ما يرام، مدّدنا.

الأمور على ما يرام، لكنّنا لن نمدّد. كانت الكراهية تنقصهنّ.

ستبدأ الأمور مجدّدًا، يقول سقراط. إنّهم يعدّون كلّ شيء. الأفكار الكبيرة ووجهات النظر حول التاريخ. وبعد عشر سنوات، المقابر الجماعيّة.

اسمعوا:

منادٍ.

البند الأوّل ــ لا يوجد فقراء بعد الآن ولا أثرياء.

البند الثاني ــ ستخرج بعد؟

ــ أجل، لديّ اجتماع.

ــ أنا أحتاج إلى السلوى ــ إلى الترتيب في بيتي...

*

١٩٤٧

يا لشقائي لأنّي تجرّأت على التفكير [باللاتينيّة في النصّ].

*

بعد أسبوع من الوحدة، الشعور الحادّ بقصوري حيال عملٍ باشرتُه بأكثر الطموحات جنونًا. إغراء التراجع. فقد كان ذلك السجال الطويل مع حقيقة أقوى منّي، يتطلّب قلبًا أكثر تجرّدًا، وذكاءً أشدّ سعة وقوّة. ولكن ما العمل؟ قد أموت من دونه.

*

التمرّد. الحرّيّة حيال الموت. لا توجد حرّيّة أخرى ممكنة في مواجهة حرّيّة القتل، سوى حرّيّة الموت، أي إلغاء الخوف من الموت ووضع هذا الحادث مجدّدًا في سياق الأمور الطبيعيّة. بذل جهد في هذا الاتّجاه.

*

مونتانيو. تغيير النبرة في الفصل العشرين من الكتاب الأوّل. عن الموت. أشياء مدهشة يقولها عن خوفه أمام الموت.

*

رواية. ــ توينكل[1]:«عندما وصلت، كنت منهكًا من الخوف والحمّى. ذهبت لمعاينة اللوح لكي أستعلم في أيّ ساعة ستصل، وإن لم تكن بالصدفة قد وصلت. كانت الساعة ١١ مساء. القطار الأخير القادم من الغرب، يصل عند الثانية فجرًا. كنت آخر من خرج. وكانت تنتظرني عند المخرج، وحيدة وسط شخصين أو ثلاثة، بصحبة كلب كانت قد تبنّته. تقدّمت صوبي. قبّلتها بشكل سيّئ، لكنّي كنت فرحًا حتى قاع قلبي. خرجنا. كانت سماء بروفانس ما فوق الأسوار مشعّة بالنجوم. وصلت منذ الخامسة ما بعد الظهر. كانت قد جاءت تنتظر قطار السابعة ولم أكن فيه. كانت تخشى ألاّ آتي، لأنّها كانت قد أعطت الفندق اسمي، في حين أنّ أوراقها لم تكن تحمل الاسم المطلوب. كانوا قد رفضوا تسجيلها فلم

---

(١) توينكل أو زوينكل.

تجرؤ على العودة. لدى وصولنا إلى الأسوار، ارتمت عليّ، وسط الناس المحتشدين الذين كانوا يمرّون ويلتفتون إلينا، وشدّتني إليها بحماسة تعبّر عن الارتياح، ليس عن الحبّ، وإنّما عن أمل الحبّ. وكنت أنا أشعر بحمّاي وكان بودّي لو أكون قويًّا وجميلاً. في الفندق، أوضحتُ الحقيقة وسارت الأمور على ما يرام. لكنّي أردت أن نشرب كأسًا قبل أن نعود إلى الغرف. وهنا، في الحانة الدافئة حيث جعلتني أحتسي الكحول دونما توقّف، أحسست بالثقة تعود إليّ وبمدّ الاستسلام يغمرني كليًّة».

*

كانت شفته العليا مشروخة على كامل طولها، والأسنان بارزةً حتى اللثة، فكان يبدو وكأنّه يضحك دومًا. إلاّ أنّ العينين كانتا جادّتين.

*

ما قيمة الإنسان؟ ما هو الإنسان؟ بعد كلّ ما رأيته، سوف أبقى طوال حياتي أشعر حياله بحذر وقلق أساسيّ.

*

مراجعة مارك كلاين في *دراسات جرمانيّة*. «ملاحظات وأفكار حول معسكرات الاعتقال النازيّة».

*

رواية الخليقة المصحَّحة. «ما إن سقط أرضًا، وضع المجرفة على عنقه وغرزها بقدمه كما كان يفعل عندما كان يفتّت كتل التراب المتلاصقة».

*

نيميزيس ـ إلهة الاعتدال. كلّ الذين تجاوزوا الاعتدال سيُدمَّرون دونما رحمة.

*

إيزوقراط: لا شيء في الكون أكثر قدسيّة، أكثر جلالاً وأكثر نبلاً من الجمال.

إسخيلوس عن هيلينا[1]:«روحٌ هانئة كهدأة البحار، جمالٌ كان يزيّن أجمل الحليّ، عينان حانيتان كانتا تخرقان بمثل ما يفعل رمحٌ، ووردة حبّ تقضي على القلوب».

ليست هيلينا مذنبة وإنّما هي ضحيّة الآلهة. بعد الكارثة، تستعيد حياتها سيرها.

*

لاباتولبير. اللحظة تلك (لوحات النهاية) حيث تتألّق الفصول ـ وحيث تمدّ أيادٍ غامضة زهورَها في كلّ زوايا اللوحة. مأساة هادئة.

*

---

(١) مراجعة نفي *هيلينا*، في *الصيف*.

إرهاب.

تكمن الطهارة الكبيرة لإرهابيّ من نسق كالياييف، في أنّ القتل يتصادف مع الانتحار (مراجعة سافينكوف: *ذكريات إرهابيّ*) بالنسبة إليه. حياةٌ تدفع ثمنَها حياةٌ أخرى. التحليل خاطئ، لكنّه جدير بالاحترام. (فحياة مختطَفة لا تساوي حياةً وُهبت). اليوم، القتل بالوكالة. لا أحد يدفع.

١٩٠٥ كالياييف: تضحية الجسد. ١٩٣٠: تضحية الروح.

*

بانولييه، ١٧ يونيو/حزيران ١٩٤٧

يوم رائع. نور كالرغوة، متلألئ وناعم فوق أشجار الزان الكبيرة ومن حولها، يبدو وكأنّ الأغصان كلّها قد فرزته. باقات الأوراق التي ترتعش ببطء في ذلك الذهب الأزرق، كألف فمٍ بعدّة شفاه يسيل منها اللعاب الهوائي، الأشقر والسكّري، طوال النهار ــ أو كألف ثغر ماء صغيرة ومقلوبة، برونزيّة وخضراء، تسقي من دون كلل السماءَ بمياه زرقاء ومتلألئة ــ أو كـــ... لكن يكفي.

*

كم يستحيل *القول* بذنب أحدٍ ما بشكل مطلق، ويستحيل بالتالي إصدار عقوبة شاملة.

*

نقد فكرة الفعالية ــ فصل واحد.

*

لقد وضعت الفلسفة الألمانيّة حركةً في شؤون العقل والكون ــ في حين كان يضع الأقدمون فيها ثباتًا. نحن لن نتجاوز الفلسفة الألمانيّة ــ ولن ننقذ الإنسان ــ إلاّ عندما نحدّد ما هو الثابت وما هو المتحرّك (وما نجهل أنّه ثابت أو متحرّك).

*

إنّ نهاية الحركة العبثيّة، المتمرّدة، إلخ، وبالتالي نهاية العالم المعاصر، هي العطف بمعناه الأوّل، أي الحبّ والشعر باختصار. لكنّ الأمر يتطلّب براءةً ما عدت أملكها. كلّ ما يمكنني فعله هو التعرّف على نحوٍ صحيح إلى الدرب المفضية إليها وانتظار حلول زمن الأبرياء. رؤيته على الأقلّ، قبل مفارقة الحياة.

*

هيغل ضدّ الطبيعة. مراجعة علم المنطق ص ٣٦ ــ ٤٠. لمَ الطبيعة مجرّدة. ــ الملموس هو العقل.

إنّها مغامرة الذكاء الكبرى ــ تلك التي تنتهي بإبادة كلّ شيء.

*

لوضعها في أرشيف *الطاعون*:

١) رسائل من مجهول للتبليغ عن عائلات. نوعيّة الاستنطاق البيروقراطي؛

٢) نماذج الموقوفين[١].

*

دونما غد.

السلسلة الأولى. العبثيّة: *الغريب* ــ *أسطورة سيزيف* ــ *كاليغولا* وسوء *تفاهم*.

الثانية ــ التمرّد: *الطاعون* (وملحقاته) ــ *الرجل المتمرّد* ــ كالياييف.

الثالثة ــ الحكم ــ الرجل الأوّل.

الرابعة ــ الحبّ الممزّق: المحرقة ــ في الحبّ ــ المغرِّر.

الخامسة ــ الخليقة المصحَّحة أو «النظام» ــ رواية كبيرة + تأمّل كبير + مسرحيّة لا يمكن تأديتها.

*

(١) لم نجد شيئًا مشابهًا لا في ملفّات كامو، ولا «في أرشيف الطاعون» كما نُشر في *دفاتر لا بلياد*.

حزن النجاح[1]. المعارضة ضروريّة. لو كان كلّ شيء أصعب عليّ، كما سابقًا، لكان لي الحقّ أكثر في قول ما أقول. يبقى أنّ بإمكاني مساعدة أناس كثر ــ بالانتظار.

*

حذرٌ من الفضيلة القطعيّة ــ ذلك هو تفسير هذا العالم. لقد استمدّ أولئك الذين شعروا بهذا الحذر حيال أنفسهم فمطّوه ليشمل كلّ الآخرين، حساسيّةً مفرطة متواصلة إزاء كلّ فضيلة معلنة. من هنا، وحتى تشكيكهم بالفضيلة فعليًّا، لا توجد أكثر من خطوة. لذا، فقد اختاروا أن يسمّوا فضيلةً ما يخدم حلولَ المجتمع الذي يريدون. إنّ الدافع العميق (الحذر ذاك) نبيل. إنّما هل المنطق سليم حقًّا، ذلك هو السؤال.

لديّ أنا أيضًا حساب أصفّيه مع هذه الفكرة. فكلّ ما كتبته وفكّرته أبدًا، يعود إلى ذلك الحذر (إنّه موضوع *الغريب*). وبما أنّي لا أقبل النفي التامّ والكامل (العدميّة أو المادّيّة التاريخيّة) «للوعي الفاضل» كما يقول هيغل، فهناك مدى متوسّط عليّ إيجاده. هل التواجد في التاريخ، مع الرجوع إلى قيم تتجاوز التاريخ، أمرٌ ممكنٌ، شرعيٌّ؟ ألا تحوي قيمة الجهل بحدّ نفسها، ملجأً مريحًا. لا

---

(1) حاز كامو جائزة النقّاد عن *الطاعون*.

شيء طاهر، لا شيء طاهر، تلك هي الصرخة التي سمّمت هذا القرن.

إغراء الاصطفاف إلى جانب الذين ينفون ويفعلون! هناك من ينخرطون في الكذب كمن ينخرط في ديانة. وبالحركة الرائعة نفسها، هذا مؤكّد. ولكن، ما معنى حركة؟ بمَ وكيف ولمَ نصدر أحكامًا؟

إذا كانت هذه هي مسيرة التاريخ بالفعل، وإن لم يكن هناك تحرير وإنّما توحيد فقط، أفلا أكون من أولئك الذين يكبحون سير التاريخ؟ يقولون لا تحرير من دون توحيدٍ، لو كان ذلك صحيحًا، فنحن إذًا في الخلف. ولكي نكون في المقدّمة، علينا تفضيل فرضيّةٍ ممكنة بالكاد ــ سبق لها وتعرّضت لدحض *تاريخيّ* مخيف، على تلك الوقائع التي هي الشقاء والقتل والمنفى، لجيلين أو لثلاثة أجيال. فيقع الخيار هكذا على فرضيّة. ليس مثبتًا أنّ التحرير يتطلّب التوحيد أوّلاً، كما ليس مثبتًا أيضًا أنّ بإمكانه الاستغناء عنه. إنّما لا شيء يقول بأنّ على التوحيد أن يتحقّق بالعنف ــ إذ يجتلب العنفُ بشكل عامّ التمزّقَ تحت مظاهر الوحدة. يُحتمل أن يكون التوحيد، أو التحرير، ضروريًّا، كما يُحتمل أن تكون للتوحيد فرصة التحقّق من خلال *المعرفة* والمواعظ، فتكون الكلمةُ بالتالي فعلاً. على الأقلّ، ربّما كان يجب الانخراط كليًّة في هذي المهمّة.

آه، إنّها ساعات الشكّ. ومن الذي يمكنه وحده حمل شكّ عالمٍ بحاله.

*

أعرف نفسي جيّدًا لكي أؤمن بفضيلة طاهرةٍ كلِّيَّةً.

*

مسرحيّة. الإرهاب. شخصيّة عدميّة. العنف أينما كان. الكذب أينما كان.

التدمير، التدمير.

شخصيّة واقعيّة. يجب الانتساب إلى «أوكرانا» [الشرطة السرّيّة السياسيّة في روسيا].

ما بين الاثنين، كاليابيف ــ كلاّ، بوريس، لا.

ــ أنا أحبّهم.

ــ لماذا تقولها بهذه الطريقة الرهيبة؟

ــ لأنّ حبّي رهيب.

كما سبق. يانيك ودورا.

(ي) (بلطف) ــ والحبّ؟

(د) ــ الحبّ يا يانيك؟ لا يوجد حبّ.

(ي) ـ آه يا دورا! كيف تقولين ذلك؟ أنت التي أعرف قلبها!

ـ الدم كثيرٌ، هذا هو السبب، والعنف القاسي أيضًا. لا يحقّ بالحبّ لمن يحبّون العدالة جدًّا. فهم مثلي أنا مستقيمون جدًّا، مرفوعو الرأس، ثابتو الأحداق. ما شأن الحبّ بقلبٍ أبيّ! الحبّ يطأطئ الرؤوسَ بنعومة، يانيك، أمّا نحن فنقطعها.

ـ ولكنّنا نحبّ شعبنا يا دورا.

ـ أجل، نحن نحبّه حبًّا كبيرًا بائسًا. إنّما، هل يحبّنا الشعب وهل تراه يعلم أنّنا نحبّه؟ الشعب يصمت. يا لصمته، يا للصمت...

ـ ولكن، هذا هو الحبّ يا دورا، إعطاء كلّ شيء والتضحية بكلّ شيء، دونما أمل بأيّ مقابل.

ـ ربّما يا يانيك. إنّه الحبّ الطاهر، الأزليّ. وهو ذاك الذي يحرقني، بالفعل. إنّما في بعض الأوقات، أنا أتساءل إن لم يكن الحبّ شيئًا آخر، إن كان يمكنه الكفُّ عن أن يكون مونولوجًا، وإن لم تكن هناك أحيانًا إجابة ما. أتعلم، أتخيّل ما يلي: الرؤوس تطأطئ بنعومة، القلب يتخلّى عن إبائه، العيون تذبل، والأذرُع تُفتح قليلاً. نسيان بؤس العالم الفظيع، يانيك، والتراخي أخيرًا لساعة، لساعة وحيدة صغيرة من الأنانيّة، أتتخيّل ذلك؟

ـ أجل يا دورا، هذا ما يسمّى الحنان.

ـ أنت تحزر كلّ شيء، يا حبيبي. هذا ما يسمّى الحنان. ولكن، أتحبّ العدالة بحنان؟

يصمت يانيك.

ـ هل تحبّ شعبك بهذا الاستسلام، أم بشعلة الانتقام والتمرّد؟

يصمت يانيك.

ـ أرأيت. وأنا، أتحبّني بحنان يا يانيك ؟

ـ أحبّك أكثر من أيّ شيء في العالم.

ـ أكثر من العدالة؟

ـ أنا لا أفرّق بينك، وبين المنظّمة والعدالة.

ـ أعرف. ولكن أجبني: أجبني أرجوك يا يانيك. أجبني، أتحبّني في الوحدة بحنان؟ بأنانيّة؟

ـ آه يا دورا، أموت رغبةً بأن أجيبك نعم.

ـ قلها يا حبيبي، قلها إن كنت تفكّر بذلك وإن كان ذلك حقيقيًّا. قلها في وجه المنظّمة، في وجه العدالة، في وجه بؤس العالم، وفي وجه الشعب المكبّل! قلها، أرجوك، في وجه احتضار الأطفال، والسجون التي لا تنتهي، وبالرّغم من أولئك الذين يُشنقون ويُساطون حتى الموت.

يشحب يانيك.

ـ اصمتي يا دورا.

ـ آه، يانيك! أنت لم تقلها بعد.

صمت.

ـ لا أستطيع أن أقولها، ومع ذلك، فقلبي ملآن بك.

تضحك كما لو كانت تبكي.

ـ ولكن، هذا جيّد جدًّا يا حبيبي. أترى، لم يكن الأمر منطقيًّا. أنا أيضًا ما كنت لأستطيع قولها. فأنا أحبّك الحبّ الثابت قليلاً نفسه، في العدالة وفي السجون. نحن لسنا من هذا العالم يا يانيك. فحصّتنا هي الدم والحبل البارد.

*

التمرّد هو نباح الكلب المجنون (أنطونيوس وكليوباترا).

*

لقد أعدت قراءة كلّ تلك الدفاتر ـ منذ الدفتر الأول. وما لفت انتباهي: المناظر تتلاشى شيئًا فشيئًا. فالسرطان الحديث يتآكلني أنا أيضًا.

*

إنّ المُعضلة الأكثر جدّيّة المطروحة على العقول المعاصرة هي: التقليديّة.

*

بالنسبة إلى لاو ـ تسو: كلّما قلّ الفعل، أحكمنا السيطرة.

*

كان (ج) يسكن مع جدّته، بائعة لوازم دفن الموتى، في «سان ـ بريوز» : وكان يكتب فروضه فوق شاهدة قبر!

*

مراجعة كرابويّو: «الفوضويّة». تايّاد: «قاضي التحقيق». ستيرنر: «الأوحد وملكيّته».

*

(ج). لا تصدر السخرية بالضرورة عن حبّ الأذيّة.

(م). ولكنّها لا تصدر بالتأكيد عن الطيبة.

(ج). كلاّ. وإنّما عن الألم ربّما، وهو ما لا يخطر لنا أبدًا *لدى الآخرين*.

*

في موسكو المهدّدة من قِبل الجيش الأبيض، متوجّهًا إلى لينين الذي قرّر تجنيد محكومي الحقّ العامّ:

ـ لا، ليس مع هؤلاء.

ـ *من أجل* هؤلاء، أجاب لينين.

*

مسرحيّة كالياييف: يستحيل قتلُ إنسان من *لحمٍ ودمٍ*، إنّما من يُقتل هو المستبدّ، وليس الشخص الذي حلق ذقنه صباحًا، إلخ، إلخ.

*

مشهد: يتمّ إعدام المُحرّض.

*

إنّ معضلة الحياة الكبرى هي معرفة كيفيّة العبور بين البشر[1].

*

(ك). «أنا رجلٌ لا يؤمن بشيء ولا يحبّ أحدًا، بشكل أصليّ على الأقلّ. يوجد في داخلي فراغٌ، صحراء مخيفة».

*

---

(١) في المخطوطة، نجد ما بين هلالين: أ. ف.

مارك محكوم بالإعدام في سجن لوس. خلال أسبوع الآلام، يرفض أن تُنزَع سلاسلُه لكي يكون أكثر شبهًا بالمخلّص. كان فيما مضى يطلق النار من مسدّسه على الصلبان في الطرقات.

*

مسيحيّون سعداء. لقد احتفظوا بالنعمة لأنفسهم، وتركوا لنا الإحسان.

*

غرونييه. في حسن استعمال الحرّيّة. «ما عاد الإنسان الحديث يؤمن بوجود إله يجب إطاعته» (عبريّ ومسيحيّ)؛ «مجتمع يجب احترامه (هندوسيّ وصينيّ)، طبيعة يجب اتّباعها (إغريقيّ وروماني)».

كما سبق. «إنّ الذي يحبّ قيمةً ما بقوّة، هو عدوّ الحرّيّة للسبب نفسه. إنّ الذي يحبّ الحرّيّة فوق كلّ شيء، إمّا ينكر القيم وإمّا لا يتمسّك بها إلاّ موقّتًا (تسامح نابع من تلف القيم)».

«إنْ نحن توقّفنا (على درب كلاّ)، فليس مراعاةً للآخرين وإنّما مراعاةً لأنفسنا». *(لا للذات، نعم للآخرين!)*

*

مسرحيّة.

(د). ــ المُحزن يا يانيك أنّ ذلك كلّه يجعلنا نشيخ. فأبدًا، أبدًا، نحن لن نكون أطفالاً بعد اليوم. يمكننا الموت الآن وقد قمنا بجولة استطلعنا خلالها ما هو الإنسان. (القتل هو الحدّ الفاصل).

ــ كلاّ يا يانيك، إذا كان الحلّ الوحيد هو الموت، فنحن لسنا إذًا في الدرب الصحيحة. فالدرب الصحيحة هي تلك التي تودي إلى الحياة.

ــ لقد حملنا بؤسَ العالم، وفي هذا كبرياءٌ ستعاقَب.

ــ انتقلنا من قصص الحبّ الطفوليّة، إلى تلك العشيقة الأولى والأخيرة التي هي الموت. لقد عشنا بسرعةٍ كبيرةٍ جدًّا. نحن لسنا بشرًا.

*

بؤس هذا القرن. منذ وقت ليس ببعيد، كانت الأفعال السيّئة هي التي تتطلّب تبريرًا. اليوم، هي الأفعال الجيّدة.

*

رواية. «إذا كنت أحبّها، فأنا أرغب في أن تعرفني كما كنت. إذ إنّها تظنّ أنّ هذه الرأفة الرائعة... ولكن لا، إنّها استثنائيّة».

*

ردّ فعل؟ إذا كان الأمر يتعلّق بإرجاع التاريخ إلى الوراء، فأنا لن أصل أبدًا إلى حيث وصلوا ــ حتى فرعون.

*

دو فو. «كنت قد وُلدت لتدمير ذاتي».

كما سبق. «سمعت عن رجلٍ أُصيب باشمئزازٍ فظيعٍ من المحادثة التي لا تُحتمَل مع بعضٍ من أقربائه... فقرّر فجأة أن يمتنع عن الكلام» (مسرحيّة).

ماريون بشأن دو فو (ص ١٣٩) ٢٩ عامًا من الصمت. جُنّت امرأته. رحل أولاده. بقيت ابنته. حمّى، هذيان. يحكي. ومن ثم، يحكي غالبًا، ولكن قليلاً مع ابنته، «ونادرًا جدًّا مع شخصٍ آخر».

*

المزمور XCI: «الربّ ملجأي وحصني. فهو من يحفظك من فخاخ الصيّادين ومن الطاعون القاتل... فلا تخشَ غياهبَ الظلمات، ولا السهامَ الطائرة نهارًا، ولا الطاعونَ المتنقّل في الظلّ، ولا الوباءَ الضارب في الظهيرة».

*

الوحدة الكاملة. في مرحاض محطّةٍ كبيرة، عند ساعةٍ مبكرة[1].

*

رجل (فرنسيّ؟)، تقيٌّ عاش حياته كلّها في الخطيئة (لا يقرُب الذبيحة المقدّسة، لم يقترن بالمرأة التي ساكنها). ولأنّه لم يكن يستطيع تحمّل فكرة هلاك نفسٍ واحدة، كان يريد أن يهلك هو أيضًا.

«إنّه ذاك الحبّ الأكبر من كلّ ما عداه: حبّ الإنسان الذي يهب روحه من أجل صديق».

*

ميرلو ـــ بونتي[2]. تعلُّم القراءة. يشتكي من كونه قد قُرِئ ـــ وفُهِمَ، بشكلٍ سيّئ. إنّها شكوى من النوع الذي كنت أميل إليه ربّما فيما مضى. اليوم، أعرف أنّها غير مبرّرة. لا خطأ في التفسير.

الدهاة الفاضلون في مبادئهم. حقيقيّون. وإنّما عمليًّا وحاليًّا، أنا أفضّل فاسقًا لا يقتل أحدًا على طهرانيّ يقتل الجميع. وما لا أستطيع تحمّله فوق كلّ شيء، هو فاسقٌ يريد قتل الجميع.

---

(١) أضيفت هذه الملاحظة باليد فوق المطبوعة الأولى.
(٢) كان قد أصدر لتوّه *إنسانيّة وإرهاب*، وقد تلت هذا الإصدار القطيعة ما بين ميرلو ـــ بونتي وكامو. (مراجعة ميرلو بونتي حيًّا، لسارتر، ص ٣١٣).

(م. ب.) أو نموذج الإنسان المعاصر: ذاك الذي يحصي الضربات. إنّه يشرح أنّه ما من أحدٍ محقٌّ البتّة، وأنّ الأمر ليس بتلك البساطة (آمل ألاّ يكون قد تكبّد عناء هذا البرهان من أجلي أنا). ولكنّه يهتف بعد حين بأنّ هتلر مجرمٌ وستكون كلّ مقاومةٍ ضدّه محقّة. إن لم يكن أحدٌ محقًّا، فلا ينبغي إذًا إصدار أحكام. إذ ينبغي أن نكون *اليوم* ضدّ هتلر. لقد أحصينا الضربات. ونواصل.

*

لم يعد الفعل مبرَّرًا من الآن فصاعدًا، لم يعد الفعل مبرَّرًا إلاّ لأهدافٍ محدودة. هكذا يتكلّم الإنسان المعاصر. هناك تناقض.

*

دوينجر[1] (في معسكر في سيبيريا). «لو كنّا بهائم، لكان انتهى كلّ شيء منذ زمنٍ طويل، لكنّنا بشرٌ».

كما سبق. ملازم أوّل، عازف بيانو يعيش من أجل فنّه. يصنع آلة بيانو خرساء بواسطة ألواح مأخوذة من صناديق خشبيّة. يعزف من ستّ إلى ثماني ساعات في اليوم. يسمع كلّ نوتة. وعند بعض المقاطع الموسيقيّة، يحلو وجهه.

هذا ما سنفعله *جميعًا*، عند الحاجة.

---

(١) مراجعة إدوين إريك دوينجر: *يوميّاتي في سيبيريا وما بين الحمر والبيض*. دار بايّيو، ١٩٣١.

كما سبق. خلال الحرب البيضاء. في مؤخّرة القطار. يدخل (د) ورفيقه إلى مقصورة حيث يوجد ضابط ضخم محموم العينين. أمامه، أحدهم ممدّد على المقعد، شكلٌ مُغَطًّى بمعطف. يهبط الليل. ينير القمر المقصورة. «افتحوا أعينكم أيّها الإخوة. سوف ترَون مشهدًا، كسبتموه». يسحب المعطف على مهل: امرأة شابّة عارية ذات جمال رائع جدًّا ومتناسق جدًّا... انظروا، يقول الضابط. سوف يمنحكم هذا قوًى جديدة، وسوف تفهمون لمَ نحارب لأنّنا نحارب أيضًا من أجل الجمال، إنّما *لا أحد يقول ذلك*».

*

دو باتاي بشأن *الطاعون*. كان ساد أيضًا يطالب بإلغاء عقوبة الإعدام، أي القتل *الشرعيّ*. السبب: للقاتل أعذاره في أهواء الطبيعة المولهة. أمّا القانون، فلا.

*

دراسة عن (ج.)[1]: (ج.) كفكر مناقض لمالرو. والاثنان يعيان ما يشكّله الفكرُ الآخر من إغراء. عالم اليوم هو حوار (م.) و(ج.).

*

مسرحيّة. يانيك متوجّهًا نحو شخص آخر هو القاتل.

---

(١) جان غرونييه دون شكّ.

يانيك ــ ربّما. إلاّ أنّ ذلك سينتزع الحبّ منّا.

القاتل ــ مَن قال؟

يانيك ــ دورا.

القاتل ــ دورا امرأة والنساء لا يعرفن ما هو الحبّ... ذلك الانفجار الرهيب حيث سأضمحلّ، هو انفجار الحبّ نفسه.

*

أيّام موتنا[١]. ص٧٢ ــ ١٢٥ ــ ١٣ ــ ١٩٠.

(ع. ا.) ١٥ ــ ٦٦.

*

الإبقاء في ما يخصّ العنف على طابع *القطيعة*، الجريمة ــ أي عدم قبول العنف إلاّ متّصلاً بمسؤوليّة *شخصيّة*. فيما عدا ذلك، يكون *بالترتيب* ــ إمّا القانون وإمّا الميتافيزيقيا. *فلا* يعود قطيعةً. إنّه يتفادى التناقض. والمفارقة أنّه يمثّل قفزةً في عالم الراحة. *لقد جعلنا العنف مريحًا*.

*

صديق (م. د.) الذي يذهب ككلّ الأيّام إلى المقهى الصغير في شارع دوفين حيث له عاداته ــ والذي يجلس إلى الطاولة نفسها

---

(٢) *أيّام موتنا*، لدافيد روسّيه. (ع. ا.) تعني ولا شكّ *عالم الاعتقال* للكاتب نفسه.

ليتفرّج على لاعبي الـــ «بولوت» [لعبة ورق فرنسيّة] أنفسهم. لا يحمل اللاعب الذي يجلس هو من ورائه إلاّ ورق ديناري. «للأسف، يقول صديق (م. د.)، لا ورقة رابحة بينها». ثم يموت فجأة.

*

كما سبق. مستحضرة الأرواح العجوز التي فقدت ولدها في الحرب: «حيثما ذهبتُ أجد ولدي في أثري».

كما سبق. حاكم المستعمرات العجوز الذي يقف منتصبًا كرمح ويريد أن يُدعى سيّدي الحاكم. يقوم بأبحاث لإيجاد صلة بالرزنامة الجيورجيّة. لا يتحمّس إلاّ بشأن موضوع واحد، هو عمره: «٨٠ عامًا! ولا كأس كحول أبدًا، انظروا!». فيثب حينها عدّة مرّات في مكانه، وهو يرفس مؤخّرته بقدميه.

*

بالانت (ح. ف.)[١]: «النزعة الإنسانيّة هي اجتياح النفس الكاهنة لأرض الشعور... إنّها البرودة الثلجيّة لسيادة النفس».

*

---

(١) ج. بالانت، هو فيلسوف عرفه لويس غييّو وجان غرونييه. (ح. ف.) تشير إلى: *الحساسيّة الفردانيّة*، وهو عمل من تأليف بالانت، ص ٤١، دار ألكان ١٩٠٩.

يأخذون علينا صنع أناس مجرّدين، لكنّ الإنسان الذي يشكّل نموذجًا بالنسبة إلينا مجرّدٌ ــ أنّنا نتجاهل الحبّ، لكنّ (الإنسان الذي يشكّل نموذجًا بالنسبة إلينا) عاجز عن الحبّ، إلخ، إلخ.

*

لوترِيامون: كلّ مياه البحر لن تكفي لغسل بقعة دمٍ فكريّة.

*

قصّة قصيرة أو رواية عن العدالة. يتعرّض للتعذيب، ويبقى خمسة أيّام واقفًا على قدميه دونما طعام أو شراب، مع منعه من الاتّكاء، إلخ، إلخ. يأتي من يساعده على الفرار. فيرفض: لا قوّة له. البقاء يتطلّب منه مجهودًا أقلّ. سوف يتعرّض للتعذيب مجدّدًا وسوف يموت.

*

ليل ــ سور ــ سورغ. غرفة كبيرة مشرّعة على الخريف. خريفيّة هي نفسها بأثاثها ذي الزينة المتعرّشة الملتفّة، وبورق الشجر اليابس الوالج إلى الغرفة تدفعه الريحُ إلى ما تحت النوافذ ذات الستائر المطرّزة بالسرخسيّات.

*

عندما غادر (ر. ك.) مخبأ المقاومين في أيّار/مايو ١٩٤٤ للذهاب إلى إفريقيا الشماليّة، غادرت طائرةٌ جبالَ الألب السفلى وحلّقت ما فوق «دورانس» خلال الليل، فشاهد طوال الجبال نيرانًا أوقدها رجالُه لكي يلقوا عليه تحيّة وداعٍ أخيرة.

قضى الليلة في كالفي (انفجار الأحلام). في الصباح استيقظ ورأى شرفةً ملأى بأعقاب السجائر الأميركيّة. بعد أربعة أعوام من الكفاح ومن صرّ الأسنان، انفجرت الدموع فبكى خلال ساعة كاملة أمام أعقاب السجائر.

*

المناضل الشيوعي العجوز الذي يرى ما يراه ولا يعتاد: «لا أستطيع أن أشفى من قلبي».

*

بايل: أفكارٌ متفرّقة حول المذنّب.

«لا ينبغي أن نحكم على حياة إنسان من خلال ما يؤمن به، أو ما ينشر في كتبه».

*

الواشي المتمِّم عمله على أكمل وجه. عدّة أنواع من الحبر. أسطر مخطّطة. أسماء مكتوبة بشكل دائريّ.

*

كيف يمكن شرح أنّ طفلاً فقيرًا قد يشعر بالعار، من دون أن يشعر بالحسد.

*

المتسوّل العجوز متوجّهًا إلى إيليانور كلارك: «ليس الأمر أنّنا إنسان سيّئ، إلاّ أنّنا نفقد النور».

*

سارتر أو الحنين إلى علاقة حبّ كونيّة.

*

رافاشول: (استجواب): «ينبغي أن تختفي كلّ العوائق، كلّها، من أمام أولئك الذين يوفّرون الحقيقة، البداهة، وسعادة البشريّة، ومن ثم، إذا لم يبقَ على الأرض إلاّ بضعة أناس، فسيكون هؤلاء على الأقلّ سعداء».

كما سبق. (إعلان أمام هيئة المحكمة): «أمّا بشأن الضحايا البريئة التي أوقعتُها، فإنّي نادم بكلّ صدق. أنا نادم بشكلٍ خاصّ لأنّ حياتي كانت ملأى بالمرارة».

شهادة شاهِدٍ (شومارتان): «لم يكن يحبّ النساء، ولم يكن يشرب إلاّ الماء مع قليل من عصير الليمون».

*

فينيي (رسائل): «النظام الاجتماعي سيّئ دائمًا؛ من الممكن فقط تحمّله، من حين إلى حين؛ من سيّئ إلى قابل للتحمّل، لا يستأهل الشجار نقطة دم واحدة». ـ كلاّ، إن لم يكن القابلُ للتحمّل يستأهل سفكَ الدماء، فهو على الأقلّ يستحقّ جهد حياة بأكملها.

وحدانيًّا ضمن المجموعة، الفردانيّ تكريم للفرد.

*

سانت ـ بوف: «لطالما اعتقدت أنّنا لو بحنا لدقيقةٍ واحدة بما نفكّر، لانهارَ المجتمعُ».

*

(ب.) كونستان (نبيّ!): «للعيش بارتياح، علينا أن نبذل تقريبًا العناءَ نفسه الذي نبذله في حكم العالم».

*

تكريس الذات من أجل البشريّة: بحسب سانت ـ بوف، نحن نرغب حتى النهاية بأداء دورٍ يستدعي التصفيق.

*

ستندال: «ما كنت لأفعل شيئًا لأجل سعادتي الخاصّة طالما أنّي لن أتعوّد على معاناتي الناتجة عن إحساسي بالضيق داخل روحٍ».

*

بالضبط يقول بالانت، إن كانت هناك حقيقة واحدة وكونيّة، فلا حاجة لوجود الحرّيّة.

*

١٤ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٤٧. لا متّسع من الوقت. وحيدٌ وقواي كلّها مشدودة في هواءٍ جافّ.

*

١٧ أكتوبر/تشرين الأوّل. البداية.

*

كما لو كان على الإنسان دائمًا أن يختار بشكل مطلق، ما بين الهوان والعقاب.

*

للأطفال المرضى. غرفة صغيرة بسقفٍ واطئ، مقفلة كلّيًّا، شديدة السخونة ـ ملأى بروائح المَرق الدهنيّ والضمادات... إغماءة.

*

هناك الأفعال المسيحيّة والأفعال المدروسة.

*

كتابة كلّ شيء ـــ كما يأتي.

*

يمكننا فعل كلّ شيء على درب الأفضل، فهمُ كلّ شيء، والتحكّم من ثم بكلّ شيء. إنّما لن يمكننا أبدًا إيجاد أو ابتكار قوّة الحبّ التي انتزِعت منّا إلى الأبد.

*

عقوبة الإعدام. يُنسَب إليّ أنّي ضدّ كلّ عنف، أيًّا كان[1]. ربّما كان أيضًا ذكيًّا جعلي أعترض على هبوب الريح دومًا من الاتّجاه نفسه.

*

لا أحدَ مذنبٌ بشكلٍ مطلق، لا يمكننا إذًا إدانة أحدٍ بشكلٍ مطلق.
لا أحد مذنب بشكلٍ مطلق ١) في نظر المجتمع ٢) في نظر الفرد.
ثمّة ما يندرج في داخله، في باب الألم.

هل الموت هو العقوبة المطلقة حقًّا؟ كلاّ، بالنسبة إلى المسيحيّين. إلاّ أنّ العالم هذا ليس مسيحيًّا. أليست الأشغال الشاقّة أسوأ؟ (بولهان). لست أدري. إنّما يوفّر السجن فرصة اختيار الموت، إلاّ إذا كنّا نفضّل، كسلاً، أن ينفّذ العملَ سوانا. لا يترك

(١) مراجعة الردّ على إمانوييل داستييه دو لا فيجوري. *حالتات*، ص ١٨٤.

الموتُ أيّة فرصة لاختيار السجن. روشفور أخيرًا: «للمطالبة بإلغاء عقوبة الإعدام، ينبغي أن تكون من شاربي الدماء».

*

جيلٌ من المسنّين. «شابّ منطلقٌ في العالم هكذا، ثريّ من الخارج إنّما فقيرٌ من الداخل، يجهد بلا جدوى لاستبدال الثراء الداخلي بالخارجي، يودّ تلقّي كلّ شيء من *الخارج*، مشابهًا لأولئك المسنّين الذين يسعون إلى استمداد قوًى جديدة من نَفَس الفتيات الشابّات». (أقوال مأثورة حول الحكمة في الحياة).

سقراط وقد تعرّض لرفسة قدم. «لو كان ضربني حمارٌ، فهل كنت لأرفع شكوى بحقّه؟» (ديوجين لاييرس، II، ٢١).

*

هاين (١٨٤٨): «لقد أصبح ما يسعى إليه العالمُ اليوم ويتمنّاه، غريبًا على قلبي بشكلٍ كامل.

*

الشجاعة، بحسب شوبنهاور، «الفضيلة البسيطة لملازم أول».

*

في الكتاب الرابع من كتاب *إميل*، يشيد روسّو بالاغتيال (الملاحظة الواحدة والعشرون) لأسباب متعلّقة بالشرف.

«لتلقّي تكذيبٍ ومقاساة إهانةٍ، تأثيرات مدنيّة لا يستطيع أيّ عاقل استدراكها، ولا تقدر أيٌّ محكمة أن تنتقم للشخص المُهان. فقصورُ القوانين يعيد إلى هذا الأخير استقلاليّته؛ فيكون بالتالي وحده القاضي ما بين صاحب الإهانة ونفسه؛ وهو وحده مفسّر القانون الطبيعيّ ومشرّعه؛ عليه إنصاف ذاته وهو وحده من يمكنه أن يفعل... لستُ أقول إنّه ينبغي أن يذهب إلى القتال، فهذا تصرّف جامح؛ ما أقوله هو أنّ عليه إنصاف ذاته وأنّه الوحيد القادر على ذلك. لولا كلّ ذلك الكمّ من المناشير غير المجدية ضدّ المبارزات، لكنت أجبتُ، لو كنتُ حاكمًا، بأنّه لن يصدر البتّة تكذيبٌ أو إهانةٌ ضمن ولايتي، وذلك بفضل *وسيلة بسيطة جدًّا لن تتدخّل المحاكم فيها أبدًا*. أيًّا يكن، يعرف إميل في مثل حالة مماثلة العدالة التي عليه تحقيقها لذاته، والمثالَ الذي عليه تحقيقه من أجل أمان الناس الشرفاء. إذ قد لا يرجع إلى الرجل الأكثر حزمًا منع تعرّضه إلى الإهانة، إنّما يعود إليه منعُ المفاخرة طويلاً بكونه قد أُهين».

*

بالنسبة إلى شوبنهاور: الوجود الموضوعيّ للأشياء، «تصويرها»، ممتعٌ دائمًا، في حين أنّ الوجود الذاتيّ، والابتغاء، وجعٌ دائم.

«كلّ الأشياء جميلة في مرآها وقبيحة في كيانها، من هنا الوهم الشائع جدًّا الذي يفاجئني دومًا، حول الوَحدة الخارجيّة لحياة الآخرين».

*

شوبنهاور. «التمتّع بالمجد وبالشباب في آنٍ واحد، كثيرٌ على إنسان فان».

*

يُغرق داوود يهوه بالتوسّلات لأنّ ولده مريض. لكن، ما إن يتوفّى هذا الأخير حتى يفرقع بأصابعه وينسى الأمر.

*

فولتير: «لا ننجح في هذا العالم إلاّ بحدّ السيف ونموت والسلاح بيدنا».

*

بيتشورين، مهاجر روسيّ من القرن التاسع عشر أصبح راهبًا في الغربة، وقد هتف قائلاً: «يا لنشوة أن نكره وطننا وأن ننتظر بحماسِ زواله».

الأنتليجنسيا والتأويل *التوتاليتاري* للعالم.

متآمرو بتراشيفسكي[1]: إنّهم مثاليّون. «تحرير الفلاّحين من دون عمل ثوريّ» (تأثير جورج ساند). حبّ البعيد وليس القريب. «طالما أنّي لم أجد شيئًا يستحقّ أن أتعلّق به، لا بين الرجال ولا بين النساء، فإنّي أكرّس ذاتي لخدمة الإنسانيّة» (بتراشيفسكي). (ما عدا سبريشنير، نموذج ستافروغين).

*

اشتراكيّة بيلانسكي الفردانيّة. ضدّ هيغل من أجل الكائن البشريّ. مراجعة «الرسائل إلى بوتكين»: «إنّ مصير الإنسان، الفرد، الشخص، هو أكثر أهمّيّةً من مصير العالم بأكمله ومن صحّة أمبراطور الصين، أي من العموميّة الهيغليّة».

كما سبق. «إنّي أحيّي قبّعتك كفيلسوف (إلى هيغل). إنّما، مع كلّ ما يتوجّب من احترام حيال ماديّتك الفلسفيّة، يشرّفني أن أوضح لك ـ إن حدث أن بلغتُ الدرجةَ العليا من سلّم التقدّم ـ أنّي سأطالب بأن يتمّ إطلاعي على كلّ الكائنات التي حوّلتها شروطُ الحياة والتاريخ شهيدةً، وعلى كلّ ضحايا الصدفة والتطيّر ومحاكم التفتيش وفيليب الثاني، إلخ... وإلاّ فإنّي سوف أدحرج نفسي من فوق هذا المنصب العالي، لكي أسقط على رأسي. أنا لا أريد

---

(١) قراءات لـ *العادلون وقاتلون مرهفون*.

السعادة التي تُمنَح لي إن لم أطمئنّ قبلاً على كلّ فردٍ من إخوتي في الدم، أبناء لحمي وعظامي...».

«يُقال إنّ الشِقاق هو شرط التناغم؛ قد يكون ذلك مفيدًا ولذيذًا جدًّا بالنسبة إلى الشغوف بالموسيقى، ولكنّه بالطبع أقلّ بكثير بالنسبة إلى الذي يُعهد إليه عند توزيع الأدوار، بدور الشقاق».

*

بتراشيفسكي والمثاليّون.

بيلانسكي والاشتراكية الفرديّة.

دوبروليوبوف ـــ متقشّف، متصوّف ومتورّع.

يفقد الإيمان *أمام الشرّ* (مارسيون).

تشيرنيشيفسكي: «ما العمل».

بيسّارييف. «حيازة حذاء أفضل من شكسبير».

هيرزن ـــ باكونين ـــ تولستوي ـــ دوستويفسكي.

الشعور بالذنب لدى المثقّفين المنفصلين عن الشعب. «النبيل النادم» (على الخطيئة الاجتماعيّة).

نيتشاييف والعقيدة الثوريّة (حزب مركزيّ تقول البولشفيّة).

«الثوريّ فردٌ موسوم. فلا مصالح ولا أعمال ولا مشاعر شخصيّة لديه، لا روابط، لا شيء خاصّ به ولا حتّى اسمه. كلّ ما فيه مكرّسٌ لمصلحة وحيدة حصريّة، لفكرة وحيدة، لشغف وحيد: الثورة».

كلّ ما يخدم الثورة أخلاقيّ.

تشابه مع دزيرجنسكي، مبتكر جهاز الاستخبارات «تشيكا».

باكونين: «شغفُ التدمير مبدع وخلّاق».

كما سبق. ثلاثة مبادئ للتطوّر البشريّ:

الإنسان الحيوان

الفكر

التمرّد.

*

السبعينيّات. ميكايلوفسكي، اشتراكيّ فردانيّ.

«إذا دخل الشعب الثوريّ فجأة إلى غرفتي وهو ينوي تحطيم تمثال بيلنسكي وتدمير مكتبتي، فإنّي سأقاتله حتى النقطة الأخيرة من دمي».

*

مشكلة الانتقاليّة. هل كان على روسيا المرور في مرحلة الثورة البورجوازيّة والرأسماليّة، كما كان منطق التاريخ يريد؟ حول هذه النقطة، وحده تكاتشيف (مع نتشاييف وباكونين) هو من سبق لينين. فقد كان ماركس وأنغلز من المنشِفيك، وهما لم يريا إلاّ الثورة البورجوازيّة القادمة.

مناقشات الماركسيّين الأوائل المتواصلة حول ضرورة التطوّر الرأسمالي في روسيا، واستعداداتهم لاستقبال هذا التطوّر. لقد اتّهمهم تيكوميروف، العضو القديم في حزب إرادة الشعب، بأنّهم «أبطال العمليّات الرأسماليّة الأولى».

*

نبوءة ليرمونتوف.

منبثقًا من المقابر الجماعيّة الهائلة.

يأتي الطاعون ليجوب الأدغال المنكوبة.

مراجعة بِردِيايف، ص ١٠٧.

*

شيوعيّة دوستويفسكي الروحانيّة هي: مسؤوليّة الجميع الأخلاقيّة.

*

بِرديايف: «من المستحيل وجود جدليّة مادّيّة، إذ تفترض الجدليّة وجود اللوغوس (العقل الأول) والفكر؛ الجدليّة ليست ممكنةً، إلاّ إذا كانت جدليّة الفكر والروح. كان ماركس ينقل أملاك الروح إلى أمبراطوريّة المادّة».

في النهاية، إنّ إرادة الطبقة العاملة هي ما يغيّر العالم. هنالك إذاً، حقّاً، في الماركسيّة فلسفة وجوديّة تشجب كذبَ الموضوعانيّة وتؤكّد انتصارَ النشاط الإنسانيّ.

*

تعني كلمة *فوليا* بالروسيّة الإرادة والحرّيّة، *بشكل متساوٍ*.

*

سؤال إلى الماركسيّة:

«هل حقّاً أنّ الإيديولوجيا الماركسيّة هي انعكاس النشاط الاقتصادي كما هي الحال بالنسبة لكلّ الإيديولوجيّات الأخرى، أم أنّها تدّعي اكتشاف الحقيقة المطلقة، المستقلّة عن الأشكال التاريخيّة للاقتصاد والمصالح الاقتصاديّة». بمعنى آخر، أهي براغماتيّة أم واقعيّة مطلقة؟

يؤكّد لينين أسبقيّة السياسيّ على الاقتصادي (بالرّغم من الماركسيّة).

لوكاش: إنّ المعنى الثوريّ هو معنى الشمول. تصوّر عالمٍ شامل حيث النظريّة والتطبيق محدّدان واضحان.

معنىً دينيّ بحسب بِردیایف.

*

الموجود في روسيا هو حرّيّة جماعيّة «شاملة»، وليس شخصيّة. ولكن، ما هي الحرّيّة الشاملة؟ نكون أحرارًا من شيء ما ـ بالنسبة إلى. ظاهريًّا، الحدّ الفاصل هو الحرّيّة حيال الإله. حينها نرى بوضوح بأنّها تعني الاستعبادَ بالنسبة إلى الإنسان.

*

يُقارب بِردیایف ما بين بوبيدونوتسيف (وكيل السينودوس الذي أدار الأمبراطوريّة الروسيّة إيديولوجيًّا) ولينين. هما الاثنان *عدميّان*.

*

فيرا فيغنر: «المطابقة ما بين الأفعال والأقوال، مطالبة الآخرين بمطابقة أفعالهم وأقوالهم... ينبغي أن يكون هذا شعار حياتي».

كما سبق. «بالنسبة إليّ، لم يكن أبدًا من المقبول تشكيل جمعيّة سرّيّة داخل مجتمع هو نفسه سرّيّ».

تغذّي الطبقات الدنيا ميزانيّة القيصر بنسبة ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة.

*

كان كلّ عضوٍ في «إرادة الشعب» يُقسم رسميًّا، بتكريس قواه للثورة، وبأن ينسى من أجلها روابط الدم، الميول الذاتيّة، الحبّ والصداقة...

*

مسرحيّة *دورا*: إن كنت لا تحبّ شيئًا، فلا يمكن أن ينتهي الأمر جيّدًا.

*

كم كان عدد أعضاء «إرادة الشعب»؟ ٥٠٠. الأمبراطوريّة الروسيّة؟ أكثر من مائة مليون.

*

لدى صعودها إلى منصّة الإعدام بمعيّة رفاقها في الكفاح، قبّلت صوفيا بِروفسكايا ثلاثةً منهم (جليابوف، كلباتشيش وميكايلوف)، دون الرابع، ريساكوف، الذي كان قد قاتل جيّدًا، لكنّه حفاظًا على حياته، كشف عنوانًا، متسبّبًا بمصرع ثلاثة رفاقٍ آخرين. شُنق ريساكوف ومات وحيدًا.

ريساكوف هو الذي ألقى القنبلة على ألكسندر الثاني. القيصر الذي لم يُصَب بخدش، قال: «بفضل الربّ، كلّ شيء على ما يُرام». فأجاب ريساكوف: «سنرى إن كان كلّ شيء على ما يُرام». وقتلت الأمبراطور قنبلة ثانية رماها غرينفتسكي.

*

مراجعة فيرا فيغنر، ص ١٩٠، حول الوشاية.

كما سبق. ماريّا كولونيايا. اتُّهمت إثر إطلاق سراحها بأنّها خانت. فأطلقت النار على ضابط في الدرك لكي تبيّض سجلّها. حُكم عليها بالسجن. وانتحرت في كارا، مع اثنين من رفاقها، اعتراضًا على عقوبة جسديّة أُنزِلت برفيقٍ ثالث (ص ٢٣٩).

*

تذكير المسيحيّين بـــ «الأخوّة المسيحيّة». نداء إلى «كلّ الذين كانوا يجلّون تعاليم المسيح المقدّسة». «ينبغي اعتبار الحكومة القائمة وكلّ قوانينها المبنيّة على الكذب، القمع، ومنع البحث عن الحقيقة بحريَّة، غير شرعيّة ومناقضةً للمشيئة الإلهيّة وللروح المسيحيّة».

*

فيرا فيغنر: «كان ينبغي أن أعيش، أن أعيش لكي أُحاكم. فالمحاكمة تتوّج نشاطَ الثوريّ».

*

محكوم بالإعدام: «خلال حياتي كلّها، القصيرة مع ذلك، لم أرَ إلاّ السوء... أيمكننا في مثل هذه الشروط ومع حياة مماثلة أن نحبّ أيّ شيء، حتى *ما* هو خيّر؟».

*

في الثمانينيّات، أُعدم جنديٌّ قتل ملازمًا. قبل ذلك، وملتفتًا إلى كلّ اتّجاه، كان قد هتف صارخًا: «وداعًا أيّها الشمال، وداعًا أيّها الجنوب... أيّها الشرق، أيّها الغرب».

*

ما كان أحدٌ مثلي أنا متأكّدًا إلى هذا الحدّ من الاستيلاء على العالم عبر السُبل المستقيمة. والآن... إذًا، أين تُراه كان الخلل. وما الذي خار فجأةً وقرّر ما تبقّى...؟

*

واقعة صغيرة: يظنّون دومًا أنّهم قد «التقوا بي».

*

باريس ـــ الجزائر: الطائرة كأحد عناصر النفي والتجريد الحديثين. لم تعد هناك طبيعة؛ الأخدود العميق، النتوء الحقيقيّ، السيل الجارف، كلّها تختفي. ما يتبقّى هو رسمٌ ـــ مخطّطٌ.

يتّخذ الإنسانُ باختصار نظرةَ الإله. ثم ينتبه إلى أنّ الإله لا يمكنه امتلاك إلاّ رؤية مجرّدة. هذي ليست صفقة مربحة.

*

السجال ـــ كعنصر تجريد. كلّما قرّرنا اعتبار إنسانٍ عدوًّا، جعلناه مجرّدًا. إنّنا نُقصيه. فلا نودّ بعد الآن أن نعرف أنّ له ابتسامة مشعّة. لقد بات *طيفًا*.

إلخ، إلخ...

*

إذا كان لا بدّ من العودة إلى المسيحيّة من أجل تجاوز العدميّة، يمكننا إذًا متابعة التحرّك وتجاوز المسيحيّة بالهيلّلينيّة.

*

يروح أفلاطون من اللامعنى إلى العقل، ومن العقل إلى الأسطورة. إنّه يحتوي الكلّ.

*

صبيحةٌ مشرقةٌ في ميناء الجزائر. المنظر، بلون زرقة ما وراء البحار، يخترق الزجاجَ لينتشر في كلّ أرجاء الغرفة.

*

سقراط. «لا أشعر بتعاطف معك» ــ العودة من المعسكر.

نهاية الفصل الثاني. يُري العلامات:

«ما هذا؟.

ــ إنّها العلامات.

ــ أيّ علامات؟

ــ علامات حبّ البشر»[١].

*

توجد مآخذ على كتبي لأنّها لا تُبرز الجانبَ السياسي. الترجمة: يريدونني أن أتناول حياة أحزابٍ. إنّما أنا لا أتناول إلاّ حياة أفراد يواجهون آلة الدولة، لأنّي أعرف ما أقول.

*

سيصبح العالمُ أكثر عدلاً كلّما أصبح أكثر عفّة (ج. سوريل).

*

---

(١) مراجعة *العادلون*، الفصل الثالث، ص ٣٥٦ ، (طبعة لا بلياد).

في المسرح: ضرورة تفخيم الجُمل وتعقيد التركيبات الكلاميّة، من أجل التنويع.

*

مسرحيّة. دورا أو سواها: «محكومون، محكومون بأن يكونوا أبطالاً وقدّيسين. أبطالٌ بالقوّة. لأنّ ذلك لا يهمّنا، أتفهمون؟ لا تهمّنا أبدًا القضايا الوسخة لهذا العالم المسموم الأحمق، الملتصق بنا كالصمغ. ــ اعترفوا، اعترفوا أنّ ما يهمّكم هو الكائنات ووجوهها وأنّكم، وأنتم تزعمون البحث عن الحقيقة، لا تتوقّعون في النهاية إلاّ الحبّ».

*

لا تبكوا. إنّه يوم التبرئة. ثمّة ما يرتفع في هذه الساعة، إنّه شهادتنا نحن المتمرّدين.

*

رواية. الرجل الذي قبضت عليه الشرطة السياسيّة لأنّه تقاعس عن الاهتمام بجواز السفر. كان يعرف ذلك. ولم يفعل، إلخ...

*

«كانت لديّ كلّ مكوّنات الترف. ها إنّي عبدٌ إلى الأبد... إلخ».

*

روسّيه. ما يقفل فمي هو أنّني لم أُنقل إلى معسكرات الاعتقال. لكنّني أعرف أيّة صرخة أكتم وأنا أقول ذلك.

*

المسيحيّة هي ما يفسّر البلشفيّة. فلنحفظ التوازن لئلاّ نصبح قتلة.

*

الأدب المعاصر. أن تصدمَ لهُو أسهل من أن تُقنع.

*

(ر. ك.). يطلع النهار في قطار الاحتلال. الألمان. تُسقط امرأة قطعة نقودٍ ذهبيّة. يخفيها (ك.) بقدمه ثم يعيدها إليها. المرأة: شكرًا. تقدّم إليه سيجارة. يقبلها. تقدّم سجائر إلى الألمان. (ر. ك.): «بعد التفكير يا سيّدتي، أُعيد إليك سيجارتك». ينظر إليه ألمانيّ. النفق. يدٌ تشدّ على يده. «أنا بولونيّ». عند الخروج من النفق، ينظر (ر. ك.) إلى الألمانيّ. عيناه مغرورقتان بالدموع. في المحطّة، يلتفت الألمانيّ إليه عند خروجه ويغمزه. يجيبه (ك.) بابتسامة. «أوغاد»، يقول لهما فرنسيٌّ باغت المشهد.

*

شكل وتمرّد. إعِطاء شكلٍ لما لا يملك شكلاً، ذلك هو هدف كلّ عمل أدبيّ. لا يوجد إذًا إبداع فحسب، وإنّما تصحيح (انظر أعلاه). من هنا أهمِّيّة *الشكل*. ومن هنا ضرورة أسلوب لكلّ موضوع لا يكون مختلفًا تمامًا بما أنّ لغة المؤلِّف ملكه. وبالضبط، فإنّها ما يبرز لا وحدة الكتاب هذا أو ذاك فحسب، وإنّما وحدة عمله ككلّ.

*

لا وجود للعدالة، ليس هناك إلاّ قيود.

*

الفوضويّ التولستوويّ في زمن الاحتلال. كتب على بابه: «أهلاً بكم من حيثما جئتم». أعضاء الميليشيا هم الذين دخلوا.

*

المعجم. الإنسانيّة: إنّها تُكتب بشكلٍ عامّ مع هـ (هومانيتي). إنّما هنا، نحن ضدّ ذلك... معنى مشتقّ: *ذريعة*. المرادفات: ممسحة ـ موطئ قدم ـ تغرغر ـ محطّة أخيرة.

تغيير الرأي: تمرين أدبيّ رفيع يقوم على رفع العلم بعد البصق عليه، العودة إلى الأخلاق عبر دروب الانحراف، وإلباس القراصنة الأسبقين خفّ التقاعد. نبدأ بدور مرتكب الشغب وننتهي

بدور الحائز على وسام الشرف. لو كان فقط بإمكان ٨٠ بالمئة من كتّاب القرن العشرين ألاّ يوقّعوا بأسمائهم، لهتفوا وحيّوا ربّما اسم الإله.

*

تراجيديا. يُرتاب بخيانته. وتكفي هذه الريبة لإرغامه على قتل نفسه. إنّه الإثبات الوحيد الممكن.

*

لايزن. ثلوج وسُحب في الوادي حتى القمم. فوق هذا البحر الجامد القطنيّ، تحلّق أسراب غربان الزرع الشبيهة بالنوارس السوداء، متلقّيةً على أجنحتها نفناف الثلج.

*

تولستوي: «كانت ريحٌ غربيّة قويّة ترفع غبارَ الطرقات والحقول على شكل أعمدة، تُحني قمم الزنبق العالي وأشجار البتولا في الحديقة، وتحمل بعيدًا الوريقات الصفراء المتساقطة» (*طفولة*).

كما سبق. لو أُعطي لي بعدُ أن أرى من جديد تلك الابتسامة (والدته) في ساعات الحياة المؤلمة، ولو للحظة واحدة، فإنّي لن أعرف ربّما الألم».

*

لم أنسحب من العالم لأنّ لي فيه أعداءً، وإنّما أصدقاء. وليس لأنّهم كانوا يسيئون إليّ كما في العادة، وإنّما لأنّهم كانوا يظنّونني أفضل ممّا أنا عليه. فهذي كذبة لم أستطع تحمّلها.

*

فضيلة قصوى تقوم على قتل الأهواء. فضيلة أكثر عمقًا تقوم على موازنتها.

*

كلّ ما هو اليوم قيّمٌ في الذهن المعاصر، مقيمٌ في اللاعقلاني. ومع ذلك، فإنّ السائد في السياسة يبشّر ويقتل وينظّم باسم العقل.

*

قد يكون السلام هو الحبّ بصمت. وإنّما، هناك الوعي والشخص؛ ينبغي إذًا التكلّم. ويصير الحبّ جحيمًا.

*

الممثّل (ب. ب.)، الكسول والمؤمن، يستمع في سريره إلى القدّاس في الإذاعة. هو لا يحتاج إلى النهوض. إنّه في وضع قانونيّ.

*

لودميللاّ بيتوييف: «يزعجني الجمهور بالأحرى. وعندما لا يحضر، يكون الوضع ممتازًا». وهي تحكي عن (ج. ب.): «لم يتوقّف أبدًا عن إدهاشي».

*

بحسب المصريّين، على العادل أن يتمكّن بعد موته من القول: «لم أؤذِ أحدًا». وإلاّ، فإنّه العقاب.

*

الاستنتاج هو أنّ التاريخ لا يستطيع بلوغ غاياته، إلاّ بوسيلة سحق الانتصارات الروحيّة. لقد بتنا مرغمين على...

*

بالنسبة إلى المسيحيّين، التجلّي هو بدء التاريخ. بالنسبة إلى الماركسيّين، إنّه نهايته. دينان اثنان.

*

خليجٌ صغير ما قبل «تونيس»، عند أقدام السلسلة الجبليّة. نصف دائرة كاملة. عند هبوط المساء، تطفو غبطةٌ قلقة فوق المياه الساكنة. حينئذٍ نفهم أنّ الإغريق إنّما شكّلوا فكرة اليأس والمأساة من خلال الجمال دومًا وما يُثيره من ضيق. إنّها ذروة المأساة. في المقابل، صنعت الروح المعاصرة يأسها من القبح والأوسطيّة.

ما يريد شار قوله من دون شكّ: بالنسبة إلى الإغريق، الجمال هو في البدء. وبالنسبة إلى أوروبيّ، هو الهدف الذي نادرًا ما يتمّ بلوغه. أنا لست حديثًا.

*

حقيقة هذا القرن: بقدر ما نحيا تجارب كبرى، بقدر ما نصبح كَذَبة. قول ما هو الأكثر عمقًا فيّ، والتخلّص من كلّ ما تبقّى.

الدفتر رقم VI

أبريل/نيسان ١٩٤٨

مارس/آذار ١٩٥١

في نهاية القرن التاسع عشر، غادر أنطوان أورلي، كاتب العدل في بيريغو، مدينته فجأة لكي يسافر إلى باتاغونيا حيث استقرّ. هناك، عرف كيف يستميل هنود البلاد إذ إنّه عُيّن بعد بضع سنوات، وعن طريق المودّة فقط، أمبراطورًا على أروكانيا. فكان أن صكّ عملةً جديدة، وأصدر طوابع بريديّة، ومارس أخيرًا صلاحيّات حاكمٍ شرعيّ إلى درجة أنّ حكومة التشيلي التي كانت تلك الأراضي البعيدة تابعة لها، استدعته أمام محكمة العدل التي أصدرت بحقّه حكمًا بالإعدام. ثم تحوّلت عقوبته إلى حكمٍ بالسجن لعشرة أعوام.

عند إطلاق سراحه بعد عشرة أعوام، عاد إلى باتاغونيا حيث استقبله رعاياه مجدّدًا كأمبراطور عليهم، فتنازل مرّة أخرى وقبِل اللقب. إلاّ أنّه شعر بأنّه يشيخ، ففكّر بتعيين خليفةٍ له هو ابنه لويس أورلي، يورثه العرش فيصبح أمبراطورًا يحمل اسم لويس الأوّل. لكنّ لويس أورلي رفض. فتنازل أنطوان عن العرش حينها إلى ابن أخيه آخيل أورلي، من بيريغو، ومات مكرّمًا ومبجّلاً من قِبل رعاياه. لم يكن آخيل الأوّل ينوي الالتحاق برعاياه، فذهب إلى

باريس وانخرط في المجتمع الراقي وعاش حياة بذخ وهو يقيم حفلات استقبال كأمبراطور. كانت عائداته تتأتّى عن توزيعه مناصب قنصل أروكانيا، لقاء المال. وعندما ازدادت احتياجاته، نظّم أيضًا حملات تبرّع لنشر الدين المسيحيّ من خلال بناء الكنائس والكاتدرائيّات. جمع هكذا الكثير من المال إلى درجة جعلت جمعيّة «رفقة المسيح» تتحرّك وترفع ضدّه شكوى إلى البابا. وقد لُوحِظ من ثم عدم وجود أيّ كنيسة قيد البناء في باتاغونيا، فمَثُل آخيل الأول أمام المحاكم التي أدانته. أنهى الأمبراطور المفلس حياته في حيّ مونبارناس يرتاد الحانة نفسها حيث يُعتقد أنّ الملكة رنافالو قد زارته.

*

كلّ تضحية مسيحيّة. إثبات إمكانيّة تصوّر تضحيةٍ تكون بمستوى فكرةٍ عاقلة (أي غير مسيحيّة). مأساة التوازن.

*

الفنّ الحديث. يسترجعون الغرض لأنّهم يجهلون الطبيعة. إنّهم يعيدون صنع الطبيعة، وهو أمرٌ ضروري لأنّهم قد نسوها. عندما يُصنع *هذا العمل* من جديد، سوف تبدأ السنوات الكبرى.

*

«بلا حرّيّة غير محدودة للصحافة، وبلا حرّيّة مطلقة لإقامة الاجتماعات والجمعيّات، تستحيل السيطرة على الجماهير الشعبيّة العريضة» (روزا لوكسمبورغ. الثورة الروسيّة).

*

سلفادور دو مَدَرياغا: «لن تستعيد أوروبا وعيها إلاّ عندما تستدعي كلمةُ الثورة شعورًا بالعار وليس شعورًا بالشموخ والكبرياء. إنّ البلاد التي تفاخر بثورتها المجيدة هي بلاد سخيفة وعبثيّة، بقدر ما يفاخر رجل بالتهاب زائدته الدوديّة المجيدة».

هذا صحيح بمعنى ما. وإنّما مناقشته واجبة.

*

ستندال (رسالة إلى دي فيوري، ٣٤): «إلاّ أنّ روحي نارٌ تتعذّب إن لم تضطرم».

كما سبق. «على كلّ روائيّ أن يجعلنا نصدّق *الوله الحارق*، إنّما من دون تسميته أبدًا: فذلك منافٍ للحشمة» (رسالة إلى مدام غوتييه، ٣٤).

كما سبق. ضدّ غوته. «لقد جعل غوته الشيطان صديقًا للطبيب فاوست. وبمعيّة معاونٍ بمثل تلك القوّة، قام فاوست بما فعلناه جميعًا في العشرين من العمر: لقد أغوى بائعة قبّعات».

*

لندن. أتذكّر لندن كمدينة حدائق حيث كانت العصافير توقظني صباحًا. لندن هي عكس ذلك، ورغم هذا فإنّ ذاكرتي صحيحة. عربات الزهور في الشوارع. والمرافئ. رائعة.

غاليري (ن.). بيرو وفيلاسكيز الرائعان.

أكسفورد. البناء مطليّ جيّدًا. صمت أكسفورد. ما شأن العالم بهذا المكان؟

*

صباحٌ باكر على ساحل اسكتلندا. إدينبورغ: البجع في القنوات. المدينة حول أكروبول مزوّر، غامضة وضبابيّة. أثينا الشمال أضاعت الجهات. صينيّون وماليزيّون في شارع برينسس ستريت. إنّه ميناء.

*

بحسب سيمون فايل، الأفكار المتعلّقة بروحانيّة العمل أو بالإحساس به، والمبعثرة لدى روسّو، صاند، تولستوي، ماركس، برودون، هي الأفكار المميّزة الوحيدة في عصرنا والوحيدة التي لم نأخذها عن الإغريق.

*

ألمانيا. يُنتج الشقاءُ الذي عضّ عميقًا جدًّا، استعدادًا للشقاء يُرغم على إلقاء الذات والآخرين فيه.

*

بحسب ريشوليو، وكلّ الأشياء المساوية كذلك، المتمرّدون هم دائمًا أقلّ قوّةً بالنصف من المدافعين عن النظام الرسميّ. السبب هو تبكيت الضمير.

*

كان الأب دو فوكو، وهو مبشّر بالمسيح لدى الطوارق، يجد طبيعيًّا تزويد المكتب الثاني في المخابرات الفرنسيّة بمعلومات حول *الحالة النفسيّة* لهؤلاء الطوارق أنفسهم.

*

(س. و). التناقض ما بين العلم والنزعة الإنسانيّة. كلاّ. ما بين الروح العلميّة المُسمّاة حديثة والنزعة الإنسانيّة. ــ ذلك أنّ الحتميّة والقوّة تنكران الإنسان.

«إذا كانت العدالة لا تُمحى في قلب الإنسان، فهي واقعٌ في هذا العالم. وبالتالي، فإنّ العلم هو المخطئ».

*

(س. و). الرومان هم الذين خرّبوا الرواقيّة إذ استبدلوا الحبَّ الذكوريّ فيها بالكبرياء.

*

ج. غرين: «في حياة سعيدة، تتصادف الخيبةُ النهائيّة التي تتسبّب لنا بها الطبيعةُ البشريّة، مع الموت. في أيّامنا هذه، على الناس أن يتدبّروا أمورهم لكي يعيشوا حياة كاملة وقد عرفوا تلك الخيبة»... «إنّه عصرٌ نعرف فيه الكثير، قبل أن نبلغ».

كما سبق. التفاني... «يا لعالمٍ ضاعت منه مثل تلك الصفات!».

كما سبق. «كان (العميل السرّي) يُطلق الوعود جزافًا، كما لو كان يمكن التعهّد بأيّ شيءٍ يعدو لحظة الكلام، في عالم يديره العنف».

كما سبق. «بالنسبة لغير المؤمن، إن لم يعامَل الناسُ بحسب كفاءاتهم، فليس العالم سوى فوضى، وهو مرغم على اليأس».

*

الكاتبُ محكومٌ *بالتفهّم*. إنّه لا يستطيع أن يكون قاتلاً.

*

حبّ السجن لدى المناضلين. لكي يتحرّروا من إخلاصهم.

*

جملة تقديم لـــ *المحرقة*[1].

«يغدر الأشخاص المنكوبون بحزنٍ عميق أنفسَهم عندما يكونون سعداء: فلديهم طريقة في التماس السعادة كما لو كانوا يريدون ضمّها وخنقها غيرةً»...

*

يوليو/تموز ١٩٤٨. ـــ كوم:

«ما الذي نفعله بسماء حُرمت من حبّنا

نبقى وحيدين أمام رعب أيّامنا الحقيقيّة».

*

مسرحيّة. الكبرياء. تولد الكبرياء وسط الأراضي.

*

البروفانس الجنائزيّة.

*

تُعفي المسؤوليّة تجاه التاريخ من المسؤوليّة تجاه الكائنات البشريّة. هنا تكمن راحتها.

*

---

(١) مشروع قصّة قصيرة سنعاود الوقوع عليها بالتّالي، عدّة مرّات.

تتلألأ النجوم بالإيقاع نفسه لأزيز الصراصير البرّيّة. موسيقى الأفلاك.

*

صديق (ك.). «نموت في الأربعين من رصاصةٍ أطلقناها على قلوبنا ونحن في العشرين».

*

نعيش طويلاً جدًّا.

*

في كتاب *كريتون* ، الحوار بين القوانين وسقراط مشابهة لمحاكمات موسكو.

*

الفراشات ذات اللون الصخريّ.

للريح التي تجري في الوهد ضجيجُ المياه العذبة والصاخبة.

لاسورغ مزدانة بذيل(فستان) من الزهور.

*

جنون الفضيلة الذي يهزّ هذا القرن. فالبشريّة تتصلّب من أجل إيجاد الحقيقة بعد أن أدارت ظهرَها للشكّ الذي هو في جزء منه

تواضع. وهي سوف تسترخي عندما يجد المجتمع خطأً يمكن العيش بعده.

*

يريد الفنّانون أن يكونوا قدّيسين، لا فنّانين. أنا لست قدّيسًا. نحن نبغي الاستحسان الكونيّ ولن نحصل عليه. إذًا؟

*

عنوان مسرحيّة. محاكم التفتيش في كاديكس[١]. جملة تقديم: «محاكم التفتيش والمجتمع هما آفتا الحقيقة». باسكال.

*

التمزّق لكوننا قد ضاعفنا الظلم مع الاعتقاد بأنّنا خدمنا العدالة. الاعتراف بذلك على الأقلّ، واكتشاف التمزّق الأكبر آنذاك: الاعتراف بأنّ العدالة الشاملة غير موجودة. وفي نهاية التمرّد الأشدّ فظاعةً، الاعتراف بأنّنا لا شيء. ذلك هو الألم.

*

إنّ فرصة حياتي هي أنّي لم ألتقِ، أحبب (وأخيّب) إلاّ أشخاصاً استثنائيّين. لقد عرفت الفضيلة، الكرامة، الطبيعيّ والنُبلَ لدى *الآخرين*. مشهدٌ رائع ـــ وموجِع.

*

---

(١) العنوان الأول لـــ *حالة حصار*.

غوبينو. نحن لا نتحدّر من القرد، لكنّنا نلتحق به بسرعة كبيرة.

*

متعة العيش هي ما يشتّت وما يقضي على التركيز، وهي ما يوقف كلّ اندفاعة نحو العظمة. ولكن، من دون متعة العيش... كلاّ، الحلّ غير موجود. إلاّ إذا كان يقوم على تحويل حبٍّ كبير إلى جذرٍ نعثر فيه على ينبوع الحياة، من غير أن نُعاقب بالتشتّت.

*

١ سبتمبر/أيلول ١٩٤٨.

«أنا على وشك الانتهاء من سلسلة الأعمال التي كنت أودّ كتابتها منذ عشر سنوات. لقد ساعدتني على إتقان مهنتي. اليوم، وأنا مدرك بأنّ يدي لن ترتجف، سأتمكّن من إطلاق العنان لجنوني». هكذا تكلّم الذي كان يعرف ما كان يفعله. في نهاية المطاف، المحرقة.

*

يقول دوستويفسكي: هل يستطيع رجلٌ واعٍ أن يحترم نفسَه بشكلٍ أو بآخر؟

*

(د.): «ثم لو حدث أحيانًا أن كان الامتياز البشريّ قادرًا، أو بالضبط مجبرًا حتى، أن يكمن في الرغبة بالضرر وليس الفائدة».

*

«نحن لا نحيا حقًّا إلاّ بضع ساعات من حياتنا...».

*

الليل فوق قمّة فوكلوز. تنحدر درب التبّانة حتى الأعشاش الضوئيّة في الوادي. الكلّ يتخالط بالكلّ. هناك قرًى في السماء، وفي الجبل مجموعاتُ كواكب.

*

ينبغي أن نلتقي بالحبّ قبل أن نلتقي بالأخلاق. وإلاّ، فالتمزّق.

*

لا يوجد شيء واحد نفعله من أجل كائنٍ (نفعله حقًّا) ولا يلغي آخر. وحين لا يمكننا تقبّل إنكار الكائنات، هو القانون ما يعقّم إلى الأبد. في النهاية، إنّ حبّ شخصٍ هو بمعنىً ما قتلُ كلّ الآخرين.

*

قد اخترتُ الإبداع لكي أفلت من الجريمة. والاحترام الذي يبدونه حيالي! هناك سوء تفاهم.

*

(ك.) ــ أتشرب القهوة مساءً؟

ــ بشكلٍ عامّ أبدًا.

ــ ١٠ مقادير من عقار سولفاميد في اليوم.

ــ ١٠؟ أليس هذا كثيرًا؟

ــ لك أن توافق أو لا.

*

أندريه (ب.) وخالته التي أعطته وشاحًا ثقيلاً جدًّا وملفتًا للنظر. وبما أنّها تتحقّق كلّ صباح من أنّه يضعه جيّدًا قبل الخروج، فإنّه يروح إليها ليودّعها بقميصه، ثم يرتدي سترته ومعطفه على عجلٍ في المدخل، قبل أن يخرج.

*

نبدأ نُبدع في الوحدة ونعتقد الأمر صعبًا. ثم نكتب ونبدع في الرفقة، فندرك حينها ألاّ معنى لذلك وأنّ السعادة كانت في البداية.

*

نهاية الرواية. ــ «الإنسان حيوانٌ دينيّ»، يقول. وعلى الأرض الفظّة القاسية، كان يهطل مطرٌ لا مهرب منه.

*

الخليقة المصحَّحة: إنّه الممثّل الوحيد لهذا الدين القديم قِدم الإنسان، وهو مطاردٌ أينما كان.

*

حاولت بكلّ قواي، وأنا المدرك لنقاط ضعفي، أن أكون رجلاً أخلاقيًا. الأخلاق تقتل.

*

الجحيم معاملة مميّزة تخصّص لأولئك الذين طلبوه جدًّا.

*

بحسب بايل، لا ينبغي الحكم على إنسان بناءً لما يقوله أو يكتبه. أمّا أنا فأضيف: ولا بناءً لما يفعله.

*

السمعة السيّئة أسهل تحمّلاً من السمعة الجيّدة، فهذي الأخيرة ثقيلة يصعب جرّها وينبغي الثبوت فيها، وكلّ ضعفٍ هو بمثابة جريمة تُحسب عليك. في حين يُحسب لك الضعفُ في السمعة السيّئة ويُعفى عنه[1].

*

---

(١) هذا المقطع مغفل في المطبوعة الأولى ومُستعاد استنادًا إلى المخطوطة.

عشاء جيِّد. رسائل من كتّاب شباب يسألون إن كان يجب أن يتابعوا. فيردّ جيد: «ماذا؟ تستطيعون الامتناع عن الكتابة وتتردّدون؟».

*

نبدأ بألاّ نحبّ أحدًا. ثم نحبّ البشر كلّهم بشكلٍ عامّ. ثم لا نحبّ إلاّ البعض، ثمّ شخصًا واحدًا، ومن ثم الوحيد.

*

مدينة الجزائر بعد عشر سنوات. الوجوه التي أتعرّف إليها بعد حيرة والتي شاخت. إنّها «سهرة آل غيرمانت»، وإنّما على مستوى مدينة أتوه فيها. لا عودة إلى الذات. أنا بمعيّة هذا الحشد الهائل الذي يسير دونما كللٍ نحو حفرة سيتساقط فيها الجميعُ، مدفوعين من قِبل حشدٍ جديدٍ يتبعهم، وهو بدوره...

*

من الطائرة ليلاً، أضواء جزر البالِيار، كزهورٍ في البحر.

*

(م.). «عندما أبدو سعيدًا، يشعرون بالخيبة. يستنطقونني ويودّون إرغامي على الاعتراف بخطأ ذلك، على الانجذاب إليهم وإعادتي إلى عالمهم. فانطباعهم هو أنّهم قد تعرّضوا للخيانة».

*

العيش، هو التحقّق.

*

غرونييه. عدم الفعل هو قبول المستقبل ـ وإنّما مع الشعور بالأسى حيال الماضي. إنّها فلسفة الموت.

*

خطابٌ حول *دون جوان* أو *لا شارتروز دو بارم* [عنوان رواية لستندال]. والمطلب الدائم للأدب الفرنسي، القائم على الإبقاء على مرونة الروح الفرديّة ومقاومتها.

*

ألكسندر بلوك.

«آه لو كنتم أيّها الأولاد تعلمون ظلمة الأيّام القادمة وبرودتها».

وأيضًا:

«كم يشقّ المسير ما بين الناس،

والتظاهر بعدُ بأنّنا موجودون».

وأيضًا:

«كلّنا تعساء. لقد أعدّ لنا وطننا أرضيّةً للغضب والشجار. يحيا كلّ منّا خلف سور الصين فيما نحن نتبادل الاحتقار. أعداؤنا الحقيقيّون الوحيدون هم الباباوات، الفودكا، التاج، وعناصر الدرك الذين يخفون وجوههم ويحرّضوننا بعضنا على بعض. سوف أجاهد لكي أنسى... المستنقع الموحل هذا كلّه، لكي أصبح رجلاً وليس آلة تحضن الكراهية...

لا أحبّ إلاّ الفنّ، الأطفال، والموت».

كما سبق. أمام جهل الفقراء وشعورهم بالإنهاك:

«دمي يتجمّد عارًا ويأسًا. كلّ ما حولي فراغٌ، أذيّة، عمًى، وبؤس. وحدها الرأفة الشاملة قادرة على إحداث تغيير... أشعر هكذا لأنّ ضميري ليس مرتاحًا... فأنا أعرف ما عليّ فعله: وهب مالي كلّه، وطلب السماح من الجميع، توزيع أملاكي، ملابسي... لكن، لا أستطيع... لا أريد...».

«آه يا عزيزتي، أيّتها الحثالة، يا محبوبتي!».

«ما هو على حدود الفنّ، لا يمكن أن يُحَبّ»، ومع ذلك: «نموت جميعًا، ويبقى الفنّ».

*

بروكوش. سبعة *فارّين*. «كانوا يكرهونه جميعًا، ولكنّهم كانوا جميعًا يحسدون ابتسامته المشعّة، فكان يعتقد بقوّة بأنّ الأغلى ثمنًا في نظر أغلبيّة البشر وأكثر ما يتمنّونه بأشدّ الشغف في عمق قلوبهم، هو ألق الجمال الهارب والصعب المنال».

«مراقِبات: الصخور؛ في الأسفل، السهل الشاسع، وفي الأعلى، النجوم. وفي الحالتين، لا شيء إلاّ القوّة؛ فالضعف هو ما كانت تلك المراقبات الأزليّات يرفضن الاعتراف به في هذه الأمكنة، أي فساد الروح وهشاشتها.

«...أولئك الذين فقدوا في مكانٍ ما، وسط تأجّج الطفولة والصبا، كلّ مقدرة على الحبّ».

رائع ص ١٠٦.

«... والدته ــ المخلوق الوحيد الذي شعر حياله أبدًا بما يمكن تسميته، لا بالحبّ ربّما، وإنّما بنوع من ولاء القلب».

«العالم! يحكون عن الحرب والمال والمجاعة والظلم وما تبقّى. لكنّ الواقع أكبر وأعمق وأشدّ فظاعة من ذلك، وبكثير! أوتريدون معرفة ما هو؟ هو هذا: حبّ الموت».

«أتنبّأ بنار كبيرة... ستأتي على كلّ شيء. كلّ شيء. باستثناء الذين يكونون قد تطهّروا فربحوا الأبديّة بنيران الروح. وبالحبّ.

ـ أيّ نوع من الحبّ؟

ـ الحبّ الذي يدمّر! الحبّ الذي من غير مهادنة ولا نهاية».

*

قصّة قصيرة سوف تدور في نهار ضبابيّ أصفر.

*

أمن خلال رفض جزءٍ من هذا العالم، يصبح هذا العالم قابلاً للعيش؟ ضدّ «حبّ القدر» [باللاتينيّة في النصّ]. الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يرفض أن يكون ما هو عليه.

*

«آه! كنت لأقتل نفسي لو أنّني ما كنت أعرف بأنّ الموت نفسه ليس راحةً، وأنّ قلقًا فظيعًا ينتظرنا في القبر أيضًا[١].

*

يدخل وكيل النيابة إلى زنزانة المحكوم. هذا الأخير شابّ. إنّه يبتسم. يُسأل إن كان يريد الكتابة. نعم، يقول. ويكتب «يوم النصر!». ما زال يبتسم. يسأله وكيل النيابة إذا كان يرغب بشيء معيّن. أجل، يقول الشابّ. ثم يصفعه بسرعة خاطفة جدًّا. يتهافتون.

---

(١) في المخطوطة، الجملة هذه موضوعة بين مزدوجين تمّ حذفهما، أو نسيانهما بالأحرى، في المطبوعة الأولى.

يتردّد الوكيل. تندفع فيه كراهية قديمة قِدَم العالم. لكنّه يقف جامدًا فيما تتصاعد فيه فكرةٌ على مهل. *لا نستطيع أن نفعل به شيئًا*. يبتسم الآخر وينظر إليه. كلاّ. يقول بفرح. لا شيء. الوكيل عند امرأته. ولكن ماذا فعلتَ به؟ تقول له. ألم...

ــ ماذا؟

ــ صحيح، لا شيء يمكن فعله.

من محاكمة إلى أخرى، ينفّذ وكيل النيابة مهمّته بكراهية. أمام كلّ متّهم، يتوقّع انحناءً. لكن لا شيء. إنّهم متّفقون.

ثم يحاكم بكثير من الكراهية. ينحرف. يصبح مهرطقًا. يُدان الشابّ. فيعود دفق. تلك هي الحرّيّة. سوف يصفع الوكيل. المشهد نفسه. لكنّه لا يبتسم هذه المرّة ووجه الآخر أمامه. «ألا ترغب بـ...».

ينظر إلى الوكيل: «كلاّ، يقول. هيّا بنا».

*

حدود التحليل المتمرّد: قبول أن نقتل بأنفسنا، رفضًا للتواطؤ مع الجريمة بشكل عامّ.

*

تساعد واجباتُ الصداقة على تحمّل متع المجتمع.

*

المحرقة. «ما كان يلفتني في تلك المرحلة الثانية هو درجة بقائها مجهولة بالنسبة إليّ في المرحلة الأولى، في حين أنّها كانت قد ملأت حياتي ولوّنتها إلى الأبد».

*

كما سبق. «كنت أتخيّلها. كنت أعرف تلك الصباحات حيث تصبح صورةُ الكائن الذي قابلناه البارحة واللذّاتُ الغائمة قليلاً التي وجدناها في الانفعالات الأولى، واضحةً فجأة، وحيث تصير ثمالة الأمس، الشاحبة قليلاً، فرحًا شمسيًّا، فرح الانتصارات الأكثر صفاءً».

*

شار. سكونٌ أشبه بكتلة سقطت هنا، من كارثةٍ غامضة.

*

لديّ شغفان أو ثلاثة يمكن اعتبارها مذنبة، أراها أنا هكذا وأسعى إلى الشفاء منها بتمرين الإرادة. أحيانًا، أنجح في ذلك.

*

ماكس جاكوب. «نخترع تجربةً مبكرة، بذاكرةٍ قويّة». تدريب الذاكرة، عند توقّف كلّ الأعمال.

ـ الإيجاز والقسوة هما من تأثيرات الكسل.

ـ لا تحتقروا صغار الناس، ولا كبارهم (فيما يخصّني).

*

رواية. العودة من المعسكر. لقد استرجع بعضًا من قواه. إنّه مقطوع الأنفاس، لكنّه دقيق. «مرّة أولى وأخيرة سوف أشبع فضولكم. وإنّما، لا أريد من ثم أن يُطرح عليّ أيّ سؤال». يتبع ذلك شرحٌ بارد.

مثال: لقد نفذت من ذلك.

كانت الكلمات تخرج قاسية، من دون لغط. لم يعد هناك ما يستدعي أيّ تأويل.

بودّي أن أدخّن.

النفثة الأولى. يستدير ويبتسم.

اعذروني، يقول بالهدوء والانغلاق عليهما.

ثم لا يعود يحكي أبدًا عن الأمر. إنّه يحيا بالشكل الأكثر سخفًا. شيءٌ وحيد. ما عاد يمسّ امرأته. وصولاً إلى نشوء أزمة وضرورة التفسير: «كلّ ما هو بشريّ، يرعبني».

*

برنامج فبراير/شباط ـ يونيو/ حزيران.

١) الحبل[1].

٢) الرجل المتمرّد.

إعداد مجلّدات البحث الثلاثة:

١) بحوث أدبيّة. *تمهيد* ـ المينوتوروس + بروميثيوس في الجحيم، + منفى هيلينا + مدن الجزائر + ...

٢) بحوث نقديّة. *تمهيد* ـ شامفور + الذكاء ومنصّة الإعدام + آغريبّا دوبينييه + تمهيد للحوليّات الإيطاليّة + تعليقات على *دون جوان* + جان غرونييه.

٣) بحوث سياسيّة. *تمهيد* ـ ١٠ افتتاحيّات + الذكاء والشجاعة + لا ضحايا ولا جلّادين + ردود على آستيية + لماذا إسبانيا + الفنّان والحريّة.

١٨ ـ ٢٨ فبراير/شباط: إتمام الصيغة الأولى من الحبل.

مارس ـ أبريل/ آذار ـ نيسان: إتمام الرجل المتمرّد. الصيغة الأولى.

مايو/ أيّار: بحوث.

يونيو/حزيران: مراجعة صيغة الحبل و(ر. م.)

النهوض باكرًا. الاستحمام *ما قبل* الفطور.

---

(١) العنوان الأوّل لـ *العادلون*.

لا سجائر قبل الظهر.

العناد في العمل. إنّه يتفوّق على كلّ عجز.

*

بورتريهات. من وراء برقع الدانتيل، تنظر بكامل عينيها الجميلتين. جمال هادئ، حليبيّ بعض الشيء. تحكي فجأةً، فيتشنّج الفمُ بشكل مستطيل. إنّها قبيحة. امرأة من المجتمع الراقي.

*

يحادثونه. فيتحدّث. يكمل جملته فجأةً، لكنّ النظرة في مكان آخر، ما زالت ملقاةً عليك بفعل الأمر الواقع، لكنّها قيد الانحراف. زير نساء.

*

الكلمات الأخيرة لكارل جرهارد، طبيب هيملر الأسبق (والعالم بأمر معسكر داشو):

«آسف لأنّ الظلم ما زال موجودًا في هذا العالم».

*

لا معنى لوهب الذات إلاّ إذا امتلكناها. ــ وإلاّ، فإنّنا نهب ذواتنا لنهرب من بؤسنا. نحن لا نستطيع أن نهب إلاّ ما هو لنا. أن نكون أسياد أنفسنا قبل إلقاء السلاح.

*

(ك.): «كانت تلك سنة إصابتي بالتهاب الصفاق.

وكان ذلك مباشرةً إثر الثقب الذي أصابني في...» إلخ، إلخ. رزنامة أحشائيّة.

*

المحاكمة. ــ عندما نفكّر بما تمثّله تجربةُ قلبٍ كبير كتجربةٍ فريدة لما تفترضه من كمّيّة معارف ومعارك كبرى تُخاض وتُربح ضدّ الذات وقسوة السماء، وأنّه يكفي مع ذلك ثلاثة خدّام في المحاكم لكي...

*

الفنّان هو المُكلّف بالوعظ في عالمٍ ما عاد يؤمن بالخطيئة. لكن، إن كان لكلمات الكاهن من تأثير فلأنّها كانت تتغذّى من النموذج. لذا يحاول الفنّان أن يصبح نموذجًا. ولذا، فإنّه يُعدم رميًا بالرصاص أو يُرحّل إلى معسكر اعتقال وهو مفجوع بالمفاجأة. ثم

إنّه لا يمكن تعلّم الفضيلة بمثل سرعة تعلّم استخدام الرشّاش. المعركة غير متكافئة.

*

بعد اغتيال ألكسندر الثاني، توجّهت اللجنةُ التنفيذيّة إلى ألكسندر الثالث بقولها:

«... نحن نفهم أكثر من أيٍّ كان، كم هي محزنة خسارة كلّ تلك المواهب وكلّ تلك الطاقة في عمل تدميريّ...».

«... صراعٌ مسالم بين الأفكار سوف يحلّ مكانَ العنف الذي ينفّرنا أكثر ممّا ينفّر خدمكم، والذي لا نمارسه إلاّ لضرورةٍ محزنة».

ـ مراجعة الشهادة الغريبة لريساكوف المستعدّ للعمل كمُخبر لينجو بحياته. إلاّ أنّه يعطي نفسه ذرائع (ص ١٣٧ من *المحاكمات الشهيرة في روسيا*).

الملازم شميدت. «سوف يكلّل موتي نهايةَ كلّ شيء. ومتوّجةً بالتعذيب، سوف تكون قضيّتي كاملة، لا شائبة فيها.

*

(ج.). ذاك الثغر وقد كشطته الرغبة القذرة وتآكلته.

*

التمرّد. فصلٌ حول حبّ الظهور (أمام الذات والآخرين). نزعة التأنّق. محرك العديد من الأفعال، وحتى الثوريّة منها.

*

طالما لم يسيطر الإنسانُ على الرغبة، فهو لم يسيطر على أيّ شيء. وهو تقريبًا لن يسيطر عليها أبدًا.

*

فينافيه[1]. في النهاية، الكاتب هو المسؤول عمّا يفعله إزاء المجتمع. وإنّما عليه قبول (عليه هنا أن يظهر متواضعًا جدًّا ومتطلّبًا بشكل خفيف جدًّا) ألاّ يعرف مسؤوليّته مسبقًا، و*طالما* هو يكتب، أن يتجاهل شروط التزامه ــ أن يجازف.

*

بحثٌ أدبيّ. مقدّمة. لمَ نرفض الوشاية، الشرطة، إلخ... إن لم نكن لا مسيحيّين ولا ماركسيّين. ليس لدينا قيمٌ لذلك. ونحن سنبقى محكومين باختيار الخير (عندما نختاره) بطريقةٍ غير مبرّرة، إلى أن نعاود إيجاد أساسٍ لتلك القيم. وسوف تكون الفضيلة دائمًا غير شرعيّة، حتى ذلك الميعاد.

*

---

(١) م. فينافيه، مؤلّف رواية *لاتوم* (١٩٥٠) و*المعترض* (١٩٥١).

الدورة الأولى. منذ كتبي الأولى (*أعراس*) وصولاً إلى *الحبل والرجل المتمرّد*، تركّز كلّ جهدي على نزع طابعي الشخصي (بنبرة مختلفة، في كلّ مرّة). بعد ذلك، يمكنني التكلّم باسمي.

*

الأرواح العظيمة تهمّني ــ وهي وحدها. إلاّ أنّني لست روحًا عظيمة.

*

تمهيد لمجموعة مقالات[1]. «إنّ أحد أسباب أسفي هو أنّني ضحّيت بالكثير من أجل الموضوعيّة. فالموضوعيّة هي مراعاة أحيانًا. اليوم، الأمور واضحة وينبغي تسمية ما هو اعتقاليّ باعتقاليّ، والاشتراكيّة حتى. بمعنى ما، لن أكون بعد الآن مهذّبًا أبدًا».

لقد أرغمت نفسي على الموضوعيّة المعاكسة لطبيعتي. ذلك أنّني كنت أحذر من الحرّيّة.

*

جيليابوف، منظّم عمليّة اغتيال ألكسندر الثاني، الذي تمّ توقيفه ٤٨ ساعة قبل المأساة، يطلب أن يُعدم في الوقت نفسه مع ريساكوف الذي رمى القنبلة.

---

(١) مشروع تمهيد لمجموعة *حاليّات*.

«وحده جبن الحكومة يفسّر نصب مشنقة واحدة، بدلاً من اثنتين».

*

أبقت الشرطة السياسيّة السوفييتيّة زيبين فكّاك شيفرة الأوكرانا [الشرطة السياسيّة السرّيّة في روسيا] في منصبه. *كما سبق*. انتقل كومّيساروف منظّم مذابح اليهود لحساب الأوكرانا، إلى التشيكا. «النزول إلى ما تحت الأرض» (لاشرعيّة).

«ينبغي تنظيم ضربات الإرهاب بعناية. وسوف يتحمّل الحزب مسؤوليّتها الأخلاقيّة. هذا ما سيؤمّن للمناضلين البطوليّين راحة البال الضروريّة».

أزيف ــ القبر رقم ١٠٤٦٦ في مقبرة ضاحيةٍ برلينيّة.

قبل عمليّة اغتيال موجّهة ضدّ بلاف ببضعة أيّام، يحذّر هذا الأخير «بشكل عامّ» لوبوكين من الأوكرانا ويطالب بزيادة. ويبلّغ عن إرهابيّي الجنوب لكي يُطلق أيدي إرهابيّي بطرسبرغ. يُقتل بلاف؛ ما كان آزيف قد قاله: «ليس عليكم أن تخافوا من الجهة هذه (غيرشوم)».

*

زوباتوف مديرًا. كان يدافع عن المتّهم أمام لجنة تحقيق مزوّرة، فيصنع منه مُخبرًا.

٩ مرّات على ١٠، كان الثوريّ يولع بمهنته كمُخبر.

*

بدأت ثورة ١٩٠٥ بإضراب مطبعةٍ في موسكو كان عمّالُها يطالبون بأن يجري احتساب النقاط والفواصل كأحرفٍ في عمليّة التقييم «على القطعة».

عام ١٩٠٥، دعا المجلس الأعلى السوفييتي في بطرسبرغ إلى الإضراب، على وقع الهتافات: *تسقط عقوبة الإعدام.*

خلال كومونة موسكو، في ساحة تروبنايا أمام مبنًى دمّرته المدافع، صحنٌ معروض يحتوي على قطعة لحم بشريّ مع يافطة تحمل هذه الكلمات: «ساهموا في التبرّع للضحايا».

*

تحريض. حالة مالينوفسكي، مراجعة لابورت، ص ١٧٥ ــ ١٧٦.

مقابلة. بورتزيف ــ آزيف، في فرانكفورت ــ بعد صدور الحكم. مراجعة ص ٢٢١، لا بورت.

*

مُنح ديمتري بوغروف، قاتل ستوليبين، فرصة أن يُشنق في بزّة رسميّة.

*

الانتهاء في ١ يونيو/حزيران. ثم رحلات. تدوين يوميّات. قوّة الحياة. عدم الغرق في الوحل أبدًا.

*

بحثٌ أدبي حول الذريعة.

*

يمكن اعتبار تاريخ الإرهاب الروسي بأكمله تاريخَ الصراع ما بين المثقّفين والمُطلقيّة، بحضور الشعب الصامت.

*

رواية. لحظة سعادة تستعصي على القول، في بؤس المعسكر اللامتناهي.

*

الإنجيل واقعيّ بشكل عامّ، في حين أنّنا نعتبر ممارسته مستحيلةً. فهو يعرف أنّه لا يمكن للإنسان أن يكون طاهرًا، ولكنّه يرى أنّ بإمكانه الاعتراف بدنسه، أيِ أن يسامح. المجرمون يحاكِمون دومًا... فوحدهم يستطيعون الحكمَ بشكلٍ مطلق، على الأبرياء بشكلٍ مطلق... لذا، فعلى الإله أن يكون بريئًا بشكلٍ مطلق.

*

الحكم بالموت على كائنٍ ما، هو القضاء على فرصته بالكمال.

*

كيف يمكن العيش من غير بضعة أسباب حقيقيّة لليأس!

*

تمهيد. ــ القول بأنّنا ثوريّون، ومن جانب آخر، رفض عقوبة الإعدام[1] (ذكر مقدّمة تولستوي ــ فنحن لا نعرف بشكل كافٍ تلك المقدّمة لتولستوي وقد بتُّ في سنٍّ تتيح لي قراءتها بإجلال)، الحدّ من الحريّات، والحروب، هو بمثابة قول لا شيء. ينبغي إذًا أن نعلن بشكلٍ أكثر تواضعًا، بأنّنا غير ثوريّين ــ وإنّما إصلاحيّون. إصلاح متشدّد. أخيرًا، وبعد تفكير، يمكننا القول بأنّنا متمرّدون.

*

(سوف تفقد مصداقيّتك، يُقال لي.

ــ أتمنّى ذلك، إذا كانت مصنوعة من ذلك الصنف)[2].

*

كان تشايكوفسكي معتادًا على أكل أوراقٍ (حتّى المهمّة جدًّا، في وزارة العدل مثلاً)، سهوًا.

---

(١) مراجعة *حالتّات*، ص ٢٣٥.

(٢) في المخطوطة، الملاحظة هذه مربوطة بشكل مباشر بالنصّ السابق الذي يظهر أنّها تعليق عليه.

«كانت رغبة الإبداع تتصاعد فيه بعنفٍ كبيرٍ، ولم يكن يتيح إشباعها إلاّ قدرته الهائلة على العمل» (ن. بربيروفا).

*

«لو أنّ انفعال الفنّان الذي يسمّى الإلهام لا ينقطع أبدًا، فلن يمكننا العيش» (تشايكوفسكي).

«في لحظات الفراغ، يستولي عليّ قلقُ ألاّ أكون قادرًا أبدًا على بلوغ الكمال، استياءٌ وكراهيةٌ لذاتي. وتطاردني وتعذّبني فكرة أنّي لست نافعًا لأيّ شيء، وأنّ نشاطي الكبير وحده يعوّض عن عيوبي ويرفعني إلى مصافّ إنسان بالمعنى العميق للكلمة. العمل هو ما ينقذني» (تشايكوفسكي).

ومع ذلك، فإنّ موسيقاه متوسّطة المستوى، في أكثر الأحيان.

*

تجنيد. يتّجه معظم الأدباء الفاشلين إلى الشيوعيّة. فهي الموقع الوحيد الذي يتيح لهم أن يحاكموا الفنّانين من علٍ. من وجهة النظر هذه، الشيوعيّة هي حزب الدعوات المحبَطة. عمليّة تجنيد كبيرة، من دون شكّ.

*

مايو/أيّار ١٩٤٩

والآن: التخلّي عن «الإنسانيّ» كما يقولون.

كنت أعطي نفسي مواضيع، كما لو أنّها عددٌ من الذرائع لأرغم نفسي على الكلام.

*

مقدّمة لكتاب في البحوث السياسيّة. انطلاقًا من وجهة النظر هذه، يعبّر البحثُ الأخير بشكلٍ جيّد عمّا أفكّر به، ألا وهو أنّ الإنسان الحديث مُجبر على الاهتمام بالسياسة. أنا أهتمّ بالسياسة عن قرب لأنّني لم أعرف أبدًا، بسبب عيوبي لا حسناتي، أن أرفض أيًّا من الالتزامات التي كنت أصادفها.

*

بسبب علم النفس، لا يمكننا الإيمان بالطيبة والأخلاق والتجرّد. إنّما لا يمكننا الإيمان بالشرّ، إلخ، بسبب التاريخ.

*

رواية[1]. العاشقان الحجريّان. وقد عرف الآن ما كان يعانيه طوال ذلك الوقت، من ذاك الحبّ الذي ما كان من الممكن إيجاد حلّ له، إلاّ إذا... في اللحظة عينها... حولّتهما ريحٌ هابطةٌ من السماء حجرين في اندفاعة حبّهما، فباتا إثر ذلك، وقد انتُزعا أخيرًا من تلك الأرض القاسية، جامدين وجهًا لوجه، يتجاهلان رغباتِ

تتدحرج بغضب من حولهما، ويتقابلان كما لو كانا يستديران نحو الوجه الرائع المكمّل للحبّ.

*

لسنا نقول ربعَ ما نعرف. وإلاّ انهار كلّ شيء. القليل الذي نقوله، وها هم يزعقون.

*

عندما نكون قد رأينا، مرّة واحدة، إشعاعَ السعادة على وجه كائنٍ نحبّه، ندرك بأنّه من غير الممكن وجودُ دعوةٍ أخرى بالنسبة إلى الإنسان، بخلاف استثارة ذلك النور على الوجوه المحيطة به... ويصيبنا التمزّق من فكرة ما نرميه من الشقاء والليل بفعل العيش وحده في قلوب الذين نلتقيهم.

*

عندما يكون برابرة الشمال قد دمّروا مملكة البروفانس اللطيفة وحوّلونا إلى فرنسيّين...

*

ينصحني مونييه في «فكر»، بالابتعاد عن السياسة ما دامت ليست من مشاغلي (هذا بديهيّ، بالفعل) وبالاكتفاء بدور المحذِّر، وهو دور نبيل بما يكفي ويلائمني بكلّ لطف. لكن، ما هو العقل السياسي؟ إنّ قراءة مجلّة «فكر» لا تعلمني بذلك. وفيما يخصّ دور

المحذِّر «النبيل»، فهو يقتضي ضميرًا لا شائبة فيه. أمّا الدعوة الوحيدة التي أحسّها دعوتي فهي أن أقول للضمائر بأنّها ليست ناصعة وللعقول بأنّ ثمّة ما ينقصها.

*

يوليو/تموز ١٩٤٩

الاطّلاع على «يوميّات أميركا الجنوبيّة»، من يونيو/حزيران إلى أغسطس/آب ١٩٤٩.

*

وفي النهاية، إبراز قيمة الجريمة مجدّدًا بغية مقابلتها بالتدمير المجهول والبارد، والمجرّد. إنّ مديح الجريمة التي يرتكبها إنسانٌ بحقّ إنسان، هو إحدى المراحل على درب التمرّد.

*

إنّ المجهود الوحيد في حياتي، كون الباقي قد أُعطي لي، هو وبشكلٍ واسع (في ما عدا الثروة التي لا تعنيني): أن أعيش حياة إنسانٍ عاديّ. فأنا لم أكن أريد أن أكون رجل جحيم وهاوية. ولم ينفع المجهودُ العملاق هذا بشيء. وبدل أن أنجح أكثر فأكثر في مشروعي، ها إنّي أرى الهاوية تقترب شيئًا فشيئًا.

*

يلحظ جيورجيو عن حقّ بأنّ محاكمة (وتعذيب) المسيح قد اختلطت بمحاكمة اللصّين. لقد كانت تقنيّة الخلط تُمارَس حتى في العام صفر.

التطوّر الوحيد، بحسب (ج.): هناك اليوم ١٠ آلاف بريء محاطين بمذنبين اثنين.

*

... واجهات القرى التي شيّدها بوتمكين على طول الطرق حيث كانت تعبر كاترين الكبيرة أثناء تجوالها في أمبراطوريّتها.

*

يروي كزابسكي (أرضٌ غير بشريّة) كيف كان الأطفال الروس يرشّون بالماء جثثَ الجنود الألمان التي يعثرون عليها في الثلج، ويستخدمون في الصباح الأجسامَ المتجمّدة كخشبات تزلّج.

*

يقول دوستويفسكي، يجب أن نحبّ الحياة قبل أن نحبّ معناها. أجل، وعندما يختفي حبّ العيش، لا يعزّينا عن اختفائه أيُّ معنى.

*

الإمام عليّ الكبير: «العالم جيفة. كلّ من أراد جزءًا منها، سيحيا مع الكلاب».

*

ستندال. «الفرق بين الألمان والشعوب الأخرى: يتأجّجون في التأمّل بدل أن يهدأوا. مفارقة ثانية: يموتون رغبةً بالتميّز».

*

سبيربير. «فليعاقب الإله الأتقياءَ الذين يدخلون في حزبٍ ثوريّ لكي يحوّلوه إلى كنيسة، بدل الذهاب إلى الكنيسة».

ــ الشيوعيّة، تعصّبٌ شكّاك.

ــ لدى حديثه عن معلّم ما (غرونييه؟): «لقد كان لقاء هذا الرجل سعادةً كبيرةً. ربّما كان اتّباعه سيّئًا، لكن سيكون جيّدًا عدم تركه أبدًا».

*

كما سبق. وفاة روزا لوكسمبورغ: «بالنسبة إلى الآخرين، كانت ميّتة منذ اثني عشر عامًا. بالنسبة إليهم، كانت تموت منذ اثني عشر عامًا».

*

«لا يوجد تضحيات معزولة. فخلف كلّ فرد يضحّي بذاته، يقف آخرون يضحّي بهم معه، من دون أن يسألهم رأيهم».

إنّهم يريدون خيرَ الشعب، لكنّهم لا يحبّون الشعب. هم لا يحبّون أحدًا، ولا حتى أنفسهم.

رواية. «في مكانٍ ما، في منطقةٍ بعيدةٍ عن روحه، كان يحبّهم. كانوا محبوبين فعلاً، وإنّما من مسافةٍ كانت تُكسب كلمةَ حبّ معنىً جديدًا».

«كان راغبًا بشيئين اثنين، أولّهما الامتلاك المطلق، وثانيهما الذكرى المطلقة التي كان يودّ أن يخلفها لها. يعرف البشر جيّدًا أنّ الحبّ منذور للموت فيعملون على ذكرى الحبّ طوال ما عاشوا فيه. وكان يريد أن يترك لها فكرةً عظيمةً عنه هو، لكي يكون حبّهما عظيمًا بشكلٍ نهائي. إلاّ أنّه الآن كان مدركًا بأنّه ليس عظيمًا، بأنّها ستعرف ذلك ذات يوم، عاجلاً أم آجلاً، وبأنّ ذلك هو الموت المطلق بدلاً من الذكرى المطلقة، بالنسبة إليه على الأقلّ. الانتصار، قد يكون الانتصار الوحيد ربّما هو الاعتراف باحتمال أن يكون الحبّ عظيمًا، حتى عندما لا يكون العاشق عظيمًا. بيد أنّه لم يكُ مستعدًّا بعدُ لهذا التواضع الرهيب».

«كان ينزّه في داخله ذكرى وجهه وقد تآكله الألم، محفورًا بالحديد الحامي... في تلك المرحلة تقريبًا، فقد احترامه لذاته وكان قد سانده دومًا حتى الآن... إنّي أدنى من الحبّ، لقد كانت محقّة».

«يمكننا أن نحبّ بالسلاسل، عبر جدرانٍ تبلغ سماكتها عدّة أمتار، إلخ. وإنّما، فليخضع جزءٌ صغيرٌ جدًّا من القلب للواجب، وها إنّ الحبّ الحقيقيّ يصبح مستحيلاً».

«كان يتخيّل مستقبلاً من الوحدة والعذاب. وكان يجد متعةً صعبةً في التخيّلات هذه. ذلك أنّه كان يفترض أنّ العذابَ نبيل ومتناغم. فكان في الواقع يتخيّل هكذا مستقبلاً دونما عذاب. وعلى العكس، ما إن كان الألم يحضر، حتّى لا تعود هناك حياة».

«كان يقول لها إنّ حبّ البشر هو هكذا، إرادة وليس نعمة، وإنّ عليه التغلّب على نفسه بنفسه. وكانت تقسم له أنّ الحبّ ليس هذا».

«كان قد فقد كلّ شيء، حتّى الوحدة».

«كان يصرخ بوجهها أنّ الموت هو هذا بالنسبة إليه، ولم تكن لتتأثّر. لأنّها، في ذروة تطلّبها، كانت تجد طبيعيًّا أن يموت ما دام قد قصّر».

«يجب مسامحة كلّ شيء، والوجود أوّلاً. إذ يصبح الوجود دومًا في النهاية فعلاً سيّئًا».

«في ذلك اليوم بالذات، أضاعها. ولم يأتِ الشقاء إلاّ لاحقًا على ما يبدو. لكنّه كان يعرف بأنّه كان ذاك اليوم تحديدًا. كان عليه ألاّ يقصّر أبدًا، حفاظًا عليها، فقد كان تطلّبها كبيرًا لدرجة تجعل

مستحيلاً ارتكابه خطأ واحدًا، أو إظهاره ضعفًا واحدًا. كانت لتتقبّل ذلك من أيّ شخص آخر، وهذا ما فعلته وستفعله، وإنّما ليس منه هو. تلك هي امتيازات الحبّ».

«هناك في الحبّ شرفٌ. بعد خسارته، لا يعود الحبُّ شيئًا».

*

«كنت صغيرًا قبل أن أحبّ، بالضبط لأنّني كنت أميل أحيانًا لأن أجدني كبيرًا». (ستندال، *في الحبّ*).

*

ذو ذكاء حاذق وقلبٍ تافه. أو أيضًا، كانت فضائله ذهنيّةً، لا قلبيّة. ما كان يعجبه فيها هو الحياة الخارجيّة، الجانب التخيّلي، اللعب والأداء.

*

اليأس هو جهل أسباب كفاحنا، وبالضبط إن كان يجب أن نكافح.

أثناء المشي في باريس، هذه الذكرى: أنوار الريف البرازيليّ والرائحة الشذيّة للبنّ والتوابل. أمسيات قاسيةٌ وحزينةٌ تهوي إذًا فوق تلك الأرض المفرطة.

*

التمرّد. تفترض العبثيّة غيابَ الاختيار. العيش هو الاختيار. الاختيار هو القتل. والاعتراض على العبثيّة، هو الجريمة.

*

غيبّو. شقاء الفنّان هو أنّه ليس راهبًا كلِّيَّةً، ولا علمانيًّا كلِّيَّةً ــ وأنّ لديه نوعَي الغواية هذين.

*

المعضلة الراهنة الحقيقيّة: العقاب.

*

من يستطيع وصف شقاء الإنسان الذي انحاز إلى المخلوق ضدّ الخالق والذي، بعد أن فقد فكرة براءته وبراءة الآخرين، يعتبر المخلوقَ، ونفسَه، بمثل إجرام الخالق.

*

مونرو. «تُثبَت خصوبةُ منتِجٍ للأفكارِ (يقصد هيغل) بتعدّديّة *الترجمات* (التأويلات) الممكنة».

بالطبع لا. فهذا صحيحٌ بالنسبة إلى فنّان، خاطئٌ بشكل حاسم بالنسبة إلى مفكّر.

*

رواية. محكوم بالإعدام. إنّما يُمرَّر إليه سمُّ السيانيد... وهنا، في وحدة زنزانته، يبدأ بالضحك. يملأه شعورٌ هائلٌ بالارتياح. لم يعد ذاك الجدار الذي كان يحاذيه، هو نفسه. الليل بطوله أمامه. وهو سيمكنه *أن يختار*... وأن يقول لنفسه «هيّا بنا»، ومن ثم «لا، لحظةً بعد»، فيتلذّذ بهذه اللحظة... يا للانتقام! يا للإنكار!

*

في غياب الحبّ، من الممكن أن نحاول الحصول على الشرف. يا لتعاسة الشرف.

*

(ف.): جنون عدم تأسيس أيّ شيء على الحبّ، جنون عدم تحطيم أيّ شيء من أجل الحبّ.

*

جاء الإله ليموت على الصليب لأنّه كان يغار من ألمنا. تلك النظرة الغريبة التي لم تكن نظرته بعد.

نهاية أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٤٩. انتكاسة.

على المريض أن يكون نظيفاً لكي يُنتسى ويُسامَح. ولا يكفي. فنظافته حتى غريبة. إنّها مثيرة للشبهات ـــ كتلك الورود ذات الحجم المفرط التي نراها في عُرَى سترات المحتالين.

ينبغي لعودة المرض هذه أن تحبطني، بعد يقينٍ طويل جدًّا بالشفاء. وهي تحبطني بالفعل. لكنّ مجيئها بعد سلسلة متواصلة من الإحباط، يدفعني إلى الضحك. ها إنّي محرّرٌ في النهاية. الجنون هو أيضًا تحرّرٌ.

•

«شديد الحساسية بحيث يمكنه ملامسة الألم بيديه» (عن كيتس ـ بقلم آني لويل).

كيتس أيضًا. «ما من خطيئة أكبر من خطيئة الاعتقاد بأنّنا كتّاب كبار. صحيح أنّ جريمة كهذه تتضمّن عقابًا ثقيلاً».

•

«إلى الدير، أوفيليا»! أجل، إذ لا توجد طريقة أخرى لامتلاكها، إلاّ منع امتلاكها من قبل أيٍّ كان. وإلاّ فالإله، إذ نتحمّل بسهولةٍ نعمَه طالما أنّها لا تمسّ الجسد.

•

إذا كانت الروح موجودةً، فمن الخطأ الاعتقاد بأنّها تُوهب لنا وقد خُلقت كلّيّة. إنّها تُخلق هاهنا، على مدى الحياة، وليس العيشُ شيئًا آخر سوى هذا المخاض الطويل الأليم. عندما تجهز الروحُ وقد أتممنا نحن والألمُ خلقَها: ها هو الموت.

«أنا سعيد لوجود شيء كالقبر في دنيانا» (كيتس).

*

شيسترتون. العدالة لغزٌ، وليست وهمًا.

*

بخصوص براوينغ: الإنسان المتوسّط ـ كما يَشغلني.

*

كلايست الذي يحرق مخطوطاته مرّتين... بييرو ديلاّ فرانشيسكا الذي يفقد بصره في نهاية أيّامه... إبسن الذي يفقد في شيخوخته الذاكرة فيعاود تعلّم الأبجديّة... الشجاعة! الشجاعة!

*

الجمال الذي يساعد على العيش، يساعد على الموت أيضًا.

*

خلال آلاف السنين، كان العالم شبيهًا بلوحات النهضة الإيطاليّة حيث يجري تعذيب أُناس على البلاطات الباردة، بينما ينظر آخرون إلى مكان آخر، وهم ساهون بشكلٍ كامل. لقد كان عدد «اللامعنيّين» يثير الدوارَ، مقارنةً بعدد المعنيّين. فما كان يميّز التاريخ هو كميّة البشر التي لم تكن تُعنى بشقاء الآخرين. في بعض

الأحيان، كان يأتي دور اللامعنيّين. إنّما كان يجري ذلك وسط السهو العامّ، فكان هذا يعوّض عن ذاك. اليوم، يدّعي الجميع بأنّهم معنيّون. فيلتفت الشهودُ فجأة نحو المجلود، في غرف القصر.

*

يروي بير جينت لمواطنيه أنّ الشيطان وعد الجماهيرَ المحتشدة بتقليد رائع لحشرجة الخنزير. فظهر وفعل. ولكن في نهاية العرض، حسمت الانتقاداتُ الأمر إذ وجد البعضُ الصوت هزيلاً جدًّا، والبعضُ الآخر مفتعلاً جدًّا. أسِف الجميعُ لوجود مبالغة. ومع ذلك، فقد كان الصراخُ لخنزيرٍ صغيرٍ كان الشيطان يحمله تحت معطفه ويقرصه.

*

نهاية دون جيوفانّي: تملأ أصواتُ اللعنة، الصامتة إلى الآن، خشبة الكون فجأةً. وهي قد كانت هنا، حشدًا سرّيًّا أكثر عددًا من الأحياء.

*

محاكمة راجك: إنّ فكرة المجرم الموضوعيّ الذي يحقّق التفكّكَ بين ناحيتين لدى الإنسان، هي فكرة إجراءٍ جارٍ، وإنّما مُضخّم.

*

الماركسيّة فلسفةً إجرائيّة، وإنّما من دون تشريع.

*

للتدوين: خلال المحاكمة بأكملها، كان راجك يميل برأسه يمينًا، وهو ما لم يكن يفعله قطّ من قبل.

*

كما سبق. المحكومون بالإعدام *الذين لا يُعدَمون* في الواقع، ويعيشون في سيبيريا أو في مكان آخر، *حياةً أخرى* (أبطال رواية).

*

ضدّ عقوبة الإعدام. فيشت. «نظام القانون الطبيعي».

*

رواية (*نهاية*). كان يذكر ذلك الزمن حين كان يلتهم سيَر المشاهير، متراكضًا عبر الصفحات باتّجاه لحظة موتهم. فما كان يودّ معرفته في ذلك الحين هو بأيّ شيء يمكن للنبوغ والعظمة والحساسيّة أن تعترضَ الموت؟ لكنّه الآن كان يعرف أنّ هذا الهيجان لم يكن مجديًا، وأنّ التجارب الكبرى لا تتضمّن دروسًا من أجله. فالنابغة لا يعرف أن يموت. المرأة الفقيرة تعرف.

*

العظمة هي محاولة أن تكون عظيمًا. ولا شيء آخر. (لذا، فإنّ م. عظيمةٌ).

*

حيثما نرغب بامتلاك عبيدٍ، لا بدّ من أكبر قدر ممكن من الموسيقى. تلك هي على الأقلّ فكرة أميرٍ ألمانيّ كما ينقلها تولستوي.

*

أطيعوا، كان يقول فريدريك سيّد بروسيا. لكنّه عند احتضاره، قال: «لقد تعبت من السيادة على عبيد».

*

رواية. «كنت أبحث عن وسيلة لعدم الموت من حرّيّتها. ولو كنت وجدتها، لكنت أعدت إليها الحرّيّة تلك».

*

غوركي في معرض حديثه عن تولستوي: «إنّه رجل يبحث عن الإله، لا من أجل ذاته وإنّما من أجل الآخرين، ولكي يتركه هو تعالى، في سلامٍ وسط الصحراء التي اختارها لنفسه».

كما سبق. «أنا لست يتيمًا على الأرض طالما وُجد ذلك الرجل».

عند إحراق جان هوس، شوهِدت عجوزٌ لطيفة تحمل حزمتَها من الحطب لتُضيفها إلى المحرقة.

*

تلك اللحظات حيث نستسلم للعذاب كما نفعل مع الألم الجسديّ: ممدَّدًا، دون حراك، دون إرادة أو مستقبل، أستمع فقط إلى اندفاعات الوجع الطويلة.

*

التغلّب؟ إنّما العذاب هو هذا بالضبط، وهو ما لا نتفوّق عليه أبدًا.

*

رواية. «عندما كانت هنا وكنّا نتمزّق معًا، كان لعذابي ودموعي معنًى. إذ إنّها *كانت تراها*. بعد رحيلها، بات العذاب هذا عقيمًا ومن غير مستقبل. فالعذاب الحقيقيّ هو العذاب دونما جدوى. لقد كان العذاب بالقرب منها سعادةً لذيذة. لكنّ العذاب الوجدانيّ والمُتجاهَل هو الكأس التي تقدَّم إلينا من دون هوادة، نستدير عنها بعناد، ومن حيث علينا أن نشرب ذات يومٍ هو أشدّ فظاعةً من يوم الممات».

تُخلّف ليالي العذاب شعورًا بالثمالة، كسواها.

*

رواية. «كلمة أخيرة. ليست المسألة في مباشرة حوار لذيذ ومُرّ مع صورة جميلة فقدتها. المسألة هي تدميرها في أعماقي بمواظبةٍ، بإصرارٍ لا أحيد عنه، وبتشويه ملامح ذلك الوجه لكي أجنّب قلبي الانتفاضة اليائسة التي تسبّبها الذاكرة...». «قتلُ ذاك الحبّ، آه يا حبّي».

كما سبق. «كانت قد مرّت عشرة أعوام لم يتمكّن خلالها من الدخول إلى مسرح...».

*

بحث أدبي عن البحر[1].

لا وطن لليائس. أنا، كنت أعرف أنّ البحر موجود، ولذا فقد عشت وسط هذا الزمن الزائل.

هكذا يمكن لأشخاصٍ يتحابّون وهم منفصلون، أن يعيشوا في الألم. ولكن، مهما قالوا، فهم لا يعيشون في اليأس: إذ يعلمون بأنّ الحبّ موجود.

---

(١) مراجعة *البحر عن كثب*، في *الصيف*.

نصرّ بعنادٍ على الخلط بين الزواج والحبّ من جهة، وبين السعادة والحبّ من جهة أخرى. إنّما لا شيء مشتركًا بينهما. لذا يحدث أن تكون بعض الزيجات سعيدةً، ما دام غياب الحبّ أكثر توافرًا من الحبّ.

*

الالتزام اللاطوعيّ.

*

الغيرة الجسديّة هي، في جزء كبير منها، إصدارُ حكمٍ على الذات. فنحن نعرف ما نستطيع تفكيره، بحيث نتخيّل الآخر يفكّر مثلنا.

*

الأيّام في البحر، تلك الحياة «العاصية على النسيان، العاصية على الذكرى» بحسب ستيفنسون.

*

لامبير[١]. «في الوقت الحاضر، إنّي أحتفظ لنفسي بكلّ شفقتي».

---

(١) أو لامبير، صديق جان غرونييه الذي عرّفه على لويس غييّو.

غيبّو. «في النهاية، نحن لا نكتب لكي نقول، وإنّما لكي لا *نقول*».

*

رواية. «في نهاية تلك العذابات المُنهِكة، كنت أستدير نحو ذلك الجزء فيّ الذي لا يحبّ أحدًا، أبحث فيه عن ملجأ. فكنت أرتاح قليلاً، ثمّ أعود مطأطئ الرأس، إلى الصخور والأشواك».

*

تستحقّ الفضيلة التقدير اليوم. فالتضحيات الكبيرة لا تحظى بالتأييد. الشهداء منسيّون. ينتصبون، فننظر إليهم. وبعد سقوطهم، تواصل الصحفُ.

*

مِرل، صحافيّ متخصّص بالابتزاز. حين لم يكن يحصل على شيء من فلان، كان يجرّسه في صحيفته طوال العام. وبعد تبديل بطّارياته، كان مِرل يمدح دونما تحفّظ ضحيّته تلك، فتسارع ساعتئذ إلى الدفع.

*

في قضيّة شيبونين، دافع تولستوي أمام المحكمة عن البائس المتّهم بضرب الضابط المسؤول عنه ــ وبعد الحكم عليه بالإعدام،

قدّم طلب استئناف ـ وكتب إلى خالته يسألها التدخّل لدى وزير الحرب. لاحظ هذا الأخير فقط بأنّ تولستوي نسي تدوين عنوان الفيلق، وهو ما منعه من التدخّل. غداة اليوم الذي تسلّم فيه تولستوي الرسالة التي تتمنّى تصحيح هذا الخطأ، تمّ إعدام شيبونين بسبب *هفوة تولستوي*.

*

العمل الأخير لتولستوي والذي وُجِد غير مكتمل على طاولة عمله: «*إلى العالم، لا وجود لمذنبين*».

*

وُلد عام ١٨٢٨. كتب *الحرب والسلام* ما بين ١٨٦٣ و١٨٦٩. ما بين ٣٥ و٤١ عامًا.

*

الحياة طويلة جدًّا، بحسب غرين. «أفلا يمكننا ارتكاب خطيئتنا المميتة الأولى في السابعة من العمر، الانهيار حبًّا أو كراهية في العاشرة، والكفاح لمحاولة بلوغ الخلاص على سرير الموت في الخامسة عشرة».

*

سكوبي، خيانة زوجيّة. «كانت الفضيلة والحياة الطاهرة تغويانه ليلاً، كما الخطيئة».

كما سبق. «لا يعرف الحبّ البشريّ ما يمكن تسميته انتصارًا، بالكاد بضعة نجاحاتٍ استراتيجيّة صغيرة قبل الكارثة النهائيّة: الموت أو اللامبالاة».

كما سبق. «ليس الحبّ تفهّمًا. إنّه مصنوع من رغبة الفهم وعمّا قريب تموت تلك الرغبة أيضًا والحبُّ، لشدّة تكرار الفشل...».

*

ماري دورفال إلى فينيي: «أنت لا تعرفني! أنت لا تعرفني!» بعد كلّ هذا الغياب، ما عاد يعرف نفسه. «قل لي، أصحيح أنّ النشوة تستطيع انتزاع صيحات منّي!».

جواز سفره صادر عن تولوز: «قامة محطّمة، شعر متشعّث، وقفة عزّ».

«أنا لم أنفصل عن السيّد دو فينيي، وإنّما اجتُثثتُ»!

*

يحتضر المسيح الآن في القصور. إنّه يجلس على عرش شبابيك المصارف ـــ حاملاً السوط في يده.

ستريبتو ـــ ٤٠ غ من ٦ نوفمبر/تشرين الثاني إلى ٥ ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٤٩.

(ب. ا. س.). ٣٦٠ غ من ٦ نوفمبر/تشرين الثاني إلى ٥ ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٤٩.

+ ٢٠ غرام ستريبتو. من ١٣ نوفمبر/تشرين الثاني إلى ٢ يناير/ كانون الثاني.

*

رواية. «لشدّة ما استنطقته عن حبّه ولشدّة القلق المبثوث في استنطاقها ذاك، شعر بالشكوك تولد. وكلّما تزايدت الشكوك، تصلّبت فيه إرادة الحبّ. هكذا، كلّما طالبت قلبه بالحبّ، أصبح حبّه مجرّدًا».

*

لتبرير كلّ جريمة، يجب موازنتها بالحبّ. فقد كانت منصّة الإعدام بالنسبة إلى الإرهابيّين، إثباتَ حبّ مضروبًا بتسعة.

*

عام ١٨٤٣، حرّر الأميركيّون جُزر هاواي التي استولى عليها الإنكليز بالقوّة. كان ملفيل حاضرًا. دعا الملك رعاياه إلى «الاحتفال بسعادتهم من خلال خرق كلّ قيدٍ أخلاقيّ، شرعيّ أو دينيّ، خلال

عشرة أيّام متتالية؛ فقد أعلن رسميًّا تعليقَ كلّ قوانين البلاد في تلك الفترة».

*

الأخطاء مُفرحة، الحقيقة جحيميّة.

*

ذلك الشكّ المقدّس الذي يتحدّث عنه مِلفيل والذي يُبقي الناسَ والأممَ دومًا على حيرة.

*

ملاحظة مِلفيل على هامش بحوث شيلي: «أخلاقيًّا، شيطان مِلتون متفوّق جدًّا على إلهه، كما يتفوّق مَن يُثابر رغم المِحن والعذاب، على من يمارس أفظعَ انتقامٍ على أعدائه في الأمان البارد لفوزٍ محتوم».

*

مُرَّة هي مياهُ الموت...

*

مِلفيل في عمر ٣٥ عامًا: لقد تقبّلتُ الزوال.

*

هاوثرن بشأن ملفيل. «لم يكن مؤمنًا ولم يكن قادرًا على الاكتفاء بعدم الإيمان».

*

(ل. ج.) ـ جميلةٌ وإنّما هي تشكو من نقص في الأفكار، كما يقول ستندال.

*

يوم انفصاله عن امرأته، انتابته رغبةٌ هائلة بأكل الشوكولا، فرضخ لها.

*

قصّة جدّ (م.) دو بوكانديه. اتُّهِم في الثانويّة بارتكاب حماقةٍ كبيرة. فأنكر. ثلاثة أيّامٍ في زنزانة انفراديّة. فأنكر. «لا أستطيع الاعتراف بغلطة لم أرتكبها». بُلّغ الأب. فأعطى ولدَه ثلاثة أيّام لكي يعترف، وإلاّ فسيكون صبيًّا بحّارًا (العائلة ثريّة). ثلاثة أيّام في زنزانة انفراديّة. خرج. «لا يمكنني الاعتراف بما لم أرتكبه». أرسله الأب الذي لا يُهادن لكي يصبح صبيًّا بحّارًا. كبر الولد، أمضى حياته في السفن. أصبح قبطانًا. توفّي الأب. شاخ هو. وعلى سرير الموت: «لم أكن أنا المذنب».

*

أثناء انتفاضة باريس، كان الرصاص يصفر. آه! آه! صرخ غاستون غاليمار، فأسرع روبير غاليمار نحوه مذعورًا. فعطس غاستون.

*

كانت تمنحه مُتَعًا تشعره بالغرور. لذا كان مخلصًا لها.

*

(ف.): «أنا كائن معتوه. لا أستطيع معرفة قدرتي على الحبّ إلاّ من خلال قدرتي على الألم. فأنا قبل أن أتألّم، لا أعرف».

*

مقدّمة *القفا والوجه*.

توجد في داخلي مقاوماتٌ فنّيّة، كما توجد عند البعض الآخر مقاوماتٌ أخلاقيّة أو دينيّة. أرى المُحرَّمَ، فكرةَ أنّ «هذا لا يُفعل» ـ وهي غريبة عنّي كطفلٍ ذي طبيعةٍ حرّة ـ كعبدٍ (وكعبد متحمّس) لتقليدٍ فنيّ صارم. (أنا لم أتغلّب على هذه المحرّمات إلاّ في *حالة حِصار*، وهو ما يفسّر الحنان الذي أكنّه لهذا الكتاب المُستخَفّ به بشكلٍ عامّ).

... ربّما كان الحذر هذا أيضًا يستهدف فوضويّتي العميقة، وهو يبقى بهذا المعنى مفيدًا. أنا أعرف فوضاي، عنفَ بعض

الغرائز، والاستسلامَ الشنيع حيث يمكنني الارتماء. لكي يُشيِّد، على العمل الفنّي (أتحدّث في المستقبل) أن يستعين بقوى الإنسان التي لا تُعدّ ولا تُحصى. وإنّما ليس من دون تسويرها. فأسواري اليوم لم تزل قويّة جدًّا، وقويًّا هو أيضًا ما كان عليها احتواؤه. يوم سيتحقّق التوازن، في ذلك اليوم، سأحاول كتابة العمل الذي أحلم به. وسوف يشبه *القفا والوجه*، أي أنّ شكلاً معيّنًا من الحبّ فيه سيكون وصيًّا عليّ.

يبدو لي أنّني أستطيع ذلك. فاتّساع خبراتي ومعرفة مهنتي وعنفي وإذعاني... وسوف أضع في المركز، كما هنا، الصمتَ الرائعَ لوالدةٍ، ومسعى رجلٍ لاستعادة حبٍّ يشابه هذا الصمت فيجده أخيراً، ثم يضيعه، ليعود عبر الحروب وجنون العدالة والألم، إلى الوحدانيّ والهادئ الذي موتُه هو صمتٌ سعيد. وسوف أضع فيه...

*

ماريتان. يضع الإلحادُ المتمرّد (الإلحاد المطلق) التاريخَ مكان الإله، مستبدلاً التمرّدَ بخضوع مطلق. «ليس الواجب والفضيلة بالنسبة إليه، إلاّ خضوعاً وتضحية بالذات كاملين على مذبح الشراهة المقدّسة للصيرورة».

«القداسة أيضًا هي تمرّد: إنّها رفض الأشياء كما هي، وتحمّل مسؤوليّة شقاء العالم».

شريط لــ *العادلون*: إرهاب وعدالة.

*

رواية. «كانت لديها طريقة في ترداد «أحبّك» ثلاثًا، بصوتٍ هامسٍ متعجّل، كعقيدة مضطهدة قليلاً...».

*

«رغم المظاهر، لطالما كان شاغلي الأساسيّ هو الحبّ (مُتعه لوقت طويل وأخيرًا، شحناته الأشدّ إيلامًا). لي روحٌ تحبّ القصص، ولطالما شعرت بصعوبة إثارة اهتمامها بشيء آخر».

*

في الربيع، عندما ينتهي كلّ شيء، كتابة *كلّ ما أشعرُه*. أشياء صغيرة بشكل عشوائيّ.

*

رواية. «لقد نجح في أن يتصنّع مع أغلبيّة النساء. معها هي أبدًا. نوعٌ من الحدس العبقريّ كان يجعلها تدرك ما يجري في قلبه، فتكشف نواياه».

*

نقد لــ *العادلون*: «ولا أيّة فكرة عن الحبّ». لو ابتليتُ بشقاء عدم معرفة الحبّ، ولو كنت من السخف بحيث أردت تعلّمه، فلن أتابع دروسي هذه في باريس، أو في الصحف والمجلاّت.

*

نهاية يومٍ بارد، مَغيباتٌ من ظلال وثلج... أكثر ممّا يمكنني احتماله.

*

مقدّمة لــ «بحوث سياسيّة». «عند سقوط نابليون، راح كاتبُ الصفحات التالية الذي كان يرى أنّ صرفَ شبابه في الكراهية السياسيّة هو ضرب خداع، يجوب العالم» ستندال: *حياة روسّيني*.

*

كما سبق. ستندال: *في الحبّ*: «ليس الإنسان حرًّا بعدم فعل أكثر ما يمتعه من بين كلّ الأفعال الممكنة الأخرى».

كما سبق. «تُدهِش النساءُ الجميلات جدًّا بشكل أقلّ في اليوم الثاني. إنّه لشقاء كبير... إلخ».

دوق بوليكاسترو الذي «كان يقطع مائة فرسخ [= ٤ كيلومتر] كلّ ستّة أشهر، لكي يرى، لمدّة ربع ساعة في ليكّا، عشيقةً يعبدها ويحرسها رجل غيور».

مراجعة: قصّة دونا ديانا. نهاية المشهد المسرحي (ص ١٠٨، غارنييه).

*

عندما سينتهي كلّ شيء: كتابة نصّ عشوائي. كلّ ما يخطر لي.

*

التمرّد: نهاية التمرّد من دون إله، هي حبّ البشر. نهاية حبّ البشر هي المحاكمات. فصل بعنوان: محبّو البشر.

*

كان ملحدًا عندما كان زوجًا ممتازًا، صار متديّنًا عندما خان.

*

فقيرٌ وحرٌّ بالأحرى، بدلاً من ثريّ ومُستعبَد. يريد الناس بالطبع أن يكونوا أثرياء وأحرارًا، وهذا ما يقودهم لأن يكونوا أحيانًا فقراء وعبيداً.

*

دولاكروا. «إنّ الأكثر حقيقةً فيّ هو الأوهام التي أبتكرها بلوحاتي. أمّا البقيّة فرمالٌ متحرّكة».

*

موغادور[1].

*

دولاكروا. «ليست الأفكار الجديدة هي ما يصنع النوابغ... بل هي تلك الفكرة التي تتملّكهم بأنّ ما قيل لم يُقل بعدُ بشكل كافٍ».

كما سبق. «سيبقى منظر تلك البلاد (المغرب) أبدًا في عينيّ. وسوف يضطرب رجال تلك السلالة القويّة دائمًا في ذاكرتي، ما حييت. ففيهم وجدت حقًّا الجمالَ القديم».

*

كما سبق. «...إنّهم أقرب إلى الطبيعة بألف طريقة: ملابسهم، شكل أحذيتهم. هكذا يتّحد الجمالُ بكلّ ما يفعلونه. نحن، في أحزمتنا المخصِّرة وأحذيتنا الضيّقة ومشدّاتنا المضحكة، نبعث على الشفقة. الحُسن ينتقم من علِمنا».

ص ٢١٢ ــ ٢١٣ (منشورات بلون)، ت. الأول، صفحات رائعة عن الموهبة.

إنّه يصنّف غوته (من خلال إصدار حكمه بشكلٍ متعقّل) «ضمن النفوس الخسيسة والملوّثة بالتكلّف».

«ذلك الرجل الذي يرى نفسه دومًا وهو ي...».

---

(١) في المخطوطة، موغادور مكتوبة بأحرف عريضة، ومسطّرة بشدّة.

١٠ يناير/كانون الثاني ١٩٥٠

في النهاية، أنا لم أرَ بوضوح في داخلي أبدًا. ولكنّي تبعتُ، دومًا وغريزيًّا، نجمةً غير مرئيّة...

هناك فوضويّة في داخلي، فوضًى فظيعة. يكلّفني الإبداعُ ألفَ ميتةٍ إذ يقتضي الأمر نظامًا، وكياني كلّه يرفض النظام. إنّما من دونه، قد أموت مبعثرًا.

*

ما بعد الظهيرة، دفق الشمس والنور إلى غرفتي، السماء الزرقاء والغائمة، ضجيج الأطفال المتصاعد من القرية، أغنية المِرجل في الحديقة... وها إنّ الساعات في مدينة الجزائر تعودني. منذ عشرين عامًا...

*

(ل.)، عن والدتي: «إنّها خبزٌ. وأيّ خبز!».

*

بيسبالوف. «من تمرّدٍ إلى تمرّد، ومن ثورةٍ إلى ثورة، اعتقدنا أنّنا نزيد الحرّيّة، وها إنّا قد انتهينا إلى الأمبراطوريّة».

التمرّد. أسخيلوس متحدّيًا الخليقة، إثر وفاة بَتروكل. فصل. نحن النيتشويّون.

*

هنري ميلّر: «إنّني منبهر بالانهيار العظيم للعالم». إنّما هناك صنفٌ من النفوس لا يبهرها هذا الانهيار. دنيء أكثر منه عظيماً.

*

السيطرة على العمل الأدبيّ إنّما من دون إغفال *الجرأة*. الإبداع.

*

كوفرو. يصل، يرجو أن يُعثر في إذاعة الـــ بي. بي. سي. على البرنامج الإخباري المثير دومًا للاهتمام برأيه، يجلس، وينام.

*

العائلة. «ما كان ينبغي أن تزعج نفسك».

«أنت تزعج نفسك».

«إنّه يأتي من الداخل».

*

مواضيع. فندق في الريف. انجذاب الأشخاص.

*

بحر. إجحاف المناخ. أشجارٌ مُزهرةٌ في سان ــ إتيانّ. أكثر فظاعة بعد. في النهاية، كنت أودّ وجهًا أسود بشكلٍ كامل. وبالتالي، فإنّ شعوب الشمال...

*

فبراير/شباط ١٩٥٠

عملٌ منتظم حتى أبريل/نيسان. ومن ثم عملٌ بحماس. السكوت. الإصغاء. ترك الأمور تتجاوز حدّها.

*

يعود مفهوم (وواقع) المثقّف إلى القرن الثامن عشر.

*

لاحقًا، كتابة بحثٍ من دون أيّ مراعاة أو تحفّظ، عمّا *أعرف أنّه* حقيقيّ (فعل ما لا نريد، وإرادة ما لا نفعل).

*

الليلة الأصليّة.

*

إنّي أقرأ حياة راشيل. الخيبة نفسها دائماً، حيال التاريخ. كلّ تلك الكلمات التي تلفّظَت بها، في جوٍّ حميميّ مثلاً، والتي تنضمّ إلى الجمهرة المدوّخة من الكلمات الضائعة التي لن يعرفها أحدٌ. ما ينقله التاريخُ إلينا، مقارنةً بتلك الجمهرة، هو نقطة ماء ضائعة في البحر.

*

في دفتر يوميّات دولاكروا، كلمة (منقولة) عن النقّاد الذين يتّجهون بأنفسهم إلى الإبداع. «لا يمكن تولّي سَير العربة وإظهار المؤخّرة في آن واحد».

*

دولاكروا ــ حول المسافات إلى لندن.

«ينبغي اعتماد الفراسخ كوحدة قياس: فوحده التفاوت بين الاتّساع الهائل للمكان الذي يسكنه هؤلاء الناس، والضيق الطبيعيّ للنسَب البشريّة، يجعلني أعلنها عدوّةً للحضارة الحقيقيّة التي تقرّب البشر من الحضارة الأتيكيّة، تلك التي كانت تجعل البارتينون بحجم أحد منازلنا، وتؤوي الكثير من الذكاء والحياة والقوّة والعظمة، ضمن الأطر الضيّقة للحدود التي تُضحك بربريّتنا الضئيلة جدًّا في دولها العملاقة».

*

دولاكروا. «في الموسيقى *كما في سائر الفنون الأخرى بلا شكّ*، ما إن يحضر الأسلوب والطابع المميّز، أي الجدّيّة بكلمة واحدة، حتى يختفي الباقي.

كما سبق. يقول دولاكروا: التفصيل هو ما سبّبت الثورات اختفاءه في مجال الآثار التاريخيّة والأعمال الفنيّة ــ وهذا أمر مخيف.

«ضدّ التقدّم». (ت.). الأوّل، ص ٤٢٨: «نحن ندين للعصر القديم بالقليل الذي نساويه».

*

دولاكروا.

على الفنّان الكبير أن يتعلّم تجنّب *ما لا ينبغي محاولته.* «وحدهم المجانين والعاجزون يتعذّبون من أجل المستحيل. ومع ذلك، *علينا أن نكون جسورين جدًّا*».

كما سبق. «تلزم جسارة كبيرة لكي نجرؤ على *أن نكون أنفسنا*».

كما سبق. « ليس العمل إنتاج أعمال فقط، وإنّما هو إعطاء الوقت ثمنًا».

كما سبق. «كبيرٌ جدًّا هو رضا الإنسان الذي عمل واستخدم نهاره بشكل ملائم. عندما أكون في هذه الحالة، أتلذّذ بأدنى استرخاء. وأستطيع حتى أن أكون في مجتمع الناس الأكثر إثارةً للملل، دون أدنى أسف».

كما سبق. «...عدم التعلّق البتّة بملاحقة الأشياء التي ليست إلاّ قبض ريح، وإنّما التمتّع بالعمل بحدّ ذاته وبما يليه من ساعات لذيذة...».

كما سبق. «كم أنا سعيدٌ لأنّي ما عدت مُرغمًا أن أكون سعيدًا بالمفهوم السابق (العواطف الشغوفة)».

مدارس إيطاليا الكبرى «حيث تتّحد السذاجة بأكبر المعارف».

كما سبق في معرض حديثه عن ميّيه. «إنّه بالفعل من زمرة الفنّانين الملتحين الذين قاموا بثورة ٤٨ أو الذين صفّقوا لها، معتقدين على ما يبدو أنّه سيكون هناك مساواة في المواهب، كما في الثروات».

كما سبق. «ضدّ التقدّم»، ص٢٠٠ بأكملها. «... يا له من مشهد نبيل في أفضل قرن، مشهدُ البهائم البشريّة وقد علَفَها الفلاسفةُ».

كما سبق. للروايات الروسيّة «عطرُ واقعٍ يُدهش».

ص ٣٤١. «...الخليقة غير الكاملة...».

الموهبة المتميّزة، «حياء وجفاف في البداية، سعةٌ وإهمالٌ للتفاصيل في النهاية».

*

الفلاّح الذي بقي غير مبالٍ وسط صلاةٍ انتزعت الدموع من مآقي الجميع. قال للناس الذين أخذوا عليه برودته، إنّه لم يكن ابن الرعيّة.

*

شباط/فبراير ١٩٥٠

ذاكرةٌ تهرب أكثر فأكثر. عليّ أخذ قرار بتدوين يوميّات. دولاكروا محقّ: كلّ تلك الأيّام التي لا تُسجَّل، أشبه بأيّام لم تكن. ربّما في شهر أبريل/نيسان، عندما أكون قد استعدت حرّيّة ما.

*

مجلّد: في قضايا الفنّ ــ حيث سأوجز جماليّتي.

مجتمع أدبيّ. نتخيّل مكائد سوداء، حساباتٍ ومطامح كبيرة. وليس هناك إلاّ غرور بخس الثمن.

*

قليلٌ من الكبرياء يساعد في وضع مسافة. عدم إغفال ذلك، *على الرّغم من كلّ شيء*.

المتعة التي تنتهي امتنانًا: هي زهرة الأيّام. وإنّما في الطرف القابل: المتعة المريرة.

*

كشطت الريحُ السماء حتى بان جلدُها الجديد أزرق لامعًا كالبحر. تعلو أناشيدُ العصافير من كلّ حدب بقوّةٍ، بنشوةٍ، شجارًا فرِحًا وغبطةً لامتناهية. ينساب النهار متلألئاً ويتألّق.

*

الأخلاق لا، وإنّما الاكتمال. وليس من اكتمال آخر إلاّ الحبّ، أيِ التخلّي عن الذات والموت في العالم. المضيّ حتى النهاية. *الاختفاء*. الذوبان في الحبّ. وسوف تكون قوّة الحبّ هي ما يبدع ساعتئذٍ، وليس أنا. إتلاف الذات. نزع الأعضاء. الفناء في الاكتمال وفي الولع بالحقيقة.

*

جملة تقديم: «لا شيء يساوي حياة متواضعة، جاهلة، عنيدة» (*التبادل*).

*

كما سبق. «كانت هناك طريقة لكي أحبّكِ، ولم أحببكِ بتلك الطريقة».

*

أدولف. إعادة القراءة. الإحساس ذاته باليباس الحارق.

«كانوا يتفحّصونه (أو) باهتمام وفضول، كعاصفةٍ قويّة».

«هذا القلب (أ) الغريب عن كلّ مصالح العالم».

*

«ما إن كنت أرى تعبيرَ ألم على وجهها، حتى تصير مشيئتها مشيئتي: فلم أكن لأرتاح إلاّ عندما تكون راضية عنّي».

*

«... هذان الكائنان البائسان، الوحيدان اللذان يعرف أحدهما الآخر على الأرض، *والوحيدان القادران أن يكونا عادلين أحدهما حيال الآخر فيفهم أحدهما الآخر* ويعزّيه، كانا عدوّين لا يتصالحان، مستشرسَين في التقاتل».

*

فاغنر، موسيقى عبيد.

*

رواية. «كان يودّ فعلاً أن تتعذّب، إنّما بعيدًا عنه، فقد كان جبانًا».

*

كونستان. «ينبغي دراسة أسباب بؤس البشر ومن ضمنها إحصاء الأفكار التي لديهم عن سُبل محاربتها».

*

كما سبق. «خطرٌ مرعب: أن تتوحّد سياسة الشؤون الأميركيّة مع حضارة المثقّفين المائعة».

*

عنوان بحوث شمسيّة[1]: الصيف. الجنوب. العيد.

*

فبراير/شباط ١٩٥٠

التحكّم: عدم الكلام.

تدوين: التجربة ذاكرة، إلاّ أنّ العكس صحيح أيضًا.

العودة الآن إلى التفاصيل. تفضيل الحقيقة على كلّ شيء.

---

(١) في المخطوطة، يُقرأ: بحوث *متوسّطية*. التصحيح من المؤلّف في المطبوعة الأولى.

نيتشه: *لقد شعرت بالعار حيال ذلك التواضع الكاذب.*

*

أزهر إكليلُ الجبل. وعند أقدام أشجار الزيتون، تيجانُ البنفسج.

*

مارس/آذار ١٩٥٠

يُنكر المتديّنون المحبّون للبشر كلّ ما ليس عقلاً، لأنّ بإمكان العقل برأيهم أن يجعلهم أسياد كلّ شيء، والطبيعة حتى. كلّ شيء، باستثناء الجمال. فالجمال يُفلت من عمليّة الحساب هذه. لذا يصعب جدًّا على الفنّان أن يكون ثوريًّا، حتى وإن كان متمرّدًا كفنّان. ولذا يستحيل عليه أن يكون قاتلاً.

*

الانتظار، انتظار أن تنطفئ، واحدًا واحدًا، الأيّامُ التي لم تزل زينتها الضوئيّة مُشتعلةً أمامي. وأخيرًا، ينطفئ اليوم الأخير، فيعمّ السواد شاملاً.

*

١ مارس/آذار

شهرٌ من التحكّم المطلق ــ على المستويات كافّة. البدء من ثم بشكلٍ جديد ــ (إنّما من دون إضاعة حقيقة، *واقع* التجارب السابقة، *وبالتالي تقبّل كلّ العواقب* مع *قرار* التغلّب عليها وتعديلها عبر الموقف النهائيّ (لكن الواعي) للمبدع. عدم رفض أيّ شيء).

*

(المقدرة على قول: كان هذا صعبًا. لم أنجح منذ المرّة الأولى وقد صارعت صراعًا منهكًا. لكنّني انتصرت في النهاية. هذا التعب القاسي هو ما يجعل النجاحَ أكثر وعيًا، تواضعًا، وإنّما أيضًا أكثر حزمًا).

*

التمرّد. بعد كتابة كلّ شيء، إعادة التفكير بكلّ شيء، *انطلاقًا* من الوثائق ومن الأفكار المرتّبة على هذا النحو.

*

في الفنّ، ربّما كان الواقعيّ المطلق هو الألوهيّة المطلقة. لذا ترمي مشاريعُ تأليه الإنسان إلى صقل الواقعيّة.

*

البحر: لم أكن أضيع فيه، وإنّما أجد نفسي.

صديق فيفيه الذي كان قد توقّف عن التدخين، عاد يدخّن عندما علم باكتشاف القنبلة الذريّة.

*

العائلة.

سائقو العربات هم من صنعوا الجزائر.

ميشيل. ٨٠ عامًا. مستقيمٌ وقويّ.

فلانة، ابنته. تترك نويها في سنّ ١٨ عامًا لكي «تصنع لها حياةً». تعود في سنّ الـ ٢١ ملأى بالمال، فتبيع حليّها وتُعيد تأسيس إسطبل والدها بأكمله وقد قضى عليه وباء.

*

«الرجل الماكر» لكُردجييف. تركيز. استذكار الذات (رؤيتها بعينيْ آخر).

*

يقبل جاكوب جِنّ، ديكتاتور غيتو فيلنا، هذا المنصب البوليسي للحدّ من الأضرار. شيئًا فشيئًا، يتمّ إعدام ثلاثة أرباع سكّان الغيتّو (٤٨ ألفاً). وفي النهاية، يُعدم هو أيضًا، رميًا بالرصاص. لقد أُعدم من أجل لا شيء ــ وُسم بالعار للاشيء.

عنوان: النابغة الخبيث.

*

كان ينبغي لها أن تموت، فتبتدئ حينئذ سعادةٌ مخيفة. لكنّ هذا هو العذاب: «هم» لا يموتون في اللحظة المناسبة.

*

بحسب الصينيّين، تملك الأمبراطوريّات التي تقترب من انهيارها، قوانين عديدة جدًّا.

*

نورٌ متألّق. يبدو لي أنّني أصحو من نوم عشر سنوات ـــ وأنّي ما زلت غارقًا في ضمادات الشقاء والأخلاقيّات الكاذبة ـــ وإنّما عاريًا من جديد ومشدودًا نحو الشمس. قوّةٌ لامعة ومعتدلة ـــ والذكاء المقتصد، الحادّ. إنني أولد من جديد كجسدٍ أيضًا...

*

كوميديا. رجلٌ يُكافأ رسميًّا على فضيلة كان يمارسها حتى الآن غريزيًّا. بدءًا من تلك اللحظة، يبدأ يمارسها بشكل واعٍ: كوارث.

*

أسلوب القرن السابع عشر بحسب نيتشه: نظيفٌ، دقيقٌ، وحرّ.

الفنّ الحديث: فنّ الاستبداد.

*

بدءًا من عمرٍ معيّن، تزداد خطورة المآسي ما بين الكائنات إذ يُضاف إليها السباق ضدّ الزمن، فتستعصي بالتالي على أيّ حلّ.

*

كما لو أنّ الثلوج المتراكمة في الحبّ تذوب شيئًا فشيئًا في الشمس الأولى، لكي تطلق العنان لمياه الفرح المتفجّرة المتدفّقة.

*

٤ مارس/آذار ١٩٥٠

وكنت أكرّس قلبي علانيةً للأرض العابسة المتألّمة، وكنت في الليل المقدّس، غالبًا ما أعدها بأن أحبّها حتى الموت، بإخلاص ودونما خوفٍ، بحمولتها القدريّة الثقيلة، وألاّ أنتقص من قدر أيٍّ من ألغازها. هكذا، كنت أرتبط بها ارتباطًا مميتًا. (*امبيدوكل*، لهولدرلين).

*

لا نملك شجاعة ما نعرفه، إلاّ بشكلٍ متأخّر.

*

فنّانون وأفكارٌ بلا شمس.

*

يقول نيتشه: «سوء تفاهم بشأن الحنان. حنانٌ خانع يخضع ويتذلّل، يرى بمثاليّةٍ ويخطئ ـ وإنّما حنانٌ إلهيّ يحتقر ويحبّ، يبدّل ويرفع ما يحبّ».

*

العالمُ حيث أشعر أنّني الأكثر *ارتياحًا*: الأسطورة الإغريقيّة.

*

ليس القلبُ كلّ شيء. يجب *أن يكون*، إذ من دونه... إنّما ينبغي التحكّم به وتغيير صورته.

*

أعمالي الأدبيّة كلّها ساخرة.

*

الغواية الأكثر رسوخًا، تلك التي لم أكفّ أبدًا عن خوض قتال منهك ضدّها، هي: التهكّم.

*

الوثنيّة من أجل الذات، المسيحيّة من أجل الآخرين، تلك هي الرغبة الغريزيّة لدى كلّ كائن.

*

لا صعوبة، وإنّما استحالة أن نكون.

*

الحبّ إجحاف، لكنّ العدالة لا تكفي.

*

هناك في الإنسان دائمًا جزءٌ يرفض الحبّ. إنّه الجزء الذي يريد الموت، وهو ذاك الذي يطلب السماح.

*

عنوان لـــ «المحرقة»: ديجانير.

ديجانير. «كنت أودّ لو أثبّتها في الزمن، في ذلك اليوم البعيد في حدائق تويلّري، حيث كانت تتقدّم نحوي بتنّورتها السوداء وبلوزتها البيضاء المرفوعة الكمّين على ذراعيها الذهبيّتين، بشعرها المرخيّ وخطوتها الحازمة، وبوجهها الذي يتقدّم الكلّ».

*

ما كنت أنوي طلبه منها منذ زمن طويل، فعلتُه في ذلك المساء المتطرّف: القسَمُ بألاّ تكون أبدًا لرجلٍ غيري. فإن لم يكن الحبّ

البشريّ قادرًا على إحداث ما يُحدثه الدّينُ ويتيحه، فأنا لست أرغب بالعيش. أقسمتْ لي إذًا ذلك القسم من دون أن تسألني التزامًا. إلاّ أنّي، في الفرح الرهيب لحبّي وكبريائه، قطعتُ لها بحبورٍ عهدًا. وبشكل ما، كان ذلك بمثابة قتلها وقتلي.

*

حيثما الحبّ ترفٌ، كيف لا تكون الحريّة ترفًا؟ سببٌ إضافيٌ بالفعل لعدم الإذعان لمن يجعلون من الحبّ والحرّيّة شقاءً مضاعفًا.

*

لقد شكّك فولتير بكلّ شيء تقريبًا، فلم يُثبت إلاّ أمورًا قليلة جدًّا، وإنّما بإتقان.

*

رواية. شخصيّات ذكوريّة: بيار ج.، موريس أدراي، نيكولا لزاريفيتّش، روبير شاتّيه، م. د. ب.، جان غرونييه، باسكال بيا، رافانيل، هيرّان، أوتلّلي.

أنثويّة: رينيه أوديبير، سيمون ك.، سوزان أ.، كريستيانّ غاليندو، بلانش بالان، لوسيت، مارسيل روشون، سيمون م. ب.، إيفون، كارمن، مارسيل، شارلوت، لور، مادلين بلانشو، جانين، جاكلين، فيكتوريا، فيولانت، فرانسواز ١ و٢، فوكلان، ليبوفيتز.

ميشال، أندريه كليمان، لوريت، باتريسيا بلاك، م. تريز، جيزال لازار، رينيه توماسّيه، إيفلين، مامين، أوديل، فاندا، نيكول ألغان، أوديت كامبانا، إيفيت بوتيجان، سوزان آنييلي، فيفيت، ناتالي، فيرجيني، كاترين، ماتّ، آنّ.

*

«يجذب البحرُ والسماءُ جماهيرَ الورود الفتيّة والقويّة إلى الشرفات الرخاميّة».

*

محظوظون هم الذين يكتبون بطريقةٍ غامضة: إذ إنّهم سيحظون بمعلِّقين. أمّا الآخرون فلن يكون لهم سوى قرّاء وهذا، على ما يبدو، من دواعي الاحتقار.

*

زار جِيد الاتّحادَ السوفييتي، لأنّه كان يفكّر بـ *الفرح*.

*

جِيد: وحده الإلحاد يستطيع تحقيق السلام في العالم اليوم(!).

*

حوارٌ بين لينين واعتقاليّ روسيّ.

تبدأ باريس بمساعدة العمل الأدبيّ بأن تضعه في الصدارة. وبعد الاعتراف به، تبدأ المتعة. متعة تدميره. توجد هكذا في باريس، كما في بعض أنهار البرازيل، آلافُ الأسماك الصغيرة المضطلعة بهذه المهمّة[1]. إنّها أسماكٌ صغيرة جدًّا لكنّها لا تُحصى، ورأسها كلّه إذا أمكن القول، في أسنانها. فهي قادرة على تجريد إنسان من لحمه، بشكلٍ كامل، في أقلّ من خمس دقائق، فلا تخلّف وراءها إلاّ عظامًا بيضاء. ترحل من ثم، تنام قليلاً، وتعاود من جديد.

*

دو بوسّوييه: «معظمُ الناس كفيلون بطبع وحيد، ألا وهو التمرّد إذا ما رُفض طبعُهم ذاك». أمّا هو، فقد أضاع حتى هذا.

*

كمثل أولئك العجائز في بيتٍ كبير كان يضجّ سابقًا بالحياة وبالأصوات، ينسحبون إلى طابق، ومن ثم إلى حجرة، ومن ثم إلى أضيق الغرف حيث يجمعون كلّ أفعال الحياة ـــ معزولون، وينتظرون الضيّقَ الذي تقلّص، وسيضؤل أكثر بعد.

*

---

(١) نجد الصورة نفسها في *الانهيار*، ص ١٤٧٧ ، (طبعة لا بلياد).

أبريل/نيسان ١٩٥٠

كابريس[١]. مجدّدًا.

باختصار، وصلنا. الأمر صعب، إنّما يتمّ التغلّب عليه في النهاية! آه! ليسوا جميلي المرأى. لكنّنا نسامحهم. وفيما يخصّ كائنين أو ثلاثة أحبّهم، فإنّهم أفضل منّي. كيف يمكن تقبّل ذلك؟ هيّا، لنقفز.

*

ليلةٌ ضبابيّة وحارّة. في البعيد، الأنوار على الساحل. وفي الوادي، حفلةٌ ضخمة تقيمها الضفادع وقد تجرّحت أصواتها بعد أن بدأت شجيّةً. قرى الضوء تلك، بيوتٌ...

«أنت شاعر وأنا أقف في جهة الموت».

*

انتحار (أ.). أشعر بتأثّر كبير لأنّي كنت أحبّه كثيرًا، بالطبع، وإنّما أيضًا لأنّي فهمت فجأة أنّي كنت راغبًا باحتذاء حذوه.

هنّ على الأقلّ، لا يقع عليهنّ واجب العظَمة مثلنا. فبالنسبة إلى الرجال، الإيمان حتى، والتواضع حتى، هما اختبار عظَمة. أمرٌ منهك.

---

(١) كابريس بالقرب من بلدة غراس.

دائمًا، تأتي لحظة يكفّ فيها الأشخاص عن الصراع والتنازع، وعن التمزّق، متقبّلين أخيرًا أن يحبّوا أنفسهم مثلما هم. إنّها مملكة السماوات.

*

كفى شعورًا بالذنب ــ كفى ندمًا.

كلوديل. ذاك العجوز الجشع المتهافت على المائدة المقدّسة لالتهام التكريمات... يا للبؤس!

*

قصّة قصيرة. نهارٌ جيّد. السيّدة الناضجة التي تصل وحيدة. مدينة كان.

*

في رواية كبرى. لزاريفيتش. آدريه. شاتّيه (ومسرحيّاته مع شخصيّات يلتقيها).

*

الشيخوخة هي الانتقال من الشغف إلى العطف.

*

المرأة التي تتناول فوسفات الكلس. إلى المائدة. «ذاك الكلب المسكين (كلب صيد إيانيول رائع، ناريّ اللون)، بعد كلّ ما قام به في الهند ــ الصينيّة من أفعالٍ بطوليّة، أوتظنّون أنّه سيُكافأ بوسام؟ كلاّ، فعندنا على ما يبدو، الكلاب لا تُكافأ. لاحظوا في إنكلترا، الكلاب تنال أوسمةً حين تتصرّف جيّدًا في الحرب. لكن، عندنا! قد يكون كشف كمائن الصينيّين بأكملها، إنّما لا، لا شيء. يا له من حيوان مسكين!».

*

فتاة الحانات. «رسائل؟ آه لا! أنا لا أحبّ وجع الرأس».

*

القرن التاسع عشر هو قرن التمرّد. لماذا؟ لأنّه وُلد من ثورة فاشلة حيث تلقّى المبدأ الإلهيُّ وحدَه الضربةَ المميتة.

*

٢٧ مايو/أيّار ١٩٥٠

وحدانيّ. ونيرانُ الحبّ تشعل العالم. هذا ما يستحقّ وجع أن نولد ونكبر. لكن، أينبغي أن نعيش من ثم؟ فكلّ حياةٍ تجد بالتالي مبرّرها. لكن ماذا عن كلّ صراعٍ من أجل البقاء؟

*

ما بعد *الرجل المتمرّد*، الإبداع بحرّيّة.

كم من الليالي في حياةٍ لم نعد فيها!

*

أعمالي خلال هاتين الدورتين الأوليين: كائنات من غير كذب، وإذًا غير واقعيّة. هي ليست في هذا العالم. لذا، ومن دون شكّ وإلى الآن، أنا لست روائيًّا بالمعنى المتعارَف عليه، وإنّما بالأحرى فنّانٌ يُبدع أساطير بحجم شغفه وقلقه. ولذا أيضًا فإنّ الأشخاص الذين رفعوني في هذا العالم كانوا دومًا أولئك الذين يملكون قوّة تلك الأساطير وتفرّدها.

*

غير المنطقيّ في الحبّ هو رغبتنا بتسريع أيّام الانتظار وبتبديدها. هكذا نرغب بالاقتراب من النهاية. وهكذا يلتقي الحبّ في أحد جوانبه بالموت.

*

معسكر. حارسٌ أمّيّ يضطهد مثقّفًا. «على فكرة، فيما يخصّ الكتب! حضرتك ذكيّ إذًا...» إلخ. في النهاية يطلب المثقّف السماح.

*

يملك البشر الوجهَ الصعبَ لمعرفتهم (تلك الوجوه التي نصادفها أحيانًا والتي تعرف). إنّما في بعض الأحيان، يظهر تحت النُدوب وجهُ المراهق الذي يُكرم الحياة.

*

ليس الفقر وليس العَوز الفائق أو الذلّ، ولِمَ لا أقولها، ما شعرته بالقرب منهم: لقد شعرت وما زلتُ أشعر بنبلي. فأمام والدتي، أُحسّ أنّني من سلالة نبيلة: تلك التي لا تشتهي شيئًا.

*

لقد عشتُ بإسراف من الجمال: الخبز الأزليّ.

*

بالنسبة إلى معظم البشر، الحرب هي نهاية الوِحدة. بالنسبة إليّ، إنّها الوحدة النهائيّة.

*

اقتران الثور جُماعٌ عفيفٌ، سريعٌ كالبرق، طعنة خنجر وحيدة وصاعقة. إنّه اقتران الإله. لا نشوة، وإنّما احتراقٌ وفناءٌ قدسيّ.

*

فُوج[1]. جمالُ حجارته رمليّة حمراء. للكنائس وللأيقونات درب الآلام، لونُ الدم المتيبّس. لقد سالت دماء القوّة والفتوحات كلُّها في هذي البلاد، ثم جفّت فوق مزاراتها وكنائسها.

*

عبرةٌ غير مجدية: الحياة أخلاقيّة. من لا يُعطِ كلّ شيء لا ينلْ كلّ شيء.

*

عندما نتمتّع بفرصة العيش في عالم الذكاء، أيّ جنون يجعلنا نتمنّى ولوجَ عويل الوله ودارَه الرهيبة.

*

أحبّ كلّ شيءٍ أو لا شيء. وإذًا، أنا لا أحبّ شيئًا.

نهاية ديجانيير. يقتلها بصبر واجتهاد، شيئًا فشيئًا (كانت تختفي أمامه تدريجيًّا فينظر إلى ملامحها تيبس، بأملٍ مخيفٍ وبنحيب الحبّ الأليم). تموت. فيذهب إلى الأخرى، الصبيّة والجميلة من جديد. وفي قلبه، يُشرق حبّ لذيذٌ من جديد. «أحبّكِ، يقول لها».

*

---

(١) زارها كامو لمواصلة نقاهته.

تمارين القدّيس إنياس الروحيّة ــ من أجل استدراك النعاس أثناء الصلاة.

*

اليوم، ترمي عَظَمةُ العلم كلُّها إلى تدعيم الدولة. ليس هناك عالمٌ لم يفكّر بتوجيه أبحاثه صوب الدفاعِ عن الفرد. ومع ذلك، فربّما تمكّنت الماسونيّة هاهنا من اكتساب معنًى.

*

لو أنّ العصر مأساويّ فقط! إلاّ أنّه مقيت. لذا ينبغي وضعه موضع الاتّهام ــ والصفح عنه.

*

I. أسطورة سيزيف (العبثيّة). ــ II. أسطورة بروميثيوس (التمرّد). ــ III. أسطورة نيميزيس.

*

(ج.) دو ميتر: «أنا أجهل ما هي روح شخصٍ خسيس، لكن أظنّني أعرف ما هي روح رجلٍ شريف، وهو ممّا يُثير الذعر».

*

افتحوا السجون، أو أثبتوا فضيلتكم.

*

ميتر: «اللعنة على الأجيال التي تتوجّه إلى عصور في العالم».
كذلك الحكيم الصينيّ الذي كان، حين يريد السوء لأحدهم، يتمنّى له العيش في عصرٍ «مهمّ».

*

بودلير. لقد كسب العالمُ طبقةً سميكة من السوقيّة تمنح، مع احتقار الإنسان الروحانيّ، العنفَ[1] الملازم للشغف.

*

أنترليندن: «لقد حلمتُ طوال حياتي بسلام الأديرة». (ولا شكّ في أنّي ما كنتُ لأصمد فيها أكثر من شهر).

*

أوروبا صاحبة المحالّ ــ مثيرة لليأس.

*

الالتزام. لديّ أرفع فكرة وأكثرها شغفًا عن الفنّ. رفيعة جدًّا لكي لا أقبل إخضاعه لشيء. وشغوفة جدًّا كي لا أريد فصله عن شيء.

*

(١) في المخطوطة، نتردّد ما بين *النبل* و*العنف*.

«كان الحبّ بالنسبة إليه مستحيلاً. فلم يكن له حقّ إلاّ في الكذب والخيانة».

*

كلوديل. فكرٌ مبتذل.

*

سافُوا. سبتمبر/أيلول ١٩٥٠

ينتهي الأشخاص الذين هم مثل (م.) مهاجرون أزليّون يبحثون عن وطن، بأن يجدوه، إنّما في الألم فقط.

*

الألم ووجهه الوضيع أحيانًا. إنّما بغية دفع الثمن، ينبغي العيش منه والبقاء فيه، تدميرًا للذات لأنّنا تجرّأنا على تدمير الآخرين.

*

رواية. «كان يذكر أنّها، ذات يوم، قالت له أثناء أحد تلك المشاهد الفظيعة حين كان يتعاظم فيه الشعورُ بمستقبلٍ مخيف، إنّها قد أقسمت على ألاّ تكون إلاّ له وألاّ أحد سيكون في حياتها أبدًا، بعد اختفائه. في تلك اللحظة، حيث ظنّت أنّها كانت تقول له الأكثرَ أهمّيّة وحتميّة في حبّهما، وحيث كانت بالفعل تقوله معتقدةً أنّها تربطه وتذيبه فيها، جاءته علَى العكس فكرةُ أنّه تحرّرَ وأنّها لحظة

الهرب وتركها هنا، واثقًا من إخلاصها ومن عقمها المطلقين. لكنّه بقي في ذلك اليوم ــ كما في الأيّام الأخرى».

*

باريس. سبتمبر/أيلول ١٩٥٠

ما لديّ لأقوله هو أكثر أهميّةً منّي أنا. الامّحاء ــ و*المحو*.

*

التقدّم: الامتناع عن أن نقول لشخص نحبّه، ما يأتينا به من عذاب.

*

الخوف من العذاب.

*

فولكنر. على السؤال: ما رأيك بالجيل الجديد من الكتّاب، أجاب: لن يُخلّف شيئًا ذا قيمة. إذ لم يعد لديه ما يقوله. لكي تكتب، عليك أن تكون قد زرعت في ذاتك الحقائق الكبرى الأولى ووجّهت عملك نحو إحداها أو نحوها كلّها مجتمعةً. إنّ الذين لا يجيدون الكلام عن الفخر، عن الشرف والألم، هم كتّابٌ دونما أهمّيّة وأعمالهم ستموت معهم أو قبلهم. لقد صمد غوته وشكسبير في وجه

كلّ شيء لأنّهما كانا يؤمنان بالقلب الإنساني. وكذلك بلزاك وفلوبير أيضًا. إنّهم أزليّون.

ــ ما هو سبب تلك العدميّة التي اجتاحت الأدب؟

ــ الخوف. يوم يكفّ البشر عن الشعور بالخوف، سيكتبون من جديد تحفًا فنيّة، أي أعمالاً تدوم.

*

سوريل: «يحضّ المريدون معلّمَهم على ضرورة إنهاء عهد الشكوك، من خلال إيجاد حلولٍ نهائيّة».

*

بلا شكّ، يحتاج كلّ نظام أخلاقيّ إلى شيء من التهكّم. ولكن، أين هي الحدود؟

*

باسكال: «أمضيت زمنًا طويلاً من حياتي وأنا مؤمنٌ بوجود العدالة؛ وما أخطأت في ذلك؛ إذ إنّها موجودة بحسب ما أراد الإله أن يكشفها لنا. بيد أنّي لم أكن أفكّر بالأمر على هذه الشاكلة، وبهذا أنا قد أخطأت؛ إذ كنت أعتقد بأنّ عدالتنا كانت عادلةً بشكلٍ أساسيّ، وبأنّ لديّ ما يجعلني أتبيّنها وأحكم عليها».

*

(ن.) (الهلّينيّون). «إنّ جرأة السلالات النبيلة جرأةٌ مجنونة، عبثيّة، عفويّة... عدم اكتراثها واحتقارها لمصادر أمان الجسد، وللحياة والراحة».

*

رواية. «يكتمل الحبُّ أو يُتلِف. وكلّما اشتدّ فشلُه، ازداد ما يخلّفه من تشويه. فإن لم يكن الحبّ مبدعًا، منع أبدًا كلَّ إبداعٍ حقيقي. إنّه مستبدٌّ، وهو مستبدٌّ وضيع. هكذا كان (ب.) يتألّم لكونه في وضع من يحبّ ولا يتمكّن من وهب حبّه هذا كلّ شيء. وكان يتعرّف في الإهدار العبثيّ للساعات والروح ذاك، إلى نوع من عدالةٍ هي في النهاية الوحيدة التي صادفها فعلاً على هذه الأرض. إنّما كان التعرّف إلى تلك العدالة اعترافًا في الآن نفسه بواجب: واجب رفع ذلك الحبّ، والعاشقين كليهما، إلى ما فوق التفاهة، وتقبّل العذاب الأكثر فظاعةً ولكن الأكثر صراحةً، ذاك الذي كان يتراجع هو أمامه دائمًا، مضطربَ القلب، مفجوعًا بجبنه. فلم يكن يمكنه القيام بالمزيد أو أن يكون آخر، والحبّ الوحيد الذي كان يمكنه إنقاذ كلّ شيء، كان حبًّا يُقبل فيه كما هو. لكنّ الحبّ لا يمكنه قبول الموجود، إذ إنّه لا يصرخ عبر الأرض كلّها من أجل ذلك. إنّه يصرخ رفضًا للطيبة، للعطف، للذكاء، ولكلّ ما يُفضي إلى تسوية. وهو يصرخ باتّجاه المستحيل، المُطلَق، السماء المشتعلة، الربيع الذي لا ينضب، الحياة التي تعدو الموت، والموت

نفسه الذي يتبدّل في الحياة الأزليّة. كيف كان له أن يُقبل في الحبّ، هو الذي لم يكن بشكلٍ ما إلاّ بؤساً، ووعياً بهذا البؤس. هو وحده كان يستطيع قبول ذاته ـ من خلال قبول ألم فقدان الحبّ، المديد واللامتناهي والفظيع، ومعرفة أنّه إنّما قد فقده بغلطته هو. هنا كانت تكمن حريّته النازفة دمًا رهيبًا، هذا صحيح. وإنّما هنا أيضًا، كان الشرطُ لابتكار شيءٍ ما على الأقلّ، ضمن حدود إمكانيّاته في تكريس شقائه الخاصّ وشقاء حياةٍ بأكملها، ولكن أيضًا في الجهد لبلوغ العظمة، الذي كان وحده يبرّئه.

إلى جانب هذا التعذيب، يُعيد كلُّ ضعفٍ إلى الحبّ وجهَه الطفوليّ والساذج، جاعلاً منه ذلك القيد اللامُجدي والمُنهك الذي ينتهي بالتمرّد عليه أيُّ قلبٍ قليل التطلّب. أجل، هذا ما كان يجب قوله: «أنا أحبّكِ ـ لكنّي لستُ شيئًا أو أنّني شيءٌ قليل، وأنتِ لا تستطيعين قبولي فعليًّا على الرّغم من حبّكِ كلّه. ففي عمق روحك، في قاعك، أنتِ تطلبين كلّ شيء، وأنا لا أملك ولستُ كلّ شيء. سامحيني لأنّني أملك روحًا أقلّ ممّا أملك حبًّا، وحظًّا أقلّ ممّا لديّ رغبة، وأن أحبّ أعلى ممّا يمكنني بلوغه. سامحيني ولا تذلّيني بعد الآن. فعندما لا تعودين قادرةً على حبّي، سيكون بمقدورك أن تعدلي. وفي ذاك اليوم، سوف تقدّرين جحيمي وتحبّينني حينئذٍ ما فوق نفسينا، حبًّا لن يكفيني أنا أيضًا، لكنّي مع ذلك سأضعه في حساب الحياة، كي أقبله مرّة أخرى في العذاب». كان هذا هو

الأمر، أجل، وإنّما كان الأكثر صعوبةً قد بدأ. ففي غيابها، كانت الأيّام تصرخ، وكلُّ ليلةٍ كانت جرحًا».

*

الشغف الأقوى في القرن العشرين: العبوديّة.

*

في بْرو، يتناظر تمثالا الراقديْن مرغريت من النمسا وفيليبير من سافوا، بشكل أزليّ بدلاً من النظر إلى السماء.

*

أولئك الذين لم يتطلّبوا عذريّةً مطلقةً للكائنات والعالم وصرخوا حنينًا وعجزًا أمام استحالتها، أولئك الذين لم يدمّروا ذواتهم في سعيهم لأن يحبّوا، على ارتفاع وسطي، وجهًا لا يستطيع ابتكار الحبّ ولا يفعل سوى تكراره، أولئك لا يستطيعون فهم واقع التمرّد وجنونه التدميريّ[1].

*

فعلٌ فرنسيّ. عقليّة منبوذي التاريخ: الاستياء. عنصريّة الغيتو السياسيّ.

*

---

(١) مراجعة *الرجل المتمرّد*، ص ٣٢٣.

لا أحبّ أسرار الآخرين. لكنّي أهتمّ باعترافاتهم.

*

مسرحيّة: رجل من دون شخصيّة. ويتغيّر بحسب الصورة التي يقترحها عليه الآخرون عن نفسه. خَرِعٌ مع زوجته بشكلٍ يثير الشفقة. ذكيٌّ وشجاع مع المرأة التي يحبّ، إلخ... يأتي يومٌ تتصارع فيه الصورتان. في النهاية:

الخادمة: السيّد طيّب جدًّا.

هو: خذي يا ماري، هذا لك.

*

قلّة من الناس قادرة على فهم الفنّ.

*

في زمن رمبراندت، الصنائعيّون هم من يرسمون المعارك.

*

باريس. رمت الأمطار والريح أوراق الخريف فوق الجادّات. نسير فوق فراءٍ رطبٍ وأصهب.

*

يقول لي سائق تاكسي، أسود، ذو لياقةٍ استثنائيّة في باريس عام ١٩٥٠، لدى مروره بجانب «المسرح الفرنسي» المصطفّة على جانبه سيّارات عديدة: «دار موليير مكتظّة هذا المساء».

*

منذ ألفي عام، نشهد تشهيرًا متواصلاً ومواظبًا بالقيمة الإغريقيّة. لقد خلفت الماركسيّةُ المسيحيّةَ في هذه النقطة. ومنذ ألفي عام، تصمد القيمةُ الإغريقيّة إلى درجة أنّ القرن العشرين، خلف إيديولوجيّاته، هو إغريقي ووثني أكثر منه مسيحيًّا وروسيًّا.

*

المثقّفون يصنعون النظريّة، الجماهير تصنع الاقتصاد. في النهاية، يستخدم المثقّفون الجماهير وعبرهم تستخدم النظريّة الاقتصاد. لذا يحتاجون إلى إبقاء حالة الحصار والاستعباد الاقتصادي ــ لكي تبقى الجماهير جماهيرَ عمالة. صحيح أنّ الاقتصاد يصنع مادّة التاريخ. الأفكار تكتفي بقيادته.

*

بتّ من الآن فصاعدًا أعرف الحقيقة عن نفسي وعن الآخرين. إنّما لم يكن بوسعي تقبّلها. فكنت أتلوّى تحتها، محترقًا بالحديد الحامي.

المبدعون. عليهم أن يقاتلوا قبل كلّ شيء، عندما ستحصل الكارثة. فإن حلّت هزيمة، يستعيد من بقوا على قيد الحياة الأراضي حيث سيمكن تجميع الثقافة: التشيلي، المكسيك، إلخ. وإن وقع نصرٌ: إنّه الخطر الأكبر.

القرن الثامن عشر: اعتبار الإنسان قابلاً للكمال هو موضوع نقاش. إنّما الحكم بعد العيش، بأنّ الإنسان طيّب...

*

أجل، لديّ وطنٌ: إنّه اللغة الفرنسيّة.

*

رواية.

١) الاستيلاء على فيمار، أو معادله، من قبل المشطوبين[١].

٢) في المعسكر، يُدخَل مثقّفٌ فخور زنزانةَ المبصقة[٢]. طوال حياته، وبدءًا من تلك اللحظة: البقاء على قيد الحياة ليمكنه القتل.

*

(١) دون شكّ المشطوبون هم المبعدون إلى معسكرات الاعتقال.

(١) مراجعة *الانهيار*، ص ١٥٣٠، (طبعة لا بلياد).

حلّ المجموعة[1]. لزاريفيتش: «نحن نحبّ بعضنا بعضًا، تلك هي الحقيقة. إنّنا عاجزون عن تحريك إصبعنا الصغير من أجل ما نحبّ. كلاّ، لسنا عاجزين. لكنّنا نرفض حتى فعلَ القليل الذي يمكننا فعله. فإذا أمطرت، أصبح الاجتماعُ غير ضروريّ، أو إذا إلخ إلخ...».

*

قلّة نزاهة الفنّان عندما يدّعي الإيمان بديموقراطيّة المبادئ. إذ ينكر حينها ما هو أكثر عمقًا في تجربته وما هو أكبر درسٍ في الفنّ: التراتبيّة والتنظيم. أن تكون قلّة النزاهة تلك عاطفيّة، لا يغيّر شيئًا. إنّها تفضي إلى عبوديّة المعامل أو المعسكرات.

*

س. فايل على حقّ، فليس الإنسان هو من يجب حمايته، وإنّما ما يتضمّنه من احتمالات. وهي تقول، من ثم: «لا ندخل في الحقيقة ما لم نمرّ قبلاً بتدمير الذات: أي من دون الإقامة طويلاً في حالة من الذلّ الشامل والمفرط». الشقاء (قد تقضي عليّ صدفةٌ ما) هو حالة الذلّ تلك، وليس العذاب. وأيضًا «ليست روح العدالة وروح الحقيقة إلاّ روحاً واحدة».

---

(٢) مجموعة «العلاقات الدوليّة» التي أُسّست لمساعدة ضحايا كلّ الأنظمة التوتاليتاريّة.

ترفض الروح الثوريّة الخطيئة الأصليّة. وهي بذلك، تغرق فيها. الروح الإغريقيّة لا تفكّر فيها. وبذلك، هي تنفد منها.

*

المجانين في معسكرات الاعتقال. يُسرَّحون. ليكونوا مواضيع سخرية قاسية جدًّا.

*

أثناء إحدى جولات الضرب بالهراوة في معسكر بوشينوالد، أُرغم مغنّي أوبرا على استخدام أعلى طبقات صوته.

*

كما سبق. في بوشينوالد، رفض شهود يهوه المساهمة في جمع الملابس الصوفيّة للجيش الألماني.

*

في هنزرت، كان الأسرى الفرنسيّون يحملون حَرفين كبيرين على ملابسهم: هـ. ن.: «هونداي نايشن»: أمّة الكلاب.

*

لأنّ فرنسا أمّةٌ عسكريّة، فإنّ للشيوعيّة فيها حظوظًا.

مسرحيّة.

ـ تلك هي النزاهة. إنّها ترتكب السوء، معتقدةً أنّها تفعل الخير.

ـ إنّما باستطاعتها التمييز.

*

مبدأ القانون هو مبدأ الدولة. مبدأٌ رومانيّ أعادت ثورة ١٧٨٩ إدراجه في العالم عنوةً، وضدّ القانون. يجب العودة إلى المبدأ الإغريقيّ الذي هو مبدأ الاستقلاليّة.

*

نصّ عن البحر. الأمواج هي لُعاب الآلهة. الوحش البحري، البحر الذي يجب التغلّب عليه، إلخ. ميلي الفوضويّ إلى المتعة.

*

ألكسندر جاكوب: «الأمّ، كما تعلم، هي الإنسانيّة».

*

لايبنز: «تقريبًا أنا لا أحتقر شيئًا».

*

٢٣ يناير/كانون الثاني ١٩٥١ ــ فالنسيا.

كنت قد صرخت، طلبت، ابتهجت، يئست. وإنّما ذات يوم، في سنّ ٣٧ عامًا، عرفتُ الشقاء وفهمتُ، على الرّغم من المظاهر، ما كنت قد أهملته إلى الآن. نحو منتصف عمري، كان عليّ أن أعاود بعناءٍ تعلّمَ العيش وحيدًا.

*

رواية. «أنا الذي كنت منذ زمنٍ طويل أحيا وأنا أئنّ في عالم الأجساد، كنت معجبًا بأولئك الذين يبدون كــ (س. ف)، وكأنّهم قد نفدوا منه. ففيما يخصّني، لم أكن أستطيع تصوّرَ حبٍّ من دون تملّكٍ، وبالتالي من دون العذاب المُذلّ الذي هو نصيب من يحيون بحسب الجسد. وكان يصل الأمر بي أن أفضّل حتى أن تحافظ محبوبتي على إخلاص الجسد، أكثر من حفاظها على إخلاص الروح والقلب. وقد كنت أيضًا أعرف جيّدًا بأنّ هذا يكيّف ذاك بالنسبة إلى المرأة، فكنت إذًا أتطلّبه، وإنّما كشرطٍ فقط لذلك التملّك الحصريّ الذي كان يهمّني أكثر من أيّ شيء آخر، وكان فقدانه مصدرًا لامتناهيًا للعذابات، والذي كان يشكّل خلاصي الذاتي. لقد كان فردوسي قائمًا في عذريّة الآخرين».

*

غراس، عاصمة الصبيَة الحلاّقين.

معاودة العمل على الانتقال من الهيلّلينيّة إلى المسيحيّة، وهو المنعطف الحقيقيّ والوحيد في التاريخ. بحث حول القدر. (نيميزيس؟).

*

مجموعة بحوث فلسفيّة. فلسفة التعبير + تعليق على الأخلاق الكتاب الأوّل + أفكار حول هيغل (دروس عن فلسفة التاريخ) + بحث عن غرونييه + تعليق على «مديح سقراط».

*

«الحرّيّة هي هبة البحر». برودون.

*

ما بحثت عنه طويلاً يظهر أخيرًا. الموت يصبح رضًا.

*

٥ فبراير/ شباط

الموت قبل تنظيم أيّ شيء. ولكن من الذي يموت وقد نظّم كلّ شيء، إلاّ...؟ ترتيب سلام من أحببناهم، على الأقلّ... فنحن لا ندين بشيء لذواتنا، ولا حتى بموتِ مسالم خاصّةً.

فبراير/شباط ١٩٥١[1]

الرجل المتمرّد. أردت قول الحقيقة، من دون الكفّ عن أن أكون كريمًا. هذا هو ما يبرّرني.

*

عمل، إلخ. ١) بحثٌ أدبي عن البحر. جمع كتاب البحوث: العيد. ٢) التمهيد لطبعة المسرح الأميركيّة. ٣) التمهيد للطبعة الأميركيّة للبحوث. ٤) ترجمة تيمون الأثيني. ٥) حبّ البعيد النائي. ٦) الصوت الأزليّ.

*

إينياس دو لويولا. «المحادثة خطيئة، إذا ما كانت فوضويّة».

*

ما بعد *الرجل المتمرّد*. الرفض العدائي، المعاند للنظام. عبارة: من الآن فصاعدًا.

*

---

(١) على المخطوطة، ١٩٥٠. الأمر متّصل بخطأ على ما يبدو.

لويولا. الصنف البشري: «تلك الحشود البشريّة السائرة إلى الجحيم».

*

قصّة قصيرة. القلق من الموت. وينتحر.

*

عصبة صغيرةٌ من الكتّاب الباريسيّين الذين يرعون ما يعتقدونه السلاطة. الخَدم الذين يقلّدون كبار القوم، وفي الوقت نفسه، يسخرون منهم في الخفاء.

*

كنت أتمنّى أحيانًا الموتَ العنيف ــ كموتٍ نُسامَح فيه على العويل ضدّ انتزاع الروح. وفي أحيانٍ أخرى، كنت أحلم بنهايةٍ طويلة، واعيةٍ بشكلٍ متواصل، على الأقلّ لكي لا يُقال بأنّي قد أُخذتُ على حين غرّة ــ في غيابي ــ وأخيرًا، لمعرفة... إلاّ أنّنا نختنق، ما تحت التراب.

*

أوّل مارس/آذار ١٩٥١

من خلال تأخير استنتاجاته، حتى حينما تبدو له بديهيّةً، هكذا يتقدّم المفكِّر.

فضيلةٌ مدهشة تودي إلى رفض أهوائنا المولهة. فضيلةٌ أكثرُ عمقًا تودي إلى موازنتها.

*

تخطيطي التنظيمي الهائل، من أجل النسيان.

*

لو كان عليّ أن أموت متجاهَلاً من العالم، في قاع سجنٍ بارد، فسوف يغمر البحرُ في اللحظة الأخيرة زنزانتي، يأتي ليرفعني فوق ذاتي ويُعينني على الموت دونما كراهية[1].

*

٧ مارس/آذار ١٩٥١

انتهت النسخة الأولى من *الرجل المتمرّد*. مع هذا الكتاب، تنتهي الدورتان الأوليّتان. ٣٧ عامًا. والآن، أيمكن للإبداع أن يكون حرًّا؟

*

كلُّ اكتمالٍ هو عبوديّة. إذ إنّه يُرغم على اكتمالٍ أكثر رفعةً.

---

(١) مراجعة *البحر عن كثب*، ص ١٨٧ ــ ١٨٨.

ملاحظات حول سيرته الذاتية

١٩٤٢ يعود ألبير كامو المريض إلى فرنسا ليرتاح في شامبون ــ سور ــ لينيون. الإنزال العسكري في شمال إفريقيا يمنعه من العودة إلى الجزائر.

١٩٤٣ في نهاية العام، يستقرّ ألبير كامو في باريس. إنّه قارئ لدى غاليمار، وهو ينضمّ إلى أسرة تحرير صحيفة *كومبا* السرّيّة.

١٩٤٤ يتولّى مسؤوليّة تحرير *كومبا* السرّيّة، بعد رحيل باسكال بيا الذي كُلّف بمهامّ أخرى.

بعد التحرير، يصبح رئيس تحرير *كومبا*.

١٩٤٥ ولادة طفليه جان وكاترين.

١٩٤٦ السفر إلى أميركا الشماليّة.

يغادر كامو أسرة تحرير *كومبا*. ويعود للظهور فيها، في نهاية العام، مع *لا ضحايا ولا جلّادون*.

١٩٤٧ يؤمّن كامو إدارة *كومبا* خلال شهري أبريل/نيسان ومايو/أيّار، ثم يسلّم الصحيفة إلى كلود بورديه.

١٩٤٨ السفر إلى الجزائر.

دعم وتأييد غارّي دافيس.

١٩٤٩ السفر إلى أميركا الجنوبيّة من حيث يعود كامو مريضًا.

١٩٥٠ فترة نقاهة في كابريس، ثم في فُوج.

١٩٥١ سجالات حول *الرجل المتمرّد*.

*



نبذة عن المؤلف ألبير كامو:

روائي وفيلسوف ومسرحي فرنسي - ولد في الجزائر عام ١٩١٣. وتوفي بحادث سير عام ١٩٦٠.

من أهمّ أعماله: الموت السعيد، الغريب، أسطورة سيزيف، الطاعون، كاليغولا، والرجل المتمرِّد.

نال عام ١٩٥٧ جائزة نوبل للآداب «على مجمل أعماله التي تضع في الضوء، بجديّة ثاقبة، المشاكل التي تُطرح في زمننا على ضمير البشر».



نبذة عن المترجمة نجوى بركات:

روائيّة ومترجمة لبنانيّة مقيمة في باريس. تعمل في الصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون. صدرت رواياتها عن دار الآداب: «لغة السر» و«يا سلام» و«باص الأوادم» و«حياة وآلام حمد بن سيلانه». كما صدرت لها رواية باللغة الفرنسيّة:

La Locataire du Pot de Fer

تدير حاليًا محترف «كيف تكتب رواية».

ذهب أزرق ...ألبير كامو

«لا أقلّ من الطبيعة بأكملها ومن ذلك السلام الأبيض الذي يجلبه الشتاء إلى القلوب الحارّة جدًّا، لتهدئة هذا القلب الذي تلتهمه مرارة الحبّ. أتأمّل في السماء اتّساعَ الضوء الذي ينفي أمارات الموت. أخيرًا، علامةٌ مستقبليّة فوق رأسي، يُحاكيها الآن كلُّ شيء عن الماضي. اخرسي، أيّتها الرئة! وتشبّعي بهذا الهواء الشاحب والثلجيّ الذي يشكّل غذاءك. الزمي الصمت. ولتكفّي عن إرغامي على سماع اهترائك البطيء»...

تشكّل مفكرة كامو، بأجزائها الثلاثة، خارطة عملاقة لمحطات أساسيّة في رحلة استكشاف كامو لجغرافيا الكتابة: جغرافيا رواياته وبحوثه ومسرحيّاته وما رافقها من نوايا وشكوك ومخاض. إنّها الجغرافيا الداخليّة لكاتب ما استقرّ قطّ أو هنئ على الرُّغم من نجاحاته، فبقيتْ روحه على أرقٍ ما بين الإيمان الراسخ بالإنسانيّة وقيمها، وتشاؤمٍ لا يتزعزع يقينُه بعبثيّة الحياة.







